
الشرح السديد
لكتاب
دروس التوحيد

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

عنوان الكتاب: الشَّرْحُ السَّدِيْد لِكِتَابِ دُرُوْسِ التَّوْحِيد

تأليف: السَّيِّدِ عَلَوِي بْنِ عَبْدِالله بْنِ حُسَيْنِ العَيْدَرُوْسِ

عدد الصفحات: 296

قياس القطع: 17 × 24

التنفيذ الطباعي:

مكتبة تريم الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

حضرموت – تريم

هاتف: 417130 5 967 + E.M: tmbs417130@hotmail.com

فاكس: 418130 5 967 + O.R: mab418130@hotmail.com

جوال: 777418130 967 + مكتبة تريم الحديثة (مجموعة) Facebook:

رقم الإيداع

بالهيئة العامة للكتاب

(   ) لعام 2017م

الجمهورية اليمنية

م/ حضرموت

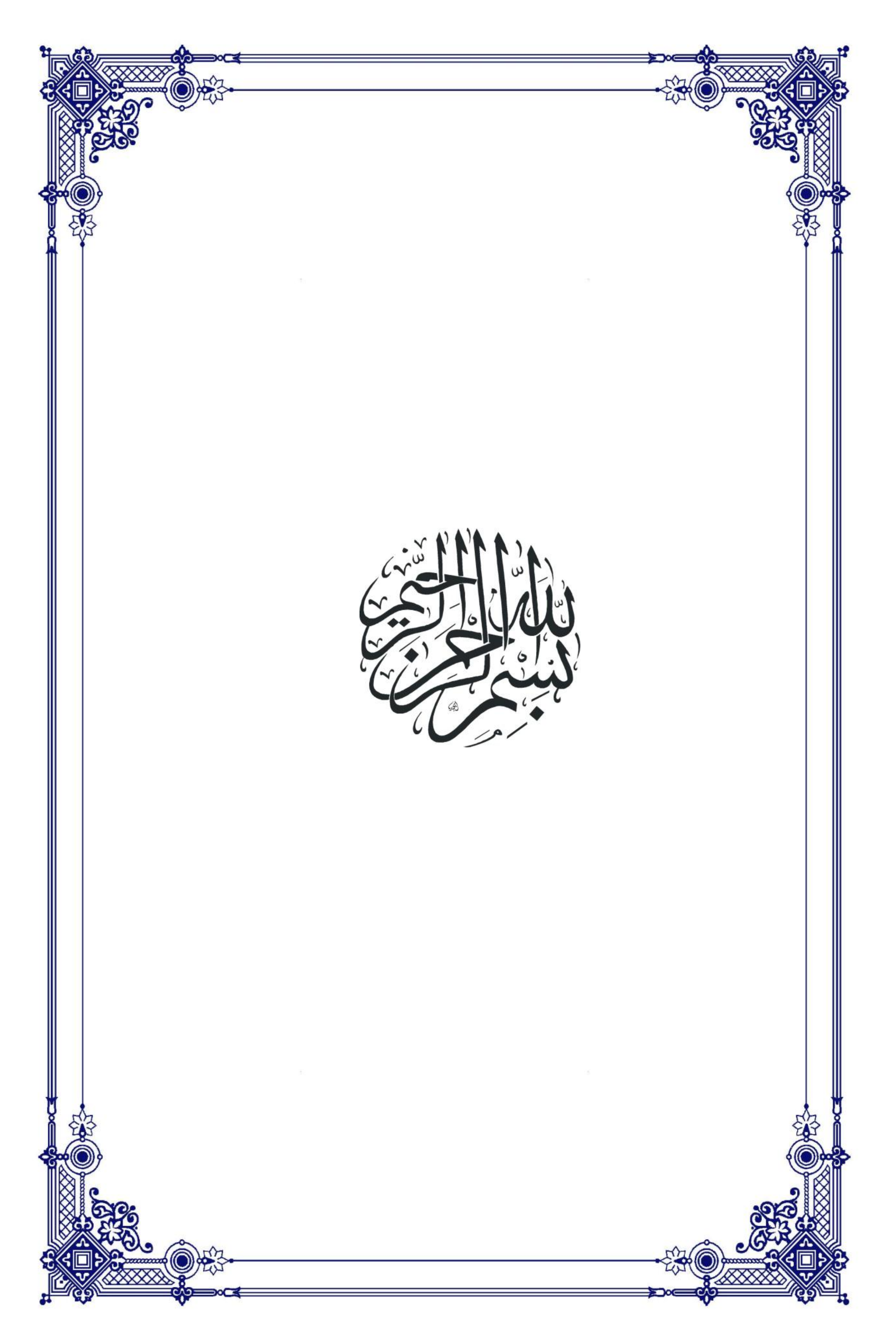




للعلامة الحبيب
محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر العلوي الحسيني
رحمه الله

شرحه

السَيِّدِ عَلْوِيِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ حُسَيْنِ العَيْدَرُوسِ
اَلْعَلَوِيِ الْحُسَيْنِي


بسم الله الرحمن الرحيم

تعضيد

المفكر الإسلامي الداعية إلى الله الدكتور

الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور

الموجه العام لأربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اطلعت على ما قام به السيد المبارك علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس من شرح لطيف على كتاب التوحيد للحبيب العلامة محمد بن سالم بن حفيظ، فسررت بهذه الخدمة النافعة، وخطر على بالي هذه الأبيات الركيكة:

أُصُوْلُ تَوْحِيْدِ الْوَرَىْ مَنْشُوْرَةْ ... فِيْمَا تَرَى مِنْ نُبْذَةٍ مَنْثُوْرَةْ

شَرْحٌ لَطَيْفٌ جَامِعٌ مُبَيِّنٌ ... بِلُغَةٍ فِقْهِيَّةٍ مَيْسُوْرَةْ

قَدْ صَاْغَ ((عَلَوِيٌّ)) الْفَتَى تَفْصِيْلَهَا ... فِيْ حُلَّةٍ قَشِيْبَةٍ مَبْرُوْرَةْ

قُلْ لِلَّذِيْ يَرْغَبُ فَيْمَا قَعَّدُوْا ... وَأَصَّلُوْا عَقِيْدَةً مَشْهُوْرَةْ

هَاْكَ الْكِتَابُ وَاْفِيَاً بِشَرْحِهِ ... مُسْتَجْمِعَاً شَرَائِطَاً مَذْكُوْرَةْ

أَلَّفَهُ الشَّهِيْدُ نَجْلُ سَاْلِمٍ ... مُحَمَّدٌ أَوْقَاْتُهُ مَعْمُوْرَةْ

وَالْعَيْدَرُوْسُ قَاْمَ فِيْ خِدْمَتِهِ ... مُبَيِّنَاً عِبَاْرَةً مَسْتُوْرَةْ

جَاْزَاْهُمُ الرَّحْمَنُ خَيْرَ مَاْ جَزَىْ ... عَبْدَاً أَرَاْدَ الْخِدْمَةَ الْمَشْكُوْرَةْ

فَالْعِلْمُ بَحْرٌ زَاْخِرٌ مَنْ خَاْضَهُ ... بِالْعَزْمِ نَاْلَ الْبُغْيَةَ الْمَحْضُوْرَةْ

وَحَاْجَةُ الْأَجْيَاْلِ لِلْشَّرْحِ غَدَتْ ... أَمْرَاً بِهِ الْفَوَاْئِدُ الْمَنْثُوْرَةْ

مَــنْ سَــخَّرَ الْأَوْقَــاْتَ فَــيِمْا يَنْبَغِــيْ نَــاْلَ الْمُنَــى مَعْنَــىً كَــذَا وَصُــوْرَةْ

رِعَاْيَـــةُ الْمَـــوْلَى تَحُـــفُّ مُخْلِصَـــاً أَحْيَـــا أَمَـــاْنِيْ الْفِرْقَـــةِ الْمَنْصُـــوْرَةْ

أبو بكر العدني بن علي المشهور

الموجه العام لأربطة التربية الإسلامية

ومراكزها التعليمية والمهنية

ترجمة مؤلف دروس التوحيد[١]

اسمه ونسبه رضي الله عنه:

هو الإمام العلامة المجاهد بقوله وفعله، الصادع بالحق، المتبحر في العلوم، من لا يخشى في الله لومة لائم، الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ بن عبد الله بن أبي بكر بن عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عمر بن أبي بكر بن عيدروس بن الحسين بن الشيخ ابي بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة بن علي مولى الدرك بن علوي الغيور بن الفقيه المقدم محمد بن علي العلوي التريمي الحضرمي، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي وابن فاطمة الزهراء بنت سيد الخلق صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ولادته ونشأته رضي الله عنه:

ولد هذا الإمام الهمام بقرية ((مشطة)) حوطة والده الشهيرة، وهي من ضواحي مدينة تريم، وكان وجوده في أجواء عام ١٣٣٢هـ ونشأ في حجر والده المربي الصادق الزاهد، زين المحامد، واستقى من معينه الصافي، وظهرت عليه آثار نظره فيما هو ظاهر وخافي، فكانت عليه الأنوار من صغره، وهو الصابر الشاكر لربه في يسره وعسره.

---

(١) **مرجعية الترجمة**: من كتاب (العقود الجاهزة والوعود الناجزة) لتلميذة الحبيب عبدالقادر بن عبدالرحمن بن عمر الجنيد عليه رحمة الله، وترجمة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ من الموقع الالكتروني لدار المصطفى، وترجمته من مقدمة كتاب (بغية المسترشدين) لمركز النور بتريم، طبعة دار الفقيه.

تلقيه للعلم رضي الله عنه:

بعد فترة قضاها الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ رحمه الله تعالى بقريته (قرية مشطه) نهل فيها من معارف والده، وتعلّم بكتاتيبها بدايات العلوم وذلك على مَن بها مِن المعلّمين المخلصين، جاءت مرحلة أخرى مِن مراحل حياته كان والده يهيئه لها، ألا وهي مرحلة التردد على مدينة العلم والعلماء تريم المباركة التي تواجد بها في تلك الحقبة أساطين العلماء الأكابر في جميع فنون العلم والمعرفة، فانتقل إلى مدينة تريم الزاخرة بالعلوم، وأخذ أنواع العلوم من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، ونحو، وصرف، وبلاغه، وسيرة، وتصوف، وتاريخ، وفلك عن رجال وائمة اعلام، فممن أخذ عنهم:

١) جدّه لأمّه العلامة الإمام علي ابن العلامة مفتي حضرموت ومؤلّف (بغية المسترشدين) السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور، المتوفى سنة ١٣٤٤هـ، فقد تردّد عليه ما يقارب من اثني عشر عاماً وأخذ عنه أخذا تاماً في علوم كثيرة.

٢) الإمام العلامة والداعية الربّاني السيد الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري المتوفى سنة ١٣٦١هـ، وقد لازمه ملازمة تامة، واستفاد منه فوائد كثيرة، وأفرده بترجمة تسمى ((نفح الطيب العاطري في مناقب السيد عبدالله بن عمر الشاطري))، وقد أودع هذه الترجمة نماذج من كلامه ومحاضراته التي حوتْ من جواهر النصح، ودرر التوجيه والوعي كمّاً وافراً تحتاج المجتمعات الحضرمية والعالمية إلى تأمّله، والاستفادة منه، إذْ به خبرة إمام خبير بالدعوة.

٣) الإمام الحبيب علوي بن عبدالله بن عيدروس بن شهاب الدين، والمتوفى سنة ١٣٨٦هـ، انتفع به، وكتب منثور تذكيره في عشرة مجلدات بخط يده، فانتفع به الناس أيما نفع.

٤) السيد الأديب والعلامة النحوي الشاعر الناثر حامد بن محمد بن سالم السري، والمتوفى سنة ١٣٩٦هـ، أخذ عنه علم النحو وغيره.

٥) العلامة المتفنن والفقيه المتمكن السيد أحمد بن عمر الشاطري، والمتوفى سنة١٣٦٠هـ، تضلّع مِن خلاله في علوم كثيرة ومِن أشهرها علم الفقه، وكان من خواص تلاميذه النبهاء الذين أملى عليهم حاشيته على كتاب (بغية المسترشدين).

٦) العلامة الفقيه، الممتزج الفقه بلحمه ودمه السيد أحمد بن عبدالرحمن بن علي السقاف.

٧) السيد العلامة الحسن بن إسماعيل الحامد.

٨) السيد العلامة مصطفى بن أحمد المحضار.

٩) السيد العلامة محمد بن هادي السقاف.

١٠) السيد أحمد بن عبد الرحمن السقاف.

١١) السيد العلامة علوي بن عباس المالكي (صاحب مكة).

١٢) السيد حسن بن محمد بلفقيه.

١٣) السيد محمد بن حسن عيديد.

١٤) السيد علي بن زين الهادي.

١٥) الشيخ محمد العربي التباني.

١٦) الشيخ محمد الأمين كتبي.

١٧) الشيخ حسن المشاط.

١٨) العلامة الدمشقي المسند محمد بن صالح الخطيب.

١٩) الشيخ أبوبكر بن أحمدالخطيب.

٢٠) الشيخ محمد بن عوض با فضل.

وغيرهم كثير ممن يصعب عدهم وحصرهم.

❁ تدريسه ﷺ ودعوته إلى الله:

لقد كان هذا الإمام صادقاً مع الله؛ وبسبب هذا الصدق أعظم الله به النفع والانتفاع في شتَّى البقاع، ولقد كانت همته عالية في التعليم والدعوة إلى الله، لا يفتر عن ذلك، شديد الحرص على نفع الجميع، ولقد امتزجت الدعوة بلحمه ودمه وعظامه، بل كانت حياته فيها.

ولقد قام بالتدريس في رباط تريم العامر بالأنوار، كما كان يمارس التدريس في بيته الذي يستقبل فيه طلاب العلم الناهلين من معارفه.

وله العديد من الرحلات في الدعوة إلى الله، ونشر العلوم النافعة، وإرشاد الخلق وتوجيههم إلى ما يقربهم من ربهم، ورحل لأداء فريضة الحج في سنة ١٣٦٨هـ، وبعدها توجه شرق إفريقيا فعرج على كينيا وزنجبار وتنزانا، وله رحلات إلى الهند وباكستان، وخرج مع جماعة الدعوة والتبليغ إلى الهند سنة ١٣٨٠هـ، ولا يزال أكابرهم يذكرونه إلى اليوم، وأدرك بها الشيخ الكبير مؤلف كتاب حياة الصحابة العلامة محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي المتوفى سنة ١٣٨٤هـ.

وكان نفع الله به عضواً بمجلس القضاء الشرعي بتريم، ولم يكن هذا المجلس تبعاً للدولة، وكان كذلك عضواً بمجلس الإفتاء أيضاً بتريم، ثم صار هو رئيساً لمجلس الإفتاء بعد وفاة العلامة الشيخ سالم بن سعيد بكيّر، وفي هذه المرحلة أحيلت عليه الكثير من عويصات المسائل والاستفتاءات في جميع أبواب العلم، فأجاب عنها جواب العلامة المتمكّن المراعي لضوابط العلم الدقيقة من غير تسرع ولا شطط، ولا خبط ولا خلط.

۞ تلامذته والآخذين عنه رضي الله عنه :

أخذ عنه واستفاد منه الكثير من طلاب العلم الذي كان ولا يزال لهم الأثر الكبير في نشر العلم والدعوة والخير بين الناس، فمنهم:

١) السيد العلامة عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد، والمتوفى سنة ١٤٢٧هـ عليه رحمة الله.

٢) الشيخ المفتي فضل بن عبدالرحمن با فضل، والمتوفى سنة ١٤٢١هـ عليه رحمة الله.

٣) الفقيه الدكتور صالح سعيد با قلاقل، والمتوفى سنة ١٤١٧هـ عليه رحمة الله.

٤) السيد العلامة الداعية مفتى لواء البيضاء محمد بن عبدالله الهدار، والمتوفى سنة ١٤١٨هـ عليه رحمة الله.

٥) شيخنا السيد العلامة الفقيه زين بن إبراهيم بن سميط نزيل المدينة أطال الله عمره في خير وعافية.

٦) ابنه الأكبر شيخنا السيد العلامة الفقيه مفتي تريم علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ أطال الله عمره في خير وعافية.

٧) شيخنا السيد العلامة الفقيه المسند سلطان العلماء سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري مدير رباط تريم أطال الله عمره في خير وعافية.

٨) الشيخ الفقيه محمد بن علي الخطيب أطال الله عمره في خير وعافية.

٩) الشيخ الفقيه محمد بن علي باعوضان أطال الله عمره في خير وعافية.

١٠) شيخنا الشيخ الفقيه علي بن سالم بكير باغيثان أطال عمره في خير وعافية.

١١) ابنه شيخنا ومربينا وإمامنا العلامة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ عميد دار المصطفى بتريم.

وغيرهم كثير لا يستطيع القلم حصرهم.

۞ مؤلفاته المطبوعة:

١) تكملة زبدة الحديث في فقه المواريث.

٢) المفتاح لباب النكاح.

٣) تعليقات على كتاب بغية المسترشدين.

٤) هدية المسلم.

٥) التذكرة الحضرمية فيما يجب على النساء من الأمور الدينية.

٦) النفحة الوردية ، نظم قصة الميلاد المحمدية.

٧) نظم مولد الحافظ ابن كثير.

٨) النقول الصحاح على متن العدة والسلاح.

٩) الفوائد الثمينة لقارئ المختصر والسفينة.

١٠) الوسيلة للوقاية من مضلات الفتن بجواب أسئلة عدن.

١١) الفوائد النحوية لقارئ الأجرومية.

١٢) نظم لفوائد ومسائل علمية وفقهية.

١٣) دليل المسلم، كتيب لطيف تحدث فيه عن أهم واجبات المسلم وما يجب معرفته.

١٤) فتاواه الكبرى وقد طبعت مؤخراً باسم ((فتاوى الشهيد)).

والمخطوط منها:

١) مجموع كلام ومواعظ الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين في عشرة مجلدات بخط يده.

٢) نفح الطيب العاطري في مناقب الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري في مجلد كبير.

٣) رحلة الحبيب مصطفى المحضار سنة ١٣٧١هـ إلى حضرموت وزيارة نبي الله هود.

٤) ديوان شعر.

٥) رحلاته إلى الحجاز والهند وغيرها.

❁ أوصافه رضي الله عنه:

كان رضي الله عنه كثير الأدب والتخلق بأخلاق جده صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، كثير التواضع والانكسار لربه، لا يرى لنفسه قدراً ولا مكانة، كثير الزهد في الدنيا لا يميل إليها، وليس له التفات إلى ما فيها، مغتنماً لعمره ولحظاته، فلا يصرف نفس من أنفاسه إلا في طاعة أو قربة، من تدريس، أو قراءة، أو ذكر، أو صلاة.

ولم يزل على هذه الأوصاف وهذه السجايا العظيمة صادعاً بالحق في وقت خاف فيه كثير من أهل العلم مما كانت تمارسه فرقة الإلحاد من الشيوعين باليمن، حيث أغلقوا دور العلم، وسجنوا وقتلوا العلماء، ومنهم من سحبوهم بالسيارات على الأرض حتى الموت؛ لكن هذا الإمام لم يسكت واستمر في الدعوة والتعليم، وطلب منه بعض أصحابه أن يسكت خوفاً عليه، فأبى وقال له: مرحبا بالشهادة إذا جاءت، واستمر على ذلك حتى اختطفته فرقة الالحاد من الشيوعين سنة ١٣٩٢هـ قبل صلاة الجمعة، فأعلى الله له الدرجات، وجمعنا به في أعلى عليين مع النبي الأمين.

آمين اللهم آمين

كتبه

علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

تريم صانها الله

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالعظمة والكبرياء، ذي الجلال والبهاء، المتصرف في خلقه كيف شاء، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبدالله سيّد الموحدين الأتقياء، وإمام المرسلين والأنبياء، المبعوث بتوحيد رب الأرض والسماء، وعلى آله الأصفياء، وصحبه النجباء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء، أما بعد...

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الملك القدوس: علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس، لطف الله به في الدارين، كنت قد شرحت في حلقات إذاعية قبل ما يقارب العشر السنوات كتاب شيخ شيوخنا العلامة الشهيد الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وهو كتاب (**دروس التوحيد**) وكان ذلك لإذاعة بث نور الإيمان برباط المصطفى بالشحر، وقد قامت إحدى الأخوات من المدرسات بتريم جزاها الله خيراً بتفريغ الحلقات في دفاتر، فعنّ لي أن أجمع هذا الشرح وأزيد عليه ما يحتاج من مسائل مهمة متعلقة بعلم التوحيد، وأرتبه في كتاب ليستفيد منه إخواني من طلاب العلم، ورغبة في المشاركة في نشر العلم والقرب من الله تعالى في علاه، وحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وخصوصاً أن كتاب (**دروس التوحيد**) كتاب مبارك استفاد منه القاصي والداني من الطلاب؛ لصدق مؤلفه، ولما فيه من علوم ومنافع وبيان لما يجب على العبد معرفته في حق الله تعالى وحق الرسل، وما أخبر به نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من أخبار مما يجب الإيمان به من

السمعيات، وحاولت التعرض للرد على بعض الشبهات التي قد تثار حول بعض مسائل هذا الفن، فوفقني الله تعالى إلى ذلك، وكان هذا الذي بين أيديكم.

وحين أتممت الشرح.. عرضته على شيخنا وبركتنا الداعي إلى الله المفكر الإسلامي الدكتور الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور حفظه الله ورعاه وقوّاه، وطلبت منه أن يسمي الشرح لتحصل بركته عليه، فأطلق عليه اسم (**الشرح السديد لكتاب دروس التوحيد**)، ونظم كلمات مباركة تعضيداً للكتاب، فجزاه الله عنا وعن الأمة خيراً كثيراً.

أسأل الله تعالى كما نفع بأصله أن ينفع بشرحه، وأن يجعله خالصاً مخلصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إلى جنات النعيم، وسببا للفوز بمرافقة سيدي وحبيبي رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وخدمة لهذا الإمام الشهيد الذي ضحّى بروحه من أجل الدين العلامة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ، وفرحاً وسروراً لقلوب شيوخنا، وخصوصاً ابن المؤلف شيخي مفتي تريم العلامة الفقيه الحبيب علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ حفظه الله ورعاه، وشيخي ووالدي وسيدي وقرة عيني من أنا حسنة من حسناته العلامة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ نفعنا الله بهم أجمعين، آمين اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه

علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

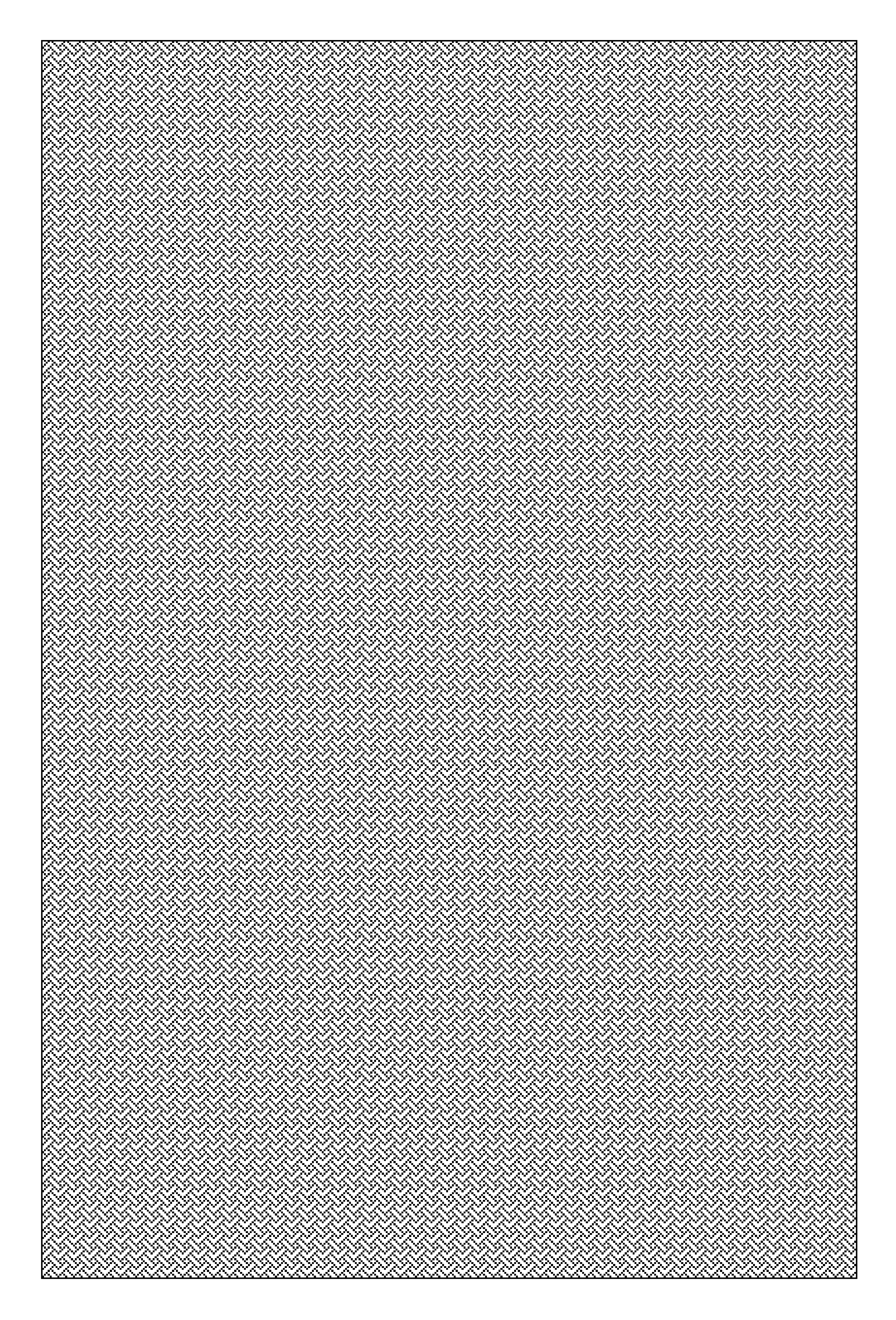
يوم الأربعاء ١٨ من شهر جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

الموافق ١٥ فبراير ٢٠١٧م

تريم صانها الله ورعاها



مقدمة الكتاب



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾.

الشرح

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المؤلف رحمه الله ونفعنا به كتابه كغيره من أهل العلم والمتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالبسملة وذلك اقتداءً بكتاب الله تعالى، وعملاً بقول الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : ((**كُلُّ أَمْرٍ ذِيْ بَالٍ لا يُبْدَاءُ فِيْهِ بِبِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرّحيمِ فَهُوَ أَبْتَرٌ**)) أخرجه الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة، أي كمقطوع الذنب بمعنى قليل البركة، ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**ذي بال**))،أي: صاحب حال يُهْتَمّ به شرعاً، أي ليس من سفاسف الأمور، وهو الشرط الأول من شروط الابتداء بالبسملة ولها شرطان آخران وهما:

١. أن لا يكون ذِكْراً مَحْضاً.
٢. أن لا يجعل له الشّارع مبدأ آخر كخطبة الجمعة.

والباء في (**بسم**) معناها المصاحبة على وجه التبرّك، أي: أُؤلّف كتابي مُتبرِّكاً بسم الله، وهو فِعْلٌ خاص إذ كل شارعٍ في فِعْلٍ يُضمِرُ في نفسه اللفظ الذي جعل التسمية مبدأ له، فالكاتب مثلاً يُضْمِرُ بقوله: بسم الله أكتبُ، والمؤلِّفُ يُضْمِرُ

....

الشرح

لذلك: بسم الله أؤلّف، وقسْ على ذلك.

ولفظ الجلالة (**الله**) عَلَمٌ على الذّاتِ المعبود بحقٍّ الواجب الوجود المستحق لجميع الكمالات، المنزّهِ عن كل نقصانٍ.

وهو أعظم الأسماء وأجمعها وأكثرها استعمالاً، ولذلك لم يُثنَّ ولم يُجمع، ولم يُسمّ به غيره ولو تنعتاً، وذُكِرَ في القرآن في ألفين وثلاث مئة وستين موضعاً.

و(**الرحمن**).. وهو المُنعِم بجلائل النِّعم، كنعمة الإسلام والسمع والبصر.

و(**الرحيم**).. هو المنعم بدقائق النِّعم، كحِدّةِ السمع وقوّة البصر، ويُقال رحيمٌ لمن كَثُرة منه الرحمة، والرحمن والرحيم صِفَتَا مُبالغة من الرحمة؛ لأنّ رحمته وسعت كل شيء، وقَدَّمَ الرحمن على الرحيم لأنّه خاص به تعالى، إذ لا يُطلق على غيره تعالى بخلاف الرحيم؛ ولأنّ الرحمن أبلغُ مِنَ الرحيم كمّاً وكيْفَاً، وزيادةُ البِناء تدل على زيادةِ المعنى عند الاتّحاد في الاشتقاق، كما هو هنا حيث الكلمتين مُشتقّتين من الرحمة، هذا من حيث الكَمِّ، فأحرفُ الرحمن أكثرُ مِنْ أحرفِ الرحيم، أمّا مِنْ حيث الكَيْفِ فقد تقدَّمَ معنى كل واحدةٍ منهن.

وبدأ المؤلف رحمه الله كتابه بسورة الإخلاص؛ لأنها تسمى بسورة **التوحيد**، وسورة الإخلاص؛ لأنه لم يذكر فيها سوى صفات الله تعالى السلبية التي هي صفات الجلال، وتسمى أيضاً سورة **المعرفة**؛ لأن معرفة الله تعالى لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة، وهذا يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يأتي المصنف في بداية

الـحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ، ....

الشرح

كلامة بإشارة لطيفة إلى المقصود من هذا الكتاب.

الحمدلة:

والحمد لغةً: الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم، ويكون ذلك بذكر الصفات الجميلة، والأفعال الحميدة سواء كانت في مقابلة نعمة أم لا، وسواء كان جميلاً شرْعاً كالعِلْمِ، أو جميلاً في زَعْمِ الحامد كنهْبِ الاموال، ولذلك قالوا في تعريفه (على الجميل الاختياري).

والحمد في الاصطلاح: فعل يُنبئ عن تعظيم المُنعِم من حيث كوْنِهِ مُنْعِماً على الحامد أو غيره.

والحمد اصطلاحاً هو الشكر لغةً؛ لأنه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الشاكر، أو غيره.

والشكر اصطلاحاً: هو صرْفُ العبد جميع ما أنعمَ اللهُ به عليه فيما خُلِقَ لأجله.(١)

وأتى به المصنف لقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ)) أخرجه ابن ماجة، وفي رواية عند النسائي:((**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ.. فَهُوَ أَقْطَعُ**))والجمع بين حديث البسملة والحمدلة

(١) انظر: مغني المحتاج (١/ ١١)، وإعانة الطالبين (١/ ٥).

وَصَلَّى اللهُ ....

الشرح

هو:

أنّ البسملةَ ابتداءٌ حقيقي وهو ما تقدّم على المقصود ولم يُسبِقْهُ شيء، فليس المقصود مِنْ تأليف الكتاب البسملة بل مسائله المذكورة فيه، والبسملة تقدّمت على ذلك ولم يسبقْهَا شيءٌ، والحمدلَةُ ابتداءٌ إضافي وهو ما تقدّم على المقصود وإنْ سبقه شيء.

وقد ورد عند الإمام أحمد: ((**كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ قَالَ أَقْطَعُ**)) فيحصل الابتداء بجميع أنواع الذِّكْرِ.

(**لله**)، أي: لذاته سبحانه، ولما كان استحقاقه لجميع المحامد.. لم يقل (الحمد للخالق)، ولا (الحمد للرازق)، أو نحوه؛ لئلا يوهم أن استحقاقه للحمد لذلك الوصف، أي: حتى لا يتوهم أنه استحق الحمد لأنه خالق أو لأنه مالك.(١)

(**رب العالمين**)، ومعنى الربِّ المالك، وله معانٍ غير هذا مجموعة في البيت التالي:

قريب محيط مالك ومدبّر ... مربٍ كثير الخير والمولى للنعم
وخالقنا المعبود جابر كسرنا ... ومصلحنا والصاحب الثابت القدم
وجامعنا والسيد احفظ هذه ... معانٍ أتت للرب فأدع لمن نظم

والعالمون: هم الأنس والجن والملائكة، وقيل: هم كل ما سوى الله تعالى.

(**وصلى الله**)، والصلاة مِنَ الله رحمة مقرونة بالتعظيم، ومن الملائكة استغفار:

---

(١) انظر: حاشية الشيخ الشرواني على التحفة (١/ ١٥).

وَسَلَّمَ ....

الشرح

أي طلب المغفرة ولو بغير لفظ المغفرة، ومن الآدميين تضرّعٌ ودعاءٌ.

وقد ورد في الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: ((من صلى عليَّ في كتاب.. لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام اسمي في ذلك الكتاب)). أخرجه الطبراني.

ويُكره إفراد الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم دون التسليم، كذا العكس؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمًا﴾ {الأحزاب: ٥٦}، لكن محلُّ ذلك في غيرِ ما ورد في الإفراد، ولغير داخل الحجرة الشريفة أمّا هو أي الداخل فلا يكره لو سلّم دون الصلاة.

و قال الشيخ ابن حجر كما ذكره في ((بغية المسترشدين)): (ولفظاً لا خطّاً.. فلا يكره الإفراد فيه) اهـ.

لكن قال الصبّان: (إذا صلى في مجلس وسلَّم في آخر.. أتى بالمطلوب، وهو الاختيار عندي وفاقاً للحافظ ابن حجر وغيره) اهـ.(١)

(وسلم)، والسلام: التحية، فسلام الله تعالى تحيته اللائقة به صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بحسب ما عنده تعالى.

والمراد بالتحية: أن يُسمعه من كلامه القديم الذي لا مثل له، الدال على رفعة

---

(١) حاشية الصبّان على الأشموني (١/ ١٢)، وانظر كذلك بشرى الكريم (٥١).

عَلَى سَيِّدِنَا ....

الشرح

مقامه العظيم ما تقر به عينه، وتبتهج بها نفسه، ويتسع به جاهه.[1] وقال بعضهم: معنى السلام: أن يسلِّمه من كل آفة منافية لغاية الكمال، والمخلوق لا يستغني عن زيادة الدرجات وإن كان رفيع المنزلة، على القول بعدم تناهي كمال الإنسان الكامل إذ ما من كمال إلا وعند الله أعظم منه، وما من وقت إلا وهناك نوع من الرحمة والتحية لم يحصل له .

وقال بعضهم: أن السلام بمعنى الأمان، ولم يرتض البعض هذا المعنى؛ لما فيه من الإشعار بمظنة الخوف مع أن أتباعه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {يونس: ٦٢}، ومن قال بأن السلام بمعنى الأمان أثبتوا أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يخاف خوف مهابة وإجلال، ولذلك قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((أَمَا وَالله إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ للهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ)) أخرجه مسلم وأحمد.

(**على سيدنا**)، أي: سيد جميع المخلوقات، ولفظةُ السيد تُطْلَقُ على مَنْ وُجدَتْ فيه أحدُ الخصال الأربع التالية:

١- مَنْ سادَ في قومِهِ.
٢- مَنْ كَثُرَ سوادُهُ، أي جيشُهُ.
٣- مَنْ تَفْزَعْ إليهِ الناسُ عندَ الشدائِدِ.

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٦٩).

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ....

الشرح

٤ـ الحلِيمُ الذي لا يَسْتَفزّهُ غَضَبُهُ.

وقد جَمَعَ هذه الصفات كلّها حبيبُنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

(**محمد**)، ويقال في الأصل لمن كثر حمد الناس له لكثرة خصاله الحميدة، وهو هنا علم على نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

(**وآله**)، وهم المؤمنون من بني هاشم والمطلب، وقيل: هم في مقام الدعاء كل مؤمن ولو عاصي، وفي مقام الثناء كل مؤمن تقي، قال في إعانة الطالبين:(((قوله: وقيل هم كل مؤمن) أي ولو كان عاصيا؛ لأنه أحوج إلى

الدعاء من غيره؛ لكن تعليله بالخبر الضعيف، وهو (آل محمد كل تقي)، يفيد تخصيص المؤمن بغير العاصي إلا أن يراد بالتقي التقي عن الشرك، وهو أول مراتب التقوى.

(قوله أي في مقام الدعاء ونحوه) المشتهر أن هذا القيل خاص بمقام الدعاء، ومحل الخلاف عند عدم القرينة، والا فسر بها يناسبها.

قال العلامة الصبان: وما اشتهر من أن اللائق في مقام الدعاء تفسير الآل بعموم الاتباع، لست أقول بإطلاقه، بل المتجه عندي التفصيل.

فإن كان في العبارة ما يستدعي تفسير الآل بأهل بيته حمل عليهم، نحو: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا.

وما يستدعي تفسير الآل بالأتقياء حمل عليهم، نحو: اللهم صل على سيدنا محمد

وَصَحْبِهِ ....

الشرح

وعلى آل محمد الذين ملأت قلوبهم بأنوارك وكشفت لهم حجب أسرارك.

فإن خلت مما ذكر حمل على الأتباع، نحو: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد سكان جنتك وأهل دار كرامتك)) اهـ.(١)

(وصحبه)، والصحب جمعُ صاحبٍ، والصحابي هو: مَنْ لقِيَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلّم بعد البعثة يقظةً في حياته على الأرض وهو مُؤمِنٌ به وماتَ على الإيمان، بمعنى أنّنا لا نطلِقُ على الشخص صحابي إلا إذا اجتمعتْ فيه الشروط التالية:

١ـ أنْ يلتقِي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تشترط الرؤية له صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ عبد الله ابن أم مكتوم لقِيَ النبي صلى الله عليه ولم يَرَهُ؛ لأنّه قد كُفّ بصره ولكنه صحابي جليل؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه.

٢ـ أنْ يكون اللقاء بعد البعثة.

٣ـ أنْ يكون اللقاء يقظة وفي حياته صلى الله عليه وآله وسلم لا بعد موته ولا في حياته في المنام، فمَنْ راءه صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ولكنه في النوم لا يُسمّى صحابِياً.

٤ـ أنْ يكون اللقاء في الأرض لا في السماء.

٥ـ أنْ يلتقي به وهو مؤمِنٌ بنبوته.

(١) انظر: إعانة الطالبين (١/ ١٣)، وحاشية الترمسي (١/ ١٧٣).

وَالتَّابِعِينَ ....

الشرح

٦ـ أنْ يموت على الإيمان، وهو شرط لدوام الصحبة.

وأعلم أنّ هذه الشروط كلّها قد اجتمعتْ في سيدنا عيسى بن مريم وسيدنا إدريس وسيدنا الخضر عليهم السلام حين اجتمعوا به صلى الله عليه وآله وسلم في بيت المقدس ليلة الإسراء بالأرواح والأجساد، فكلّهم يُعدَّونَ مِنْ أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنهم أحياء. وبه يلغز فيقال لنا: صحابة أفضل من أبي بكر الصديق.

فائدة:

سُمّي سيدنا الخضر بهذا الاسم لأنّه ما جلسَ على أرضٍ إلا اخضرّتْ، واسمه الحقيقي بَلْيا بن مَلْكان بفتح الباء وسكون اللام بعدها مثناة تحتية وفتح الميم وسكون اللام وآخره نون، وقيل أنّ مَنْ عرَفَ اسمه واسم أبيه دخل الجنة، كما ذكر ذلك الإمام البيجوري في حاشية على شرح ابن قاسم على أبي شجاع.

(والتابعين)، جمع تابعي هو: من لقي صحابياً، واختلفوا في مسألة صحبته، هل تشترط، أم أنه تكفي مجرد الرؤية فقط كالصحابي؟، فقال بعضهم باشتراطها، ولم يكتفوا بمجرد رؤية الصحابي، كما اتفقوا في إطلاق اسم الصحابي

على من رآه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وقالوا: الفرق أعظم، لشرف رؤيته صلى الله عليه سلم.

وقال آخرون: أنه يكفي مجرد الرؤية فقط دون الصحبة.

....

الشرح

قال السخاوي في (الغاية في شرح الهداية في علم الرواية): ((التابعي ويقال له أيضاً تابع هو من صحب الصحابي قاله الخطيب، وقيل: يكفي اللقاء وإن لم توجد الصحبة العرفية قياساً على الصحابي؛ بل هو هنا أولى؛ لاقتضاء لفظ الصحبة أزيد منه، وهو الذى عليه عمل الأكثرين

وقال النووي: إنه الأظهر؛ ولذا قال الناظم (على الصواب) ويستأنس له بقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : ((طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني))[(١)]..الحديث؛ لما فيه من الاقتصار على مجرد الرؤية والتسوية بينهما ولكن اشترط ابن حبان أن يكون في سن من يحفظ فإن كان صغيرا فلا)) اهـ.

وقال في (دليل الفالحين): ((والتابعين: جمع تابعي، وهو من اجتمع بالصحابي؟ وهل يكتفي بأدنى مدة كما في الصحابي أولاً ويفرق؟ والراجح الثاني كما تقرر في كتب أصول الفقه)) اهـ.

واختلفوا كذلك في اشتراط الرواية عن الصحابي هل تشترط في التابعي أم لا؟ فقال بعضهم: هي شرط، وقال آخرون ليست شرط.

---

(١) أخرجه الترمذي بلفظ: ((**لَا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِماً رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي**))، وابن أبي شيبة بلفظ: ((**لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني**))، والحاكم بلفظ: ((**طوبى لمن رآني و طوبى لمن رأى من رآني و لمن رأى من رأى من رآني و آمن بي**)).

وَبَعْدُ: فَهَذِهِ دُرُوْسٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي (عِلْمِ التَّوْحِيْدِ) لِتَلَامِذَةِ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالسَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ المَدَارِسِ الابْتِدَائِيَّةِ، طِبْقاً لِلْمَنْهَجِ المُقَرَّرِ. وَاللهُ المَسْئُولُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا وَيَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيْمِ.

الشرح

(وبعد): هي كلمة يُؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، وقد أتى بها المصنف رحمه الله هنا اقتداءً بالحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يأتي بها في خطبه فهي سنة، وقد كانوا يأتون بأصلها ، وهو أما بعد بدليل لزوم الفاء في حيزها غالبا، فإنهم يقولون أما بعد فهذ، أو أما بعد فإن، أو أما بعد فقد، وهكذا.

وقد أُختلف في أول من قالها على أقوال وهي:

١) نبي الله داؤد عليه الصلاة والسلام، وهو الأقرب وقد رُجِّح؛ لكن قال الشيخ ابن حجر في التحفة:((وَيُرَدُّ بِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ تَكَلُّمٌ بِغَيْرِ لُغَتِهِ وَفَصْلُ الْخِطَابِ الَّذِي أُوتِيَهُ هُوَ فَصْلُ الْخُصُومَةِ أَوْ غَيْرُهَا بِكَلَامٍ مُسْتَوْعِبٍ لِجَمِيعِ الْمُعْتَبَرَاتِ مِنْ غَيْرِ إخْلَالٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ)) اهـ.(١)

٢) قس بن ساعدة الأيادي الذي يقال: إنه أول من قال: (البيِّنة على المدعي واليمين على من أنكر)، وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة، وقد أخرج الطبراني عن غالب بن أبجر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: ((**رَحِمَ اللهُ قِسَّاً ! إِنَّهُ كَانَ عَلَى دِيْنِ أَبِيْ**

(١) تحفة المحتاج (١/ ٣١)

....

الشرح

إِسْمَاعِيْلَ بْنِ إِبْرَاْهِيْمَ)).

٣) كعب بن لؤي، جد النبي صلى الله عليه سلم، وهو الذي كان يجمع قومه يوم العروبة، أي: يوم الجمعة، ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وكان يقول في خُطبه: أما بعد.

٤) يعرب بن قحطان، الذي هو أول من تنحنح بالعربية الواسعة، ونطق بأفصحها، وأبلغها، وأوجزها.

٥) سحبان بن وائل؛ لأنه قال:

لَقَدْ عَلِمَ الحَيُّ اليَمانُونَ أَنَّنِي   إِذَا قُلْتُ (أَمّا بعْدُ) أَنّي خَطِيْبُهَا

وفي هذه الخمسة الأقوال نظم بعضهم، فقال:

جَرَى الخلْفُ أمّا بعدُ مَنْ كانَ قائِلاً   لَهَا خمسَةُ أَقْوالٍ وَدَاودُ أقربُ

وَكَانَ لَهُ فَصْلُ الخِطَابِ وَبَعْدهُ   فَقِسٌّ فَسُحْبَانَ فَكَعْبٌ فَيَعْرُبُ

٦) نبي الله يعقوب عليه السلام حين جاءه ملك الموت، فقال: أما بعد.. فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء.

٧) سيدنا آدم أبو البشر عليه السلام، وقد مال الشيخ الترمسي إلى هذا القول، فقال في حاشيتة على (المنهج القويم): ((واختلف في أول من نطق بها على أقوال، قال اسماعيل بن غنيم الجوهري: وأول من نطق آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ الآية {البقرة: ٣١}، ومن جملتها – أي:

الشرح

الأسماء – (أما بعد)، ولا يقال الكلام في الأولوية لا في التعليم؛ على أنه لا يلزم من التعليم النطق به، فلا دلالة في الآية، لأنّا نقول هو أبو البشر، وقد ثبت نطقه بجميع ما علمه من الأسماء بقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ الآية {البقرة: ٣٣}، فلزم أن يكون أول من نطق بها)) اهـ.(١)

ثم قال اسماعيل الجوهري بعد أن ساق بقية الأقوال التي ذكرناها: ((وجُمع بين هذه الأقوال بأن الأولية بالنسبة للأول – أي: سيدنا آدم – حقيقية، وبالنسبة لغيره إضافية؛ أي: بالإضافة إلى العرب، أو القبائل – بمعنى: أن كل واحد يعتبر أول من قالها بالنسبة للعرب، أو بالنسبة لقبيلته- فجملة الاقوال سبعة، وقد جمعتها في قولي:

فَهَاكَ خِلَافاً فِي الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَا   بِنُطْقٍ بِأَمَّا بَعْدُ فَاحْفَظْ لِتَغْنَمَا

فَدَاوُدُ وَيَعْقُوْبٌ وَآدَمُ أَقْرَبُ   فَقِسٌّ فَسُحْبَانَ فَكَعْبٌ فَيَعْرُبُ.

انتهى كلام الجوهري.(٢)



(١) حاشية الترمسي (١/ ١٨٣).

(٢) حاشية الترمسي (١/ ١٨٤).

عِلْمُ التَّوْحِيْدِ: هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِثْبَاتُ العَقَائِدِ الدِّيْنِيَّةِ بِالأَدَلَّةِ اليَقِيْنِيَّةِ.



علم التوحيد

كل من أراد معرفة فن من الفنون.. فلابد أن يعرف مبادئه العشرة، والمجموعة في قول الناظم:

إن مبادئ كل فن عشرة ... الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبة والواضعُ ... والاسم الاستمداد حكم الشارعُ
مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفَ

أولها: الحد، وهو التعريف الشامل.

فحد علم التوحيد لغة : هو العلم بأن الشيء واحد.

وشرعاً كما عرفه المصنف: هو علم يعرف به إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية.

وهذا بمعنى الفن المدوّن فيما سيأتي إن شاء الله تعالى، أما بالمعنى الشرعي و هو حقيقته.. فهي التي عرفها المصنف رحمه الله فقال: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.

معنى ألفاظ التعريف:

العلم: وهو الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين والثلاثة نصف الستة، وهكذا.

إثبات العقائد: والعقائد جمع عقيدة، وهي لغة: من عقد الشيء أي: ربطه.

....

الشرح

وشرعاً: هي الأمر الثابت في القلب الذي لا يتطرق إليه شكٌ ولا وهمٌ لدى معتقده.

الدينية: خرج بها غير الدينية كالعقائد الدنيوية.

أدلتها اليقينية: والأدلة جمع دليل، وهو: المرشد إلى المطلوب.

واليقين هو: حكم الذهن الجازم المطابق لموجبه أي: للواقع، وخرج بها الأدلة الظنيّة التي تحتمل التأويل، فلا يستدل بها في التوحيد.

وثاني المبادئ: **موضوعه** الذي يتحدث عنه، وهو ذات الله من حيث ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز في حقه تعالى، وذات رسله من حيث ما يجب وما يستحل وما يجوز في حقهم، وكذلك الممكن من حيث أنه يتوصل به إلى وجود صانعه، وكذا السمعيات الآتية معنا إن شاء الله تعالى من حيث اعتقادها.

ثالثها: ثمرته، أي: فائدته، وهي: معرفة صفات الله تعالى بالبراهين القطعية لا الظنية والفوز بالسعادة الأبدية.

ربعها: **فضله**، وهو أنه أفضل وأشرف العلوم لكونه متعلقاً بذات الله وذات رسله وما يتبع ذلك؛ فالمتعلِق يشرف بشرف المتعلَق به.

خامسها: **نسبته** أي: نسبته إلى بقية العلوم، وهي: أنه أصل العلوم وما سواه فرع عنه.

وسادسها: **واضعه**، و هما اثنان، أولهما: أبو الحسن الأشعري، وهو علي بن إسماعيل بن أبي إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن

....

الشرح

أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعر، وهو القائم بنصرة مذهب أهل السنة والجماعة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، فهو بذلك مؤسس مذهب الأشاعرة .

ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م، تلقى في البداية مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم وقد بلغ الأربعين من عمره.

قال بن خلكان في (وفيات الأعيان):((كان أبو الحسن الأشعري أولاً معتزلاً، ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ورقى كرسياً ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة، مخرج لفضائهم ومعايبهم)) اهـ.

تلقى الإمام الأشعري العلوم عن : الإمام أبي إسحاق المروزي ببغداد وغيره.

أما مصنفاته فقد قيل: أنها بلغت حوالي الثلاثمائة كتاب، منها:

(إمام الصديق)، و(الرد على المجسِّمة)، و(مقالات الإسلاميين)، و(الإبانة عن أصول الديانة)، ورسالة في الإيمان، و(مقالات الملحدين)، و(الرد على ابن الراوندي)، و(خلق الأعمال)، و(الأسماء والأحكام)، و(استحسان الخوض في الكلام)، و(اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)، ويعرف (باللمع الصغير).

توفي الإمام الأشعري سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م، ودفن في بين الركخ وباب البصرة كما ذكره ابن الهمداني في (ذيل تاريخ الطبري)، وقال ابن خلكان في

....

الشرح

(وفيات الاعيان):((ودفن في مشروع الزوايا إلى جانبها مسجد وبالقرب منه حمّام، وهو يسار المار من السوق إلى دجلة)) اهـ.

و ثانيهما أي: ثاني واضعي علم التوحيد هو: أبو منصور الماتريدي: وهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، نسبة إلى ((ماتريد)) وهي محلة بسمرقند، توفي سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م.

من مؤلفاته:

(التوحيد)، و(أوهام المعتزلة)، و(الرد على القرامطة)، و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل)، و(تأويلات القرآن)، و(تأويلات أهل السنة)، و(شرح الفقه الأكبر) المنسوب للإمام أبي حنيفة.

فهذان الاثنان هما واضعا علم التوحيد وكذا من تبعهما، ومعنى أنهما واضعاه، أي: أنهما دونا كتبه، وردّوا الشبه التي أوردها المعتزلة، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبي من لدن آدم عليهم الصلاة والسلام.

سابعها: استمداده، أي: المواضع التي يُستمد منها علم التوحيد مسائله، فإنه يستمدها (من الكتاب والسنة والإجماع)، والمراد بالكتاب القرآن الكريم، وبالسنة أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وبالإجماع: اتفاق مجتهدي العصر من أمة النبي محمد ﷺ على أمر من الأمور الدينية، كما عرفة الإمام العلامة أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي في كتابه (التمهيد في تخريج الفروع على الأصول).

وهذه الثلاثة هي التي يعبر عنها أهل العلم بالأدلة النقلية والعقلية.

ثامنها: اسمه، والذي أشتهر به هو علم التوحيد؛ لأن أشهر مباحثه هو

....

الشرح

مبحث الوحدانية،[(١)] وقد ذكر أهل العلم أن له ثمانية أسماء منها: علم الكلام؛ لأن المتقدمين كانوا يقولون في الترجمة عن مباحثه: الكلام في كذا، أو لأنه قد كثر الاختلاف فيه حول مسألة الكلام.

ويسمى كذلك بعلم العقيدة وعلم الجدل.

تاسعها: مسائله، ومسائل كل فن هي قضياه التي تذكر فيه، وفي علم التوحيد هي قضاياه الباحثة على الواجب والمستحيل والجائز أي: الواجب والمستحيل والجائز في حق الله تعالى وحق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذا قضاياه الباحثة في السمعيات.

عاشرها: حكم الشارع فيه، وهو الوجوب العيني على كل مسلم ومسلم بشرط كونهم من المكلفين، والواجب العيني هو معرفة الواجب والمستحيل والجائز في حق الله تعالى وحق الرسل عليهم الصلاة والسلام دون الخوض في التفصيل، أما وجود من يدفع الشُبُهَ عن البلاد إذا وردت بحيث يكون متمكناً لدرجة أنه يستطيع رد شبهات البدع وإظهار الحق.. ففرض كفاية على أهل كل بلد، قال الإمام الغزالي:((فاعلم أن الحق أنه لابد في كل بلد من قائم بهذا العلم – أي: علم التوحيد– مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة)) اهـ.[(٢)]

وهذه المبادئ العشرة هي التي تسمى بـ((مقدمة العلم))؛ لأنها اسم لمعانٍ يتوقف عليها الشروع في المقصود.

---

(١) انظر: (تهذيب شرح البيجوري على جوهرة التوحيد) (تقديم الأستاذ عبدالكريم الرفاعي) (٢١)، وهو المقصود من قولنا دائماً في الهامش: (شرح البيجوري)، أي: تهذيب شرح البيجوري.

(٢) قواعد العقائد (طبعة دار الفكر) (٢٦).

أَقْسَامُ الحُكْمِ العَقْلِي

الحُكْمُ العَقْلِي ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: وَهِيَ الوَاجِبُ وَالمُسْتَحِيْلُ وَالجَائِزُ.


الشرح

أقسام الحكم العقلي

الأحكام المطلقة ثلاثة، وهي: الحكم العقلي، والحكم الشرعي، والحكم العادي.

فالحكم العقلي هو: إثبات أمر لأمر -كإثبات البقاء لله تعالى- أو نفيه عنه -كنفي البقاء عن الخلق- من غير توقف على وضع أو تكرار.(١)

وأما الحكم الشرعي: فهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الوضع لهما.

والحكم العادي هو: إثبات الرابط بين أمر وأمر، وجوداً وعدماً بواسطة تكرار القران بينهما على الحس، وعدم تأثير أحدهما في الآخر البتة.(٢)

فالحكم على النار بأنها محرقة.. حكم عادي، معناه أن الإحراق يقترن بمس النار في كثير من الأجسام لمشاهدة تكرر ذلك في الحس، وليس معناه أن النار هي التي أثرت في الإحراق.

التلازم بين الأحكام:

هناك نوعان من التلازم: عقلي وعادي.

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ١٢٠).

(٢) انظر: عون المريد (١/ ١٦٠).

....

الشرح

فأما التلازم العقلي.. فكتلازم الجرم والحيز، فلا يتصور انفكاكه أو تخلفه عنه، فلا يكون جرم دون حيز، فحيث وجد أحدهما.. وجد الآخر، ويستحيل وجود أحدهما دون الآخر عقلاً.

واما التلازم العادي.. فهو ربط عادي بين الأسباب ومسبباتها، كالعلاقة بين الأكل والشبع، أو الدواء والشفاء، أو النار والإحراق، فهو ربط بين أمرين يمكن تخلف أحدهما عن الآخر، فيمكن وجود الشفاء دون الدواء كما هو واقع، ويمكن وجود الشبع دون أكل، كحال الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في صيام الوصال، ، ويمكن وجود نار دون إحراق، كنار الخليل إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم.(١)

وينقسم الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام لا تقبل الزيادة: الواجب والمستحيل والجائز؛ لأن كل ما يحكم به العقل إما أن يقبل الثبوت دون الانتفاء وهو الوجوب، وإما إن يقبل الانتفاء دون الثبوت وهو المستحيل، وإما أن يقبلهما معاً وهو الجائز، ولا يتصور قسم رابع، كما انه لا يتصور وجود الثلاثة معاً.



(١) انظر: عون المعبود (١/ ١٦٧).

مَعْنَى الوَاجِبِ وَالمُسْتَحِيْلِ وَالجَائِزِ

الوَاجِبُ: هُوَ الَّذِيْ لَا يَتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ عَدَمُهُ، وَالـمُسْتَحِيْلُ: هُوَ الَّذِيْ لَا يَتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ وُجُوْدُهُ، وَالـجَائِزُ: هُوَ الَّذِيْ يَتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ وُجُوْدُهُ وَعَدَمُهُ.


الشرح

معنى الواجب والمستحيل والجائز

الواجب: هو الذي لا يتصور في العقل عدمه، أي: من المستحيل عدمه، كوجود السمع له سبحانه وتعالى، فلا يتصور في العقل عدم وجود السمع له تعالى، وككون السماء أعلى والأرض أسفل، وكاحتياج الجسم إلى محل يحل فيه، وملازمته لحركة أو سكون إذ لا يتصور عدم الأمرين معاً.

والمستحيل: هو الذي لا يتصور في العقل وجوده، أي: يتصور عدمه، كعدم قدرته تعالى، فإنه لا يتصور في العقل عدم وجود القدرة له تعالى، ومثل ذلك خلو الجسم عن محل يقوم به أو عن الحركة والسكون.

والجائز: هو الذي يتصور في العقل وجوده و يتصور كذلك عدمه، كجعل الشقي سعيد أو عكسه، وكأن يثيب العاصي، ويعاقب المطيع، فكل ذلك جائز في حقه تعالى، وكذلك جائز في حقه تعالى إرسال الرسل، خلافاً للمعتزلة والسمنية، فالمعتزلة يقولون: أنه يجب على الله إرسال الرسل؛ لأنهم أي: المعتزلة يقولون بوجوب الصلاح والأصلح، أي: يجب على الله تعالى أن يراعي الأصلح في حق العباد. وهذا كلام باطل لا يجوز؛ لأن الوجوب يعني أن يتضرر تاركه بتركه، كمن ترك واجباً من واجبات الدين فإنه يتضرر بالعذاب، فلو قلنا بوجوب ما

....

الشرح

يقوله المعتزلة على الله.. لكان المعنى أنه سبحانه يتضرر بتركه، وهذا لا يقول به عاقل من أهل الملَّة، فهل يتضرر المولى بعدم إرسال الرسل، أو بعدم مراعاة الأصلح في حق البشر؟!.

وقد ضرب الإمام الغزالي رحمه الله تعالى مثالا بيَّن فيه بطلان هذا القول فقال:

أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ، ويجب عليه ذلك - عند المعتزلي - فلو قال الصبي: يا رب لم رفعت منزلته علي؟ فيقول: لأنه بلغ واجتهد في الطاعات، ويقول الصبي: أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد " فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلته؟ فيقول الله تعالى: لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا - هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل - وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون: يا رب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فإنا رضينا بها دون منزلة الصبي المسلم؟ فبماذا يجاب عن ذلك، وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال؟.[١]

ثم أن الله سبحانه وتعالى يصيب الأطفال الذين لا ذنب لهم بأنواع الآلام وليس ذلك بظلم منه، تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا.

---

(١) انظر قواعد العقائد (٢٠٦).

....

الشرح

ولهذا فإن إثابته لنا بمحض الفضل لا وجوباً عليه، وكذا العذاب لأهل العذاب فإنه بمحض العدل منه.

قال صاحب الجوهرة:

فإن يثبنا فبمحض الفضل　　　وإن يعذب فبمحض العدلِ
وقولهم إن الصلاح واجبُ　　　عليه زورٌ، ما عليه واجبُ
ألم يروا إيلامه الأطفالاَ　　　وشبهها فحاذر المحالا

وأما الفرقة الثانية وهم (السُّمَنية) نسبة إلى بلد بالهند يقال لها سُومنات، وهم يعبدون الأصنام.

والفرقة الثالثة وهم (البراهمة) نسبة إلى رئيسهم برهام وهم قوم كفار.

فهاتان الفرقتان الأخيرتان وهما السمنية والبراهمة يقولون: أن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم؛ لأن العقل يغني عن الرسل عندهم، فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله، وإن كان قبيحاً عنده تركه، وإن لم يكن عنده حسناً ولا قبيحاً.. فإن احتاجه فعله وإلا تركه، سواء أتى به الرسل أم لا.

وهذا باطل بيّنٌ بطلانه؛ لاختلاف عقول الناس؛ ولأن الواقع يشهد بأن الكثير من أصحاب العقول لم يهتدوا إلى الخالق، فلم تهدهم عقولهم إلى خالقهم، فنعوذ بالله من هذه العقائد.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن إرسال الرسل من الجائز في حقه تعالى كما قال صاحب الجوهرة:

ومنه إرسال جميع الرسلِ　　　فلا وجوب بل بمحض الفضلِ

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ الله تَعَالَى، وَحَقِّ رُسُلِهِ عَلَيْهُمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَمَا يَسْتَحِيْلُ عَلَيْهِ تَعَالَى وَعَلَيْهِم، وَمَا يَجُوْزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَفِي حَقِّهِم.

الشرح

التكليف:

والمخاطب به هو المكلف شرعاً، وقلنا شرعاً إشارة إلى مذهب الأشاعرة، وهو أن المعرفة وجبت بالشرع لا بالعقل، وكذا سائر الأحكام عندهم وجبت بالشرع إذ لا حكم قبل الشرع لا أصلياً ولا فرعياً.

والخلاصة: أن في المسألة ثلاثة مذاهب وهي :

الأول : مذهب الأشاعرة وهو أن المعرفة والأحكام الشرعية ثبتت بالشرع لكن بشرط العقل.

الثاني: مذهب المعتزلة، وهو أن الأحكام كلها ثبتت بالعقل، فهم جعلوا العقول مدركاً للأحكام وإن لم يَرد الشرع، ويقولون أن الشرع جاء مقوياً ومؤكداً للعقل، فلا ينفون الشرع أصلاً؛ وإلا كفروا قطعاً، ويبنون كلامهم على التحسين والتقبيح العقليين، فالحسن عندهم ما حسنه العقل، والقبيح ما قبحه العقل، فإذا أدرك العقل أن هذا الفعل حسن بحيث يُذم على تركه ويمُدح على فعله.. حُكم بوجوبه ، وهكذا كما تقدم.

وعند أهل السنة والجماعة أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع.

الثالث: من المذاهب في المسألة مذهب الماتريدية- وقدمنا مذهب المعتزلة على مذهب الماتريدية ليتبين مخالفة الماتريدية لهم- وهو أي : مذهب الماتريدية : أن

....

الشرح

وجوب المعرفة بالعقل، بمعنى أنه لو لم يرد به الشرع لأدركه العقل استقلالاً لوضوحه لا بناءً على التحسين العقلي كما قال المعتزلة.[1]

تكلم المصنف رحمه الله ونفعنا به ما يجب على المكلف معرفته وهو الواجب والمستحيل والجائز في حق الله تعالى، وفي حق الرسل، وسيتحدث عن كل واحد من هذه بالتفصيل.

والمراد بالتكليف هو: إلزام ما فيه كلفة، وهو الأرجح، وقيل: طلب ما فيه كلفه. فعلى الأول.. يكون قاصراً على الواجب والحرام، وعلى الثاني.. يدخل فيه -مع الواجب والحرام- المكروه والمندوب والمباح.[2]

وشروطه، أي: التكليف أربعة:

١) البلوغ.

٢) العقل.

٣) بلوغ الدعوة.

٤) سلامة الحواس.

فخرج بالبالغ الصبي، فليس بمكلف، وهذا بالنسبة للإنس، أما الجن فهم مكلفون من أصل الخلقة، فلا يتوقف تكليفهم على بلوغ.

---

(١) انظر: حاشية الأمير على شرح الجوهرة (٦٧)، وعون المريد (١/ ١٥٧).

(٢) انظر: شرح الصاوي (٩٤).

....

الشرح

فمن مات من المسلمين قبل بلوغه.. فهو ناج، قال الإمام النووي: (أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدّ بِهِ مِنْ عُلَمَاء الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَال الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْل الْجَنَّة؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا . وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْض مَنْ لَا يُعْتَدّ بِهِ).اهـ(١)

وذكر المازري أن بعضهم ينكر الخلاف في أطفال المسلمين، وأنه لا يوجد خلاف لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ {الطور: ٢١}، قال: وبعض المتكلمين يقف فيهم، أي في أطفال المسلمين ، ولا يرى نصاً قاطعاً بكونهم في الجنة ، ولم يثبت عنده الإجماع فيقول به ، واستثنى قبل ذلك من الخلاف أولاد الأنبياء عليهم السلام، وقال: قد تقرر الإجماع على أنهم في الجنة.(٢)

وأما أولاد المشركين.. ففيه خلاف بين أهل العلم على خمسة مذاهب:

المذهب الأول: ذهب أصحابه إلى الوقف فيهم، وأوكلوا أمرهم في الجنة أو في النار إلى الله تعالى، فيقال:(الله أعلم بما كانوا عاملين)، واستدلوا لذلك بما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ قَالَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**)) أخرجه البخاري، قال الحافظ العراقي في كتابه (طرح التثريب):(اسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّوَقُّفِ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّا

---

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (طبعة المكتب الجامعي الحديث) (١٦/ ٢٨٩).

(٢) انظر: طرح التثريب للحافظ العراقي (طبعة مؤسسة التاريخ العربي) (٧/ ٣٣١).

....

الشرح

لَا نَدْرِي هَلْ هُمْ فِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَنْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ إِنْ بَلَغَ كَانَ مُسْلِمًا فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ بَلَغَ كَانَ كَافِرًا كَانَ فِي النَّارِ) اهـ.

المذهب الثاني: وقاله الأكثرون، أنهم في النار تبعاً لآبائهم.

المذهب الثالث: أنهم يمتحنون في الآخرة، فعن معاذ بن جبل : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:((**يُؤْتَى يَوَمَ القِيَامَة بَالْمَمْسُوْحِ عَقْلاً وَبِالْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ، وَبِالْهَالِكِ صَغِيْرَاً فَيَقُوْلُ الْمَمْسُوْحُ عَقْلاً : يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِيْ عَقْلاً مَا كَانَ مَنْ آتَيْتَهُ عَقْلاً بَأَسْعَدَ بِعَقْلِهِ مِنِّيْ، وَيَقُوْلُ الْهَالِكُ صَغِيْرَاً : يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِيْ عُمُرَاً مَا كَانَ مَنْ آتَيْتُهُ عُمُرَاً بَأَسْعَدَ مِنْ عُمْرِهِ مِنِّيْ وَيَقُوْلُ الْهَالِكُ فِي الْفَتْرَةِ: يَا رَبِّ لَوْ جَاءَنِيْ مِنْكَ رَسُوْلٌ مَا كَانَ بَشَرٌ أَتَاهُ مِنْكَ عَهْدٌ بِأَسْعَدَ بِعَهْدِكَ مِنَّيْ، فَيَقُوْلُ الرَّبُّ تَعَالَى : فَإِنِّيْ آمُرُكُمْ بَأَمْرٍ أَفَتُطِيْعُوْنِيْ ؟ فَيَقُوْلُوْنَ نَعَمْ وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ فَيَقُوْلُ : اذْهَبُوْا فَادْخُلُوْا جَهَنَّمَ، وَلَوْ دَخَلُوْهَا.. لَمَا تَضُرُّهُمْ شَيْئَاً، فَيَخْرُجُ عَلَيْهِمْ فَرَائِضُ مَنَ النَّارِ يَظُنُّوْنَ أَنَّهَا قَدْ أَهْلَكَتْ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ الثَّانِيَةَ فَيَرْجِعُوْنَ كَذَلِكَ، فَيَقُوْلُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقْتُكُمْ بِعِلْمِيْ وِإِلَى عِلْمِيْ تَصِيْرُوْنَ، فَتَأْخُذُهُمُ النَّارُ**)) أخرجه الطبراني.

المذهب الرابع: أنهم في برزخ بين الجنة والنار، حكاه أبو العباس القرطبي.

المذهب الخامس: -وهو الصحيح- الذي ذهب إليه المحققون، هو أنهم من أهل الجنة، ويُستدل له بأشياء منها: حديث الخليل إبراهيم عليه السلام حين رآه النبي ﷺ في الجنة، وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال:((**وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ**)) أخرجه الإمام أحمد.

....

الشرح

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ {الإسراء: ١٥}، ولا يتوجه على المولود التكليف، وَيَلْزَمُهُ قول الرسول ﷺ حتى يبلغ كما في الحديث عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَقُولُ:((**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وهذا متفق عليه كما قاله الإمام النووي.(١)

والجواب عن حديث: ((**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**)) المتقدم.. أنه ليس فيه تصريح بأنهم في النار، وحقيقة لفظه: الله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا، والتكليف لا يكون إلا بالبلوغ.

وقد يحتج البعض بقصة غلام الخضر- الذي قتله سيدنا الخضر- كما في قوله تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ {الكهف: ٧٤}، **فالجواب** هو:

أنه يجب تأويله قطعا لأن أبويه كانا مؤمنين فيكون هو مسلما، فيتأول على أن معناه أن الله علم أنه لو بلغ لكان كافرا لا أنه كافر في الحال، ولا تجري عليه في الحال أحكام الكفار.(٢)

---

(١) انظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٩٠).

(٢) انظر: طرح التثريب (٧/ ٣٣٢).

....

الشرح

وقال الحنفية بتكليف الصبي العاقل بالإيمان؛ لوجود العقل، وهذا كافٍ عندهم، فإن اعتقد الإيمان أو الكفر فأمره ظاهر، وإن لم يعتقد واحداً منهما.. كان من أهل النار؛ لوجوب الإيمان بمجرد العقل.(١)

وخرج بالشرط الثاني من شروط التكليف وهو العقل.. فاقده، وهو المجنون، فهو ليس مكلفاً، وهذا إن بلغ مجنوناً واستمر معه الجنون حتى الموت، بخلاف ما لو بلغ عاقلاً ثمّ جنَّ وكان غير مؤمن ومات كذلك.. فهو غير ناج.

وخرج بالشرط الثالث وهو بلوغ الدعوة.. من لم تبلغه الدعوة، فهو ليس بمكلف، وذلك بأن نشأ في شاهق جبل عل الأصح، خلافاً لمن قال: بأنه مكلف لوجود العقل الكافي لوجوب المعرفة عندهم وإن لم تبلغه الدعوة.(٢)

۞ تنبيه:

من بلغته الدعوة محرَّفة مشوهة بالمنفرات وأباطيل المضلين.. حكمه حكم من لم تبلغه أصلاً؛ إلا أن تلوح له الحقيقة من وراء دخان التشويه، بمعنى أنه لو نظر فيها لوصل إلى الحقيقة؛ ولكنه أعرض عن النظر فيها مع قدرته.. فحكمه حينئذٍ حكم من بلغته الدعوة.

وهذا وقد تواترت النصوص على أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وقد ذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى وجوب الدية مع الكفارة

---

(١) انظر: البيجوري (٤٤).

(٢) انظر: عون المريد (١/ ٤٤).

....

الشرح

على من لقي أحداً لم تبلغه الدعوة فقتله دون أن يقيم عليه الحجة بدعوته إلى الإسلام.[1]

وعلى اشتراط بلوغ الدعوة، فهل يكفي بلوغ دعوة أي: نبي ولو أبينا آدم عليه السلام؛ لأن التوحيد ليس أمراً خاصاً بهذه الأمة؟ أو لابد من بلوغ دعوة الرسول الذي أرسل إليه؟

فالجواب: أن التحقيق كما نقله العلامة الملوي عن الأبّي في شرح مسلم خلافا للإمام النووي هو:(لابد من دعوة الرسول الذي أرسل إليه).[2]

وخرج بالشرط الرابع من شروط التكليف وهو سلامة الحواس.. فاقد الحواس، أي: فاقد السمع والبصر، فليس بمكلف بشرط أن يكون فاقدهما من أصل الخلقة، أي: وُلِدَ وهو أصمٌ أعمى، فإنه في هذه الحالة لن يستطيع معرفة شيء عن الدين أو غيره، ولن يستطيع الكلام كذلك؛ لأن الطفل يتعلم الكلام مما يسمعه من حديث من هم حواليه، فكيف سيتكلم إن لم يسمع كلاماً أصلاً.

ومثله في عدم التكليف من وُلِدَ وهو سميع بصير؛ ولكنه فقد السمع والبصر قبل بلوغه، أو بعد بلوغه وقبل بلوغ الدعوة إليه، ودليل ذلك ما ورد عند الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي والطبراني: ((**أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ:**

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ١٤٦)، وموجز الكلام شرح عقيدة العوام (٣١-٣٢).

(٢) انظر: عون المريد (١/ ١٤٩)، والبيجوري (٤٤).

....

الشرح

رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا)).

۞ حكم أهل الفترة:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ {المائدة: ١٩} وأهل الفترة هم: الأقوام الكائنون بين أزمنة الرسل الذين لم يُرسل إليهم الأول، ولم يدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يُرسل إليهم سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ولم يدركوا سيدنا محمد ﷺ.

ولكن الفقهاء إذا تكلموا عن أهل الفترة فإنما يعنون التي بين رسولنا محمد ﷺ وبين سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، قال في عون المريد:((والمذهب الحق في أهل الفترة (وهم من كان في أزمنة الرسل، أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم) ناجون، وإن بدّلوا وغيّروا وعبدوا الأصنام في زمن الفترة، وهذا مبني على أصول الأشاعرة أن من مات ولم تبلغه الدعوة.. يموت ناجياً؛ لأن الواجبات كلها معلومة وجوبها بالشرع.

قال السيوطي:(لما دلّت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة.. علمنا أنهم –أي: أهل الفترة – غير معذبين).

....

الشرح

وقال الماتريدية: (من مات قبل مضي مدة يمكنه فيها التأمل، ولم يعتقد إيماناً ولا كفراً.. فلا عقاب عليه، بخلاف ما إذا اعتقد كفراً أو مات بعد المدة لا يعتقد شيئاً).

وقد وافق البخاريون من الماتريدية الأشاعرةَ، وحملوا قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه:(لا عذر لأحد في الجهل بخالقه) على ما بعد البعثة.

وصرح الإمام النووي والإمام الفخر الرازي بأن من مات قبل البعثة مشركاً فهو في النار، وعليه حَمَلَ بعض المالكية ما صح من الأحاديث في تعذيب أهل الفترة، بخلاف من لم يشرك منهم، ولم يوحد، بل بقي عمره في غفلة عن هذا كله، وبخلاف من اهتدى منهم بعقله، كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو، فلا خلاف في نجاتهم، فإن قساً كان إذا سئل: هل لهذا العالم إله؟ يقول: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، وأما زيد فكان يسجد ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويقول إني لأنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أؤمن به، وأصدِّقه، وأشهد أنه نبي، ومن طالت به مدة، ورآه مرة .. فليقرئه مني السلام)). انتهى كلام صاحب عون المريد.[1]

وقال البغدادي: فيمن لم تبلغه دعوة الإسلام.. يُنظر فيه؛ فإن اعتقد الحق في العدل والتوحيد، وجهل شرائع الأحكام والرسل.. فحكمه حكم المسلمين، ومعذور فيما جهله؛ لأنه لم يقم به حجه عليه.

---

(١) عون المريد (١/ ١٤٩-١٥٠).

....

﴿الشرح﴾

ومن اعتقد الإلحاد والكفر.. فهو كافر بذلك الاعتقاد، ويُنظر فيه؛ فإن كان قد انتهت إليه دعوة بعض الأنبياء، فلم يؤمن بها.. فقد استحق الوعيد على التأبيد، وإن لم تبلغه شريعة بحال ولم يكن مكلفاً، فإن أنعم الله عليه في الآخرة بالثواب.. فهو فضل منه سبحانه، وليس بثواب له على الطاعة، كما أن إدخال ذراري المسلمين الجنة فضل منه، وليس على الطاعة.

وأما إن كان من لم تبلغه الدعوة غير معتقد كفراً، ولا توحيداً.. فليس بمؤمن ولا كافر، فإن شاء الله عذبه في الآخرة عدلاً، وإن شاء أنعم عليه فضلاً.

فإن قيل: كيف هذا مع أن النبي ﷺ أخبر بأن جماعة من أهل الفترة في النار، كامرئ القيس، وحاتم الطائي، وبعض آباء الصحابة؟، فإن بعض الصحابة سأله ﷺ وهو يخطب فقال:((أين أبي؟ قال في النار)).

أجيب: بأن أحاديثهم أحاديث آحاد وهي لا تعارض القطعي وهو قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ {الإسراء: ١٥}، وبأنه يجوز أن يكون تعذيب من صح تعذيبه منهم لأمر يختص به، يعلمه الله تعالى ورسوله، ومنهم من قصر- العذاب المذكور في الأحاديث على من بدَّل وغيَّر الشرائع وأحدث من الضلال ما لا يعذر به.

وعلى هذا يتلخص لنا أن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

١) القسم الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، وهؤلاء منهم من لم يدخل في شريعة، كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو كما تقدم، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة ، كتبعٍ، فهؤلاء ناجون.

....

﴿الشرح﴾

٢) القسم الثاني: من بدَّل وغيَّر وأشرك، وشرَّع لنفسه وحلل وحرم وهم الأكثر، كعمرو بن لحي، وهو أول من أحدث للعرب عبادة الأصنام، وشرّع الأحكام، فبحَّر البحيرة، وسيَّب السائبة، ووصل الوصيلة، وزادت طائفة على ذلك فعبدوا الجن والملائكة.

٣) القسم الثالث: من لم يشرك ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي، ولا ابتكر شريعة، بل بقي على حالة غفلة.

فما ورد من أحاديث التعذيب.. يحمل على القسم الثاني، أما القسم الثالث فأهل فترة ناجون غير معذبين.

إذا علمت ذلك علمت أن أبويه ﷺ ناجون لكونهما من أهل الفترة، بل جميع آبائه وأمهاته ﷺ ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ {الشعراء: ٢١٩} ، وقوله ﷺ:((**لم أزل أُنقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات**))، والشرك نجاسة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ {التوبة: ٢٨}، ورسول الله ﷺ أطهر الخلق فهل يمكن أن يخرج الطهر من بين نجاسة؟!!.

وقد ألَّف الإمام السيوطي عليه رحمة الله عشر رسائل حول نجاة أبوي النبي ﷺ، فليرجع إليها من أراد التوسع في الأمر.

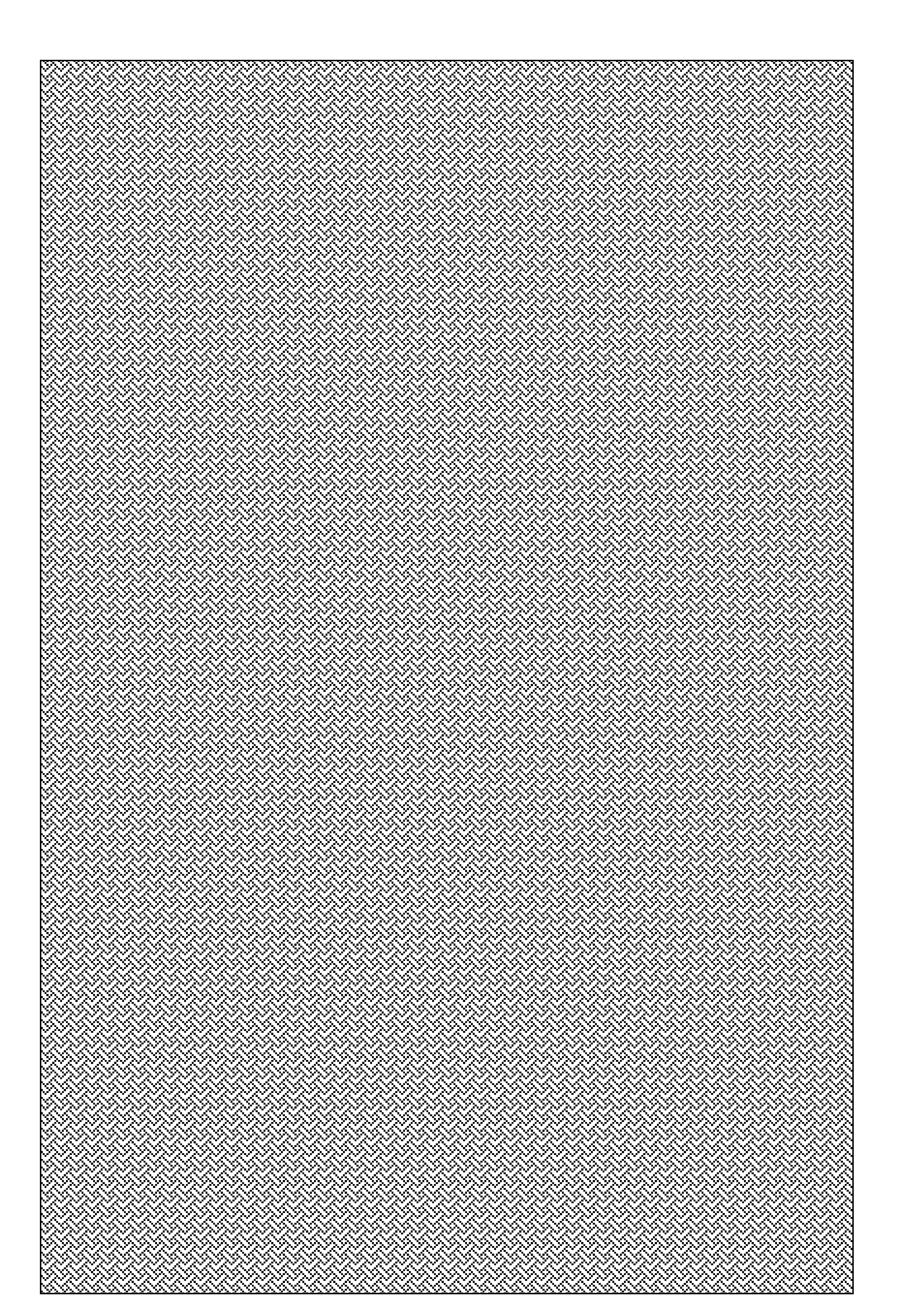
وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر من أن والدي المصطفى ﷺ ماتا على الكفر فمدسوس عليه، وحاشاه أن يقول ذلك.[١]

---

(١) انظر: حاشية الأمير (٦٥)، وعون المريد (١/ ١٥٤)، والبيجوري (٣٨).



القسم الأول
الإلهيات



الإلـهيَّـات

الوَاجِبُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى إِجْمَالاً


الشرح

ألإلهيّات

ينقسم علم التوحيد من حيث مباحثه إلى ثلاثة أقسام: إلهيات، ونبويات، وسمعيات.

فالإلهيات هي: الأمور المتعلقة بذات الله تعالى كالإيمان به وصفاته الواجبة والمستحيلة والجائزة، فجميع المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالإله تسمى بالإلهيات.

والنبويات هي: الأمور المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام، كالإيمان بهم وما أخبروا به عن الله تعالى، والواجب والمستحيل والجائز في حقهم.

والسمعيات هي: الأمور الغائبة عن العيان، أي: لم نرها بالأبصار، إنما هي متلقية من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بواسطة السمع، كالإيمان بالملائكة عليهم السلام، وعذاب القبر ونعيمه والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار ونحوها.

الواجب في حق الله تعالى إجمالاً

الواجب على العبد المكلف شرعاً معرفة الله تعالى في علاه، والمراد بالمعرفة هنا.. معرفة صفاته، وسائر الأحكام الإلهية، لا معرفة ذاته وكنهِ حقيقته؛

....

الشرح

لأنها ليست من الواجبات؛[١] بل لا تعرف لأحد، ولو ارتفعت درجته عند الله، وإن أمكنت

معرفتها عقلاً على قول من يقول بذلك، والأصح أنها لا تجوز عقلاً كما لا تجوز شرعاً.[٢]

قال في هداية المريد:((وبالجملة فلا يعرف الله إلا الله، فترك الإدراك إدراك، والبحث عن ذات الله إشراك، وكل من رام ذلك الحِمى المنيع بمعرفةٍ أو إدراكٍ.. فقد باء بالفشل، وضل مع من ضل))اهـ.[٣]

ولم يختلف أحدٌ من أهل العلم على وجوب معرفة الله بالمعنى الذي ذكرناه، وإنما كان الخلاف بينهم في أول واجب على بالمكلف، قال صاحب الجوهرة:

واجزم بأن أولاً مما يجب   معرفة وفيه خُلفٌ منتصِب

وجملة الأقوال في أول الواجب على المكلف اثنا عشر قولاً، وهي:[٤]

١. أنه المعرفة: أي: معرفة الله تعالى، وهو قول إمام هذا الفن الإمام الأشعري.
٢. أنه النظر الموصل إلى المعرفة، وهو قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، ويعزى هذا القول للإمام الأشعري كذلك.

---

(١) انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١١٥)، والبيجوري على الجوهرة (٥٨)، وهداية المريد شرح جوهرة التوحيد (طبعة دار الخير) (١٩).

(٢) انظر: شرح الصاوي (١١٥-١١٦).

(٣) هداية المريد (١٩).

(٤) انظر: شرح البيجوري (٥٨).

....

الشرح

٣. أنه النظر إلى المقدمة الأولى، وهي: كقولنا عند بداية النظر.. أن العالَم متغير، وهو قول القاضي الباقلاني.

٤. أنه القصد إلى النظر: أي: تفريغ القلب عن الشواغل، وهو قول إمام الحرمين، ويعزى للقاضي الباقلاني أيضاً.

٥. أنه التقليد.

٦. أنه النطق بالشهادتين.

٧. أنه الشك، وهو قول أبي هاشم الجبائي في طائفة من المعتزلة وغيرهم، وقد رُدَّ هذا القول بأن الشك مطلوب زواله؛ لأن الشك في الشيء من العقائد من الكفر، فلا يكون مطلوباً حصوله، إلا إن أرادوا ترديد الفكر.. فيؤول حينئذٍ إلى النظر.

٨. أنه الإيمان.

٩. أنه الإسلام.

١٠. أنه اعتقاد وجوب النظر.

١١. أنه وظيفة الوقت، كالصلاة ضاق وقتها فتُقَدَّم.

١٢. أنه إما المعرفة وإما التقليد فيخيّر بينهما.

والأصح: أن أول واجب – مقصداً –: المعرفة.

....

الشرح

وأول واجب - وسيلة قريبة - : النظر، وأول واجب -وسيلة بعيدة- : القصد إلى النظر.[1]

فائدة:

الإيمان على خمسة أقسام:

الأول - إيمان عن تقليد، وهو الإيمان الناشئ عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل.

الثاني - إيمان عن علم، وهو الإيمان الناشئ عن معرفة العقائد بأدلتها.

الثالث - إيمان عن عيان، وهو الإيمان الناشئ عن مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عن طرفة عين.

الرابع - إيمان عن حق، وهو الإيمان الناشئ عن مشاهدة الله بالقلب.

الخامس - إيمان عن حقيقة، وهو الإيمان الناشئ عن كونه لا يشهد إلا الله.

فالتقليد للعوام، والعلم لأصحاب الأدلة، والعيان لأهل المراقبة ويسمى مقام المراقبة، والحق للعارفين ويسمى مقام المشاهدة، والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله، ولا يشهدون إلا إياه، وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين، وقد منع الله من كشفها فلا سبيل إلى بيانها.[2]

قال صاحب الجوهرة في الإيمان:

وفُسِر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

(١) انظر: البيجوري (٥٩).

(٢) انظر: البيجوري (٦٩).

فَالوَاجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى إِجْمَالاً (اتِّصَافُهُ بِكُلِّ كَمَالٍ)، فَإِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، بِيَدِهِ مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ، قَدِيْمٌ فَلَا ابْتِدَاءَ لِأَوَّلِيَّتِهِ، بَاقٍ فَلَا انْتِهَاءَ لِآخِرِيَّتِهِ.

الشرح

وقد أختلف أهل العلم في الكافر الأصلي إذا أراد الدخول في الإسلام.. هل يلزمه النطق بالشهادتين أم لا؟

فقال بعضهم: لابد من نطقها، وبلفظ أشهد، ولابد من التقريب بين الشهادتين، والمولاة، ولا يشترط الإتيان بحرف العطف وهو حرف الواو بين الشهادتين.

تنبيه:

اشتراط لفظ أشهد هو ما ذهب إليه الشافعية، وهو مبني على المعتقد عندهم؛ لذلك لو أتى بالشهادتين بالعجمية.. لصح إسلامه، وإن أحسن العربية، وخالف الأبيُّ شيخه ابن عرفة، فقال: لا يتعين القول بأشهد؛ بل يكفي كل ما يدل على الإيمان، فلو قال: الله واحد، ومحمد رسول.. لكفى، وتابعه بعض الشافعية كابن حجر والنووي.(١)

والواجب على المكلف شرعاً معرفته في حق الله تعالى إجمالاً: اعتقاد اتصافه سبحانه بكل كمال، ومنزّه عن كل نقصان، لأن ما قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية إجمالاً.. يجب على المكلف شرعاً معرفته إجمالاً كسائر الكمالات في حقه

(١) انظر: شرح البيجوري (٧٠).

الوَاجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى تَفْصِيْلاً

وَالوَاجِبُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى تَفْصِيْلاً عِشْرُوْنَ صِفَةً، وَهِيَ: الوُجُوْدُ وَالقِدَمُ وَالبَقَاءُ وَمُخَالَفَتُهُ لِلْحَوَادِثِ وَقِيَامُهُ بِنَفْسِهِ وَالوَحْدَانِيَّةُ وَالقُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالعِلْمُ

الشرح

تعالى حيث يجب على المكلف إجمالاً أن يعرف أن الله تعالى متصف بجميع الكمالات ومنزَّه عن جميع النقصان.(١)

فهو خالق كل شيء وبيده ملكوت كل شيء، والملكوت هو: الملك، زيدت فيه "التاء" كما زيدت في "الجبروت" من "الجبر" ، وكما قيل: "رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَمُوت"، بمعنى: رهبة خير من رحمة. (٤) وحكي عن العرب سماعًا: "له مَلَكوت اليمنِ والعراق"، بمعنى: له ملك ذلك.

والواجب على المكلف شرعاً معرفته تفصيلاً في حق الله تعالى: إحدى وأربعون صفة، عشرون صفة واجبه، ومثلها مستحيلة، وصفة واحدة جائزة، قال صاحب الجوهرة:

فكل من كلف شرعا وجبا ... عليه أن يعرف ما قد وجبا
لله والجائز والممتنعا ... ومثل ذا لرسله فاستمعا

ومعنى وجوب معرفة هذه الصفات أي: معرفتها تفصيلاً؛ لأن هذه الصفات قامت الأدلة العقلية أو النقلية عليها تفصيلاً.

فالعشرون الصفة الواجبة هي: الوجود، القدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية ، والقدرة، والإرادة، والعلم،

(١) انظر: البيجوري (٤٩).

وَالحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ وَالكَلَامُ، وَكَوْنُهُ قَادِراً، وَكَوْنُهُ مُرِيْداً، وَكَوْنُهُ عَالِماً، وَكَوْنُهُ حَيّاً، وَكَوْنُهُ سَمِيْعاً، وَكَوْنُهُ بَصِيْراً، وَكَوْنُهُ مُتَكَلِّماً.

المُسْتَحِيْلُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى إِجْمَالاً

وَالـمُسْتَحِيْلُ فِي حَقِّ الله تَعَالَى إِجْمَالاً (كُلُّ نَقْصٍ): وَالمَعْنَى أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ تَدُلُّ عَلَى النَّقْصِ فِي حَقِّ الله تَعَالَى وَلَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ فَهِيَ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ وَمُسْتَحِيْلَةٌ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ كَالعَدَمِ وَالعَجْزِ وَالـجَهْلِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيْراً.

الشرح

والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه قادرا، مريداً عالماً حياً سميعاً بصيراً متكلماً.

وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان كل صفة وتفصيلها.

المستحيل في حق الله تعالى إجمالاً

المستحيل في حق الله إجمالاً: اتصافه بأي نقص، فكما إن كمالاته سبحانه وتعالى لا تتناهي، فكذلك أضدادها لا تتناهى، فهو المنزّه سبحانه وتعالى عن أي نقص، وعن أي صفة لا تليق بجلاله وكماله، كالعدم والعجز والجهل وغيرها من الصفات التي سيذكرها المصنف رحمه الله ونفعنا به.

المُسْتَحِيْلُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى تَفْصِيْلاً

وَالْمُسْتَحِيْلُ فِي حَقِّ الله تَعَالَى تَفْصِيْلاً عِشْرُوْنَ صِفَةً وَهِيَ: العَدَمُ وَالحُدُوْثُ وَالفَنَاءُ وَمُمَاثَلَتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ وَاحْتِيَاجُهُ تَعَالَى إِلَى غَيْرِهِ وَالتَّعَدُّدُ، وَالعَجْزُ وَالكَرَاهَةُ وَالجَهْلُ وَالمَوْتُ وَالصَّمَمُ وَالعَمَى وَالبَكَمُ، وَكَوْنُهُ تَعَالَى عَاجِزاً، وَكَارِهاً وَجَاهِلاً وَمَيِّتاً وَأَصَمّاً وَأَعْمَى وَأَبْكَماً، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيْراً.



الصفات المستحيلة في حق تعالى تفصيلاً

ذكر المصنف رحمه الله ونفعنا به الصفات المستحيلة - وهي أضداد الصفات الواجبة - بالرغم من أن إثبات الصفات الواجبة يستلزم نفي ضدها، لكن هذا على طريق القوم من عدم الاكتفاء بدلالة الالتزام ولا بدلالة التضمن، بل مالوا إلى الدلالة المطابقة في العقائد؛ لخطر الجهل في علم التوحيد.

وقد تقدم أن المستحيل هو: ما لا يتصور في العقل وجوده، أو ما لا يقبل الثبوت بحال.

أما الضد لغة: فهو مطلق المنافي سواء كان وجودياً أو عدمياً.

واصطلاحاً: هو ما يشمل أمرين وجوديين بينهما غاية الاختلاف بحيث لا يجتمعان، ويرتفعان بأمر ثالث، كالبياض والسواد.[1]

والمراد بالضد في هذا القسم هو معناه اللغوي، فلا يقتصر على الأمر الوجودي بل يشمل الوجودي والعدمي.

(١) انظر: عون المريد (١/ ٥٠٧).

....

الشرح

والعشرون الصفة المستحيلة في حقه تعالى، هي:

١. العدم، وهي ضد القدم.
٢. الحدوث، وهي ضد القدم.
٣. الفناء، وهي ضد البقاء.
٤. مماثلته للحوادث، وهي ضد المخالفة للحوادث.
٥. الاحتياج، أي: احتياجه تعالى إلى غيره، وهي ضد قيامه بنفسه.
٦. التعدد، وهي ضد الوحدانية، فمن المستحيل أن يكون تعالى متعدد في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وقد تقدم في صفة الوحدانية بيان ذلك.
٧. العجز، وهي ضد القدرة.
٨. الكراهية، وهي ضد الإرادة، فيستحيل أن يُوجِد اللهُ شيئاً مع الإكراه، أو يعدمه مع الإكراه أو النسيان أو السهو، أو مع التعليل أو مع الطبع.
٩. الجهل، وهي ضد العلم، كما يستحيل في حقه تعالى ما في معنى الجهل كالظن والشك والوهم والنوم.
١٠. الموت، وهي ضد الحياة.
١١. الصمم، وهي ضد السمع.
١٢. العمى، وهي ضد البصر.
١٣. البكم، وهي ضد الكلام.
١٤. كونه تعالى عاجزاً، وهي ضد كونه قادراً.

الجَائِزُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى

وَالجَائِزُ فِي حَقِّ الله تَعَالَى صِفَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ: (فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ)، فَيَجُوْزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِعْلُ مَا يَشَاءُ مِنَ الـمُمْكِنَاتِ وَتَرْكُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا.

الشرح

١٥. كونه كارهاً، وهي ضد كونه مريداً.

١٦. كونه جاهلاً، وهي ضد كونه عالماً.

١٧. كونه ميتاً، وهي ضد كونه حياً.

١٨. كونه أصماً، وهي ضد كونه سميعاً.

١٩. كونه أعمى، وهي ضد كونه بصيراً.

٢٠. كونه أبكماً ، وهي ضد كونه متكلماً، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

قال صاحب الجوهرة:

ويستحيل ضد ذي الصفات في حقه كالكون في الجهات

الجائز في حق الله تعالى

والجائز في حقه عز وجل.. صفة واحدة وهي: فعل كل ممكن أو تركه، كجعل الشقي سعيداً و عكسه، وإرسال الرسل، فيجوز في حقه تعالى فعل مات يشاء من الممكنات وترك ما يشاء منها، فلا يجب عليه شيء من الممكنات، كما لا يستحيل، وهذا خلاف المعتزلة فإنهم قالوا بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى، كقولهم: بوجوب الصلاح والأصلح عليه في حق خلقه، وقد تقدم في الدرس الثاني بيان بطلان هذا القول، وأما أهل السنة والجماعة فعندهم الصلاح والأصلح جائز في حقه تعالى، ولا يجب عليه شيء؛ لأنه هو الخالق المتصرف في الوجود، فمن الذي يوجب عليه شيء.

مَعْنَى الوُجُوْدُ وَدَلِيْلُهُ

مَعْنَى الوُجُوْدِ: أَنَّ ذَاتَ الله تَعَالَى مَوْجُوْدَةٌ لَا مَعْدُوْمَةٌ، وَالْمُرَادُ الوُجُوْدُ الذَّاتِيُّ الوَاجِبُ الَّذِيْ لَا يَقْبَلُ العَدَمَ لَا أَزَلاً وَلَا أَبَداً، بِخِلَافِ وُجُوْدِنَا فَإِنَّهُ بِفِعْلِهِ تَعَالَى، وَيَقْبَلُ العَدَمَ. وَضِدُّ الوُجُوْدِ العَدَمُ، فَالعَدَمُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ الله تَعَالَى.

الشرح

فائدة:

قد يصير الممكن عقلاً واجباً شرعاً، وذلك بإخبار الشرع بوقوعه، كدخول الطائع الجنة، وقد يصير الممكن عقلاً مستحيلاً شرعاً بإخبار الشرع بعدم وقوعه، كدخول الكافر الجنة.

معنى الوجود ودليله

تكلم المصنف رحمه الله عن أول صفة من الصفات الواجبة، وهي صفة الوجود والمراد هنا الوجود الذاتي، أي: أن وجوده تعالى متحقق وثابت لذاته لا لعلة، أي: وجود ذاتي، بمعنى أن الغير ليس مؤثراً في وجوده تعالى، وليس المراد أن الذات أثرت في نفسها إذ لا يقول به عاقل، والوجود الذاتي لا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً وأما الوجود غير الذاتي كوجودنا فهو بفعله تعالى، وهو يقبل العدم.

فالوجود الذاتي وهو: هو صفة نفسية ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها.

فخرج بقولنا: (ثبوتية).. الصفات السلبية، فهي تنفي عنها أضدادها.

وخرج بقولنا: (على نفس الذات).. صفات المعاني، فإنها تدل على معنى لا

....

الشرح

على الذات.

وخرج بقولنا: (دون معنى زائد عليها).. الصفات المعنوية.

ووجوده تعالى من غير كيف؛ لأن الكيفية تقتضي الجسمية وهو محال في حقه تعالى، وروى الإمام يحيى بن يحيى قال: ((كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ {طه: ٥}، فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك حتى علاه الرُّحَضَاء – أَيْ الْعَرَق مِنْ الشِّدَّة، وَأَكْثَر مَا يُسَمَّى بِهِ عَرَق الْحُمَّى- ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به –أي: بالاستواء- واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج)) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات.

وكما أن وجوده تعالى بلا كيف، فهو أيضا بلا أين، أي: من غير مكان فلا يسأل عنه بأين؛ لأنه تعالى موجود قبل خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، واعتقاد أن الله في جهة أو في مكان من الأماكن التي خلقها.. هو عقيدة باطلة، ويتمسك الكثير من الجهلة بهذه العقيدة مستدلين بحديث الجارية، والتي فيها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سأل الجارية فقال: ((أين الله)). هذه الرواية مع صحتها إلا أن في لفظها اضطراب، وقد وردت بألفاظ عديدة، فمن ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ أَعْجَمِيَّةٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَقَالَ لَهَا

....

﴿الشرح﴾

رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**أَيْنَ الله**))،فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ بِإِصْبَعِهَا السَّبَّابَةِ، فَقَالَ لَهَا:((**مَنْ أَنَا**)) فَأَشَارَتْ بِإِصْبَعِهَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَإِلَى السَّمَاءِ، أَيْ أَنْتَ رَسُولُ الله ، فَقَالَ:((**أَعْتِقْهَا**)) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود.

وَعَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ جَاءَ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى هَذِهِ مُؤْمِنَةً أَعْتَقْتُهَا؟، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**)) قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ:((**أَتَشْهَدِينَ أَنِّي رَسُولُ الله**)) قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ:((**أَتُؤْمِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ**)) قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ:((**أَعْتِقْهَا**)) أخرجه الإمام أحمد.

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنِ الشَّرِيدِ أَنَّ أُمَّهُ أَوْصَتْ أَنْ يُعْتِقَ عَنْهَا رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَسَأَلَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: عِنْدِي جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ أَوْ نُوبِيَّةٌ فَأَعْتِقُهَا؟، فَقَالَ:((**ائْتِ بِهَا**)) فَدَعَوْتُهَا فَجَاءَتْ، فَقَالَ لَهَا:((**مَنْ رَبُّكِ**)) قَالَتْ: الله ، قَالَ:((**مَنْ أَنَا؟**)) فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**)) أخرجه الإمام أحمد.

فهذه الرواية كلها مخالفة في لفظها للفظ (أين الله)، والموافق لها منها فهو أنها أشارت فقط ولم تتكلم، فما في هذه الروايات هو الصحيح؛ لأنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم علمنا أن الدخول إلى الإسلام بالإيمان بالله تعالى وبه صلى عليه وسلم، وبشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وليس باعتقاد أن الله

....

الشرح

في السماء، ولذلك لو اعتقد الكافر أن الله في السماء لم يكن مؤمنا، وإلى هـذا ذهـب أهل العلم مما يدل على أن هذه الرواية أي: رواية (أيـن الله) فيهـا اضـطراب؛ وإلا لكان من الإيـمان أن يعتقـد الكـافر أن الله في السـماء، نعـم، لـو كـان عامياً لا يفقـه معنـى التجسيم.. أُكتفـي بـذلك منـه كـما في حـديث الجاريـة، قـال عمـدة الحفـاظ الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): (ولو قال من ينسب إلى التجسـيم من اليهود لا اله إلا الذي في السـماء.. لم يكـن مؤمنـا كـذلك، إلا إن كـان عاميـا لا يفقه معنى التجسيم، فيكتفى منه بذلك كما في قصة الجارية التي سألها النبـي صـلى الله عليه و سلم أنت مؤمنـة قالـت: نعـم قـال: فـأين الله قالـت: في السـماء، فقـال: اعتقها فإنها مؤمنة) اهـ.(١)

فيدل كلام الحافظ على أن قول (أين الله) محمول على أن الجارية كانـت عاميَّـة لا تفقه معنى التجسيم، وإلا فاعتقـاد أن الله في السـماء لا يثبـت إيمانـا ولا ينفـي شركـاً، وقـد كـان فرعـون يعتقـد أن الله في السـماء فكـان مـن أهـل هـذا الاعتقـاد الباطـل، قـال تعـالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾ {غـافر: ٣٦ – ٣٧}، وربما قال المخالف إن فرعون لم يعتقد ذلـك، وكـذّب باعتقـاد أنـه تعـالى في السـماء مثل ما كذَّبْتُم أنتم، والدليل على ذلـك قولـه﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾، فـالجواب على ذلك أن مراده كاذبا في وجود إله غيري، أما الاعتقاد الأول فهو موجود لديه

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (طبعة المكتب الجامعي الحديث) (١٣/ ٤٠٣).

....

الشرح

أي أنه يعتقد أن الله لو كان موجوداً فإنه سيكون في السماء، لكنه مكذب أصلا بوجوده بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ {القصص: ٣٨}.

وقد بيَّن أهل العلم معنى قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في رواية (أين الله)، فقال الشيخ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العينى (المتوفى : ٨٥٥هـ) في شرحه لسنن أبي داود عند ذكر الحديث:(قوله: " فقالَ: أين اللهُ" أي: فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سائلاً عنها: أين الله؟ إنما أراد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يَتطلبَ دليلاً على أنها مُوحدة، فخاطبَها بما يفهم قصدها؛ إذ من علامات الموحدين: التوجهُ إلى السماء عند الدعاء وطلب الحوائج؛ لأن العرب التي تعبدُ الأصنامَ تطلب حوائجها من الأصنام، والعجم من النيران، فأرادَ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الكشفَ عن مُعتقدها هل هي من جملة من آمن؟ فأشارت إلى السماء، وهي الجهة المقصودة عند الموحدين. وقيل: إنما وَجْهُ السؤالِ بـ " أين " هاهنا سُؤال عما يَعتقدُه من جلال الباري، وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلالته تعالى في نفسها، والسماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين، فكما لم يَدل استقبالُ الكعبة على أن الله جلت قدرته فيها، لم يدل التوجه إلى السماء والإشارة على أن الله عَزَّ وجَلَّ فيه) اهـ.

....

الشرح

وقال الإمام أبو الوليد الباجي في (المنتقى شرح الموطأ):(وَقَوْلُهُ : لِلْجَارِيَةِ أَيْنَ الله ؟ فَقَالَتْ : فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهَا تُرِيدُ وَصْفَهُ بِالْعُلُوِّ، وَبِذَلِكَ يُوصَفُ كُلُّ مَنْ شَأْنُهُ الْعُلُوّ، فَيُقَالُ مَكَانُ فُلَانٍ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى عُلُوِّ حَالِهِ وَرِفْعَتِهِ وَشَرَفِهِ) اهـ.

وقال الإمام السيوطي في شرحه لسنن أبي داود عند شرح الحديث: (أَيْنَ الله)، قِيلَ مَعْنَاهُ: فِي أَيِّ جِهَة يَتَوَجَّه الْمُتَوَجِّهُونَ إِلَى الله تَعَالَى، وَقَوْلهَا: (فِي السَّمَاء)، أَيْ: فِي جِهَة السَّمَاء يَتَوَجَّهُونَ وَالْمَطْلُوب مَعْرِفَة أَنْ تَعْتَرِف بِوُجُودِهِ تَعَالَى لَا إِثْبَات الْجِهَة وَقِيلَ التَّفْوِيض أَسْلَمُ) اهـ.

وقال الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم مبيناً معنى الرواية ومنزهاً للحق تعالى عن المكان والجهة:(قَوْله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : (أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاء قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُول اللَّهِ قَالَ : أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة).

هَذَا الْحَدِيث مِنْ أَحَادِيث الصِّفَات ، وَفِيهَا مَذْهَبَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرهمَا مَرَّات فِي كِتَاب الْإِيمَان .

أَحدهمَا : الْإِيمَان بِهِ مِنْ غَيْر خَوْض فِي مَعْنَاهُ ، مَعَ اِعْتِقَاد أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء وَتَنْزِيهه عَنْ سِمَات الْمَخْلُوقَات .

وَالثَّانِي: تَأْوِيله بِمَا يَلِيق بِهِ ، فَمَنْ قَالَ بِهَذَا قَالَ : كَانَ الْمُرَاد اِمْتِحَانهَا ، هَلْ هِيَ مُوَحِّدَة تُقِرّ بِأَنَّ الْخَالِق الْمُدَبِّر الْفَعَّال هُوَ اللَّهُ وَحْده ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اِسْتَقْبَلَ السَّمَاء كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي اِسْتَقْبَلَ الْكَعْبَة ؟ وَلَيْسَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ مُنْحَصِر فِي

....

الشرح

السَّمَاء كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِرًا فِي جِهَةِ الْكَعْبَة ، بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّمَاء قِبْلَة الدَّاعِينَ، كَمَا أَنَّ الْكَعْبَة قِبْلَة الْمُصَلِّينَ ، أَوْ هِيَ مِنْ عَبَدَة الْأَوْثَان الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْن أَيْدِيهِمْ ، فَلَمَّا قَالَتْ : فِي السَّمَاء ، عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَة وَلَيْسَتْ عَابِدَة لِلْأَوْثَانِ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : لَا خِلَاف بَيْن الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَة فَقِيههمْ وَمُحَدِّثهمْ وَمُتَكَلِّمهمْ وَنُظَّارهمْ وَمُقَلِّدهمْ أَنَّ الظَّوَاهِر الْوَارِدَة بِذِكْرِ اللهَّ تَعَالَى فِي السَّمَاء كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ {الملك: ١٦} وَنَحْوه لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرهَا ، بَلْ مُتَأَوَّلَة عِنْد جَمِيعهمْ ، فَمَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ جِهَة فَوْق مِنْ غَيْر تَحْدِيد وَلَا تَكْيِيف مِنْ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاء وَالْمُتَكَلِّمِينَ تَأَوَّلَ : فِي السَّمَاء ، أَيْ : عَلَى السَّمَاء ، وَمَنْ قَالَ مِنْ دَهْمَاء النُّظَّار وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْحَاب التَّنْزِيه بِنَفْيِ الْحَدّ وَاسْتِحَالَة الْجِهَة فِي حَقّه سُبْحَانه وَتَعَالَى تَأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَات بِحَسَبِ مُقْتَضَاهَا ، وَذَكَرَ نَحْو مَا سَبَقَ . قَالَ : وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي جَمَعَ أَهْل السُّنَّة وَالْحَقّ كُلّهمْ عَلَى وُجُوب الْإِمْسَاك عَنْ الْفِكْر فِي الذَّات كَمَا أُمِرُوا ، وَسَكَتُوا لِحَيْرَةِ الْعَقْل ، وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيم التَّكْيِيف وَالتَّشْكِيل ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وُقُوفهمْ وَإِمْسَاكهمْ غَيْر شَاكّ فِي الْوُجُود وَالْمَوْجُودَة ، وَغَيْر قَادِح فِي التَّوْحِيد ، بَلْ هُوَ حَقِيقَته ، ثُمَّ تَسَامَحَ بَعْضهمْ بِإِثْبَاتِ الْجِهَة خَاشِيًا مِنْ مِثْل هَذَا التَّسَامُح ، وَهَلْ بَيْن التَّكْيِيف وَإِثْبَات الْجِهَات فَرْق ؟ لَكِنْ إِطْلَاق مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْع مِنْ أَنَّهُ الْقَاهِر فَوْق عِبَاده ، وَأَنَّهُ اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْش ، مَعَ التَّمَسُّك بِالْآيَةِ الْجَامِعَة لِلتَّنْزِيهِ الْكُلِّيّ الَّذِي لَا يَصِحّ فِي الْمَعْقُول غَيْره ، وَهُوَ

....

الشرح

قَوْله تَعَالَى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ {الشورى: ١١} عِصْمَة لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى، وَهَذَا كَلَام الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى) اهـ.

وربما استدل من يعتقد هذا الاعتقاد الباطل ببعض الآيات التي لم يفهما، كقوله تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ {الملك: ١٦}، كما تقدم في كلام الإمام النووي، ولبيان ذلك نورد ما ذكره أهل التفسير المتخصصين في هذا الفن من شرح للآية ليتبين المعنى الصحيح وتنجلي سحابة الوهم:

قال الشيخ الشربيني في تفسيره (السراج المنير) عند ذكر الآية: وقوله تعالى: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ {الملك: ١٦} فيه وجوه:

أحدها: من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها ينزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه.

والثاني: أن ذلك على حذف مضاف، أي: أأمنتم خالق من في السماء.

والثالث: أن في بمعنى على، أي: على السماء، كقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ {طه: ٧١} أي: على جذوع النخل وإنما احتاج القائل بهذين الوجهين إلى ذلك لأنه اعتقد أن من واقعة على الباري تعالى شأنه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم، ولا حاجة إلى ذلك، فإن من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة.

والرابع: أنهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فإن القوم كانوا مجسمة مشبهة وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب نازلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها، فقيل

....

﴿ الشرح ﴾

لهم على حسب اعتقادهم: ﴿ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من تزعمون أنه في السماء. قال الرازي: هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها بإجماع المسلمين، لأنّ ذلك يقتضي إحاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون أصغر منها والعرش أكبر من السماء بكثير فيكون حقيراً بالنسبة إلى العرش وهو باطل بالاتفاق؛ ولأنه تعالى قال: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ {الأنعام: ١٢} فلو كان فيها لكان مالكاً لنفسه، فالمعنى: أما من في السماء عذابه، وإما إن ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده، وأما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ {الأنعام: ٣} فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة في مكانين، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله سبحانه وتعظيم قدرته، والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام) اهـ.

وقال الإمام المفسِّر الفخر الرازي في تفسيره (مفاتح الغيب) أو (التفسير الكبير) عند ذكر الآية: (واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله : ﴿ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين ، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب ، فيكون أصغر من السماء ، والسماء أصغر من العرش بكثير ، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش ، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال ، ولأنه تعالى قال : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴾ {الأنعام: ١٢} ،

....

الشرح

فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكاً لنفسه وهذا محال ، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل ، ثم فيه وجوه :

أحدها : لم لا يجوز أن يكون تقدير الآية : أأمنتم من في السماء عذابه، وذلك لأن عادة الله تعالى جارية ، بأنه إنما ينزل البلاء على من يكفر بالله ويعصيه من السماء، فالسماء موضع عذابه تعالى ، كما أنه موضع نزول رحمته ونعمته.

وثانيها : قال أبو مسلم : كانت العرب مقرين بوجود الإله ، لكنهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وفق قول المشبهة ، فكأنه تعالى قال لهم : أتأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء ، واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء أن يخسف بكم الأرض.

وثالثها : تقدير الآية : من في السماء سلطانه وملكه وقدرته ، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته ، كما قال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {الأنعام: ٣}، فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين ، فوجب أن يكون المراد من كونه في السموات وفي الأرض نفاذ أمره وقدرته ، وجريان مشيئته في السموات وفي الأرض ، فكذا ههنا.

ورابعها : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك الموكل بالعذاب ، وهو جبريل عليه السلام ، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بأمر الله وإذنه) اهـ.

وقال الإمام العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحَسَنِي في تفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) عند ذكر الآية:(﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ من

....

﴿الشرح﴾

ملكوته وأسرار ذاته ، وعبّر بها؛ لأنها منزل قضاياه ، وتدبيراته ووحيه ، ومسكن ملائكته وأوامره ونواهيه ، فكل ما يظهر في الأرض إنما يقضي به في السماء ، وحينئذ يبرز ، فكأنه قال : أأمِنتم خالق السموات؟ وقال اللجائي : كل شيء علا فهو سماء ، وسماء البيت : سقفه، وليس المقصود في الآية سماء الدنيا؛ ولا غيرها من السبع الطباق ، وإنما المعنى : أأمِنتم مَن في العلو ، وهو علو الجلال ، وليس كون الله في سماء الحوادث من صفات الكمال ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً) اهـ.(١)

فتبين من كل ذلك بطلان هذه العقيدة الفاسدة، وأن الله تعالى لا يحل في مكان ولا يحويه المكان ولا الزمان، ولا يوصف بالجهة إلا من باب التعظيم كوصفه بالعلو المعنوي، قال الحافظ ابن حجر في (الفتح):(لا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو؛ لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس) اهـ.(٢)

﴿ فائدة:

أختلف أهل العلم في الوجود على ثلاثة مذاهب، وهي:

الأول: مذهب الإمام الأشعري وهو: (الوجود عين الموجود)، واختلف العلماء في فهم هذه العبارة:

---

(١) (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) تحقيق بسام محمد بارود (٦/ ٢٦٤).

(٢) (فتح الباري) (٦/ ١٤٦).

....

الشرح

- فمنهم من أبقاها على ظاهرها، وعليه يكون في عدِّ الوجود صفة تسامحٌ؛ لأنه يقع صفة في مجرد اللفظ فقط، كأن نقول (الله موجود)، أو (ذات الله موجودة)، فالصفة في مجرد اللفظ؛ وإلا فالوجود عين الموجود، لا صفة قائمة بها.
- وذهب آخرون، كالسعد وأمثاله من المحققين إلى تأويل عبارة الإمام الأشعري فقالوا: ليس المراد العينيّة حقيقة؛ بل المراد أنه ليس زائداً على الذات في الخارج بحيث تصح رؤيته، فلا ينافي أنه أمر اعتباري، وهو الحق الذي لا محيص عنه، وعليه فلا يكون في عدِّ الوجود صفة تسامح؛ لأن الصفة يكفي فيها مغايرة الموصوف وإن لم تكن زائدة في الخارج.

الثاني: من المذاهب، مذهب الحكماء، وهو: أن الوجود عين الموجود في القديم، وزائدة عليه في الممكن الحادث.

الثالث: من المذاهب، مذهب الرازي وجمهور المتكلمين، وهو: أن الوجود غير الموجود، ضرورة مغايرة الصفة للموصوف، وعليه فقد عرَّفوا الوجود بأنه: الحال الواجب للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة، والمراد بكونها حالاً.. أنها واسطة بين الموجود والمعدوم على القول بثبوت الواسطة التي هي الحال، ومعنى كونها واجبة للذات ما دامت الذات.. أنها ثابتة للذات مدة دوام الذات، وعلى هذا فالوجود إذاً زائدة على الذات قديمة كانت أو حادثة؛ لأنه أمر اعتباري.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] **وَقوله تعالى:** ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤] **وَقوله تعالى:** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧]

الشرح

والمقصود من كلمة (الحال) الوجه والاعتبار، وبها – أي: بكلمة (الحال)– خرج صفات المعاني والصفات السلبية، إذ (الحال) له ثبوت في نفسه، لكنه لم يصل لمرتبة الوجود، كما قال الإمام الباقلاني.[١]

وضد صفة الوجود صفة العدم كما تقدم، والمراد هنا الضد اللغوي كما تقدم ذكر ذلك قريباً.

الدليل العقلي على صفة الوجود:

والدليل العقلي على صفة الوجود، أي: من حيث الإدراك العقلي هو وجود هذه المخلوقات الحادثة في هذا الوجود وهو العالَم، فالعالم حادث، وكل حادث يجب افتقاره لمحدث؛ لأنه لا يتصور في العقل وجوده مصنوعاً بلا صانع، فوجب افتقار العالم إلى المحدث وهو الله تعالى، وكل من وجب افتقار العالم إليه فهو واجب الوجود، فوجب وجود الله تعالى، ولو لم يكن واجب الوجود لكان جائز، ولو كان جائز الوجود لما ظهرت الأكوان، كيف وقد ظهرت؟.

الدليل النقلي على صفة الوجود:

والأدلة النقلية على صفة الوجود كثيرة، فمنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ {الأعراف: ٥٤}، وقوله تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ

(١) انظر: عون المريد (١/ ٢٧٥-٢٧٦).

....

الشرح

ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {الحشر: ٢٤}، وقوله تعالى: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ {إبراهيم: ١٠}، وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ {المجادلة: ٧}، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**إن الله صانعٌ كلَّ صانعٍ وصنعَتَهُ**)) أخرجه البخاري.



مَعْنَى القِدَمِ وَدَلِيلُهُ

مَعْنَى القِدَم: أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِيْمٌ أَزَلِيٌّ، لَا ابْتِدَاءَ لِأَوَّلِيَّتِهِ وَلَا افْتِتَاحَ لِوُجُوْدِهِ، بِخِلَافِ قِدَمِنَا. وَضِدُّ القِدَمِ الحُدُوْثُ، فَالحُدُوْثُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى.


الشرح

معنى صفة القدم ودليله

ومعنى القدم في حقه عز وجل: هي سلب العدم السابق لوجوده؛ لأن وجوده تعالى لا أول له.

فالله تعالى في علاه قديم أزلي، لا ابتداء لأوليته، ولا افتتاح لوجوده.

والمراد بالقدم في حقه تعالى (القدم الذاتي) و(مدلولها عدمي) أي: مدلول صفة القدم الذاتي: عبارة عن عدم افتتاح الوجود ذاتاً وصفاتاً، وإن شئت قلت: عدم أولية الوجود، أي: دوام الذات والصفات من الأزل إلى الأبد، وهو ليس معنى وجودياً كما في صفات المعاني، بحيث تمكن رؤيته لو أزيل الحجاب، كما في صفة العلم والقدرة وغيرها من صفات المعاني، وإن كان الاتصاف به حقيقة، لكنه ليس له تحقق خارجي.[(١)]

أما القدم في المخلوقات فالمراد به (القدم الزمني) أي: الذي ينشئه طول المدة، إذ القديم من المخلوقات ما توالت على وجوده الأزمنة، فيقال: كتاب قديم، وبيت قديم، وكما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ {يس: ٣٩}،

(١) انظر: عون المريد (١/ ٢٨٣)، والبيجوري (٨٨).

....

الشرح

والعرجون هو العدق اليابس، فالقدم -في حق الحادث- طول مدة الوجود، وقد حدد الفقهاء طول مدة الوجود بسنة، فلا يقال قديم لمن لم يمكث سنة، وعليه لو قال سيدٌ: القديم من عبيدي حر.. عُتِقَ من مضت عليه سنة وهو في ملكه.

والقدم بهذا المعنى محال في حقه تعالى؛ لأن وجوده تعالى ليس وجوداً زمنياً، ولا للزمان نسبة إلى وجوده البتة، إذ الوجود الزماني من صفات المُحْدَث، ثم أن الله تعالى هو خالق الزمان.

وهناك نوع ثالث للقدم وهو: القدم الإضافي كقدم الأب بالنسبة للابن، فيتحصل من هذا أن **القدم ثلاثة أقسام**:

١) قِدم ذاتي: وهو صفة المولى تعالى في علاه.

٢) قِدم زماني: وهو طول المدة ويطلق في حق الحوادث.

٣) قِدم إضافي.[١]

مسألة:

هل القديم هو الأزلي؟

الجواب: أن لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال وهي:

١) أنهما مترادفان: بمعنى أن كلاً منهما هو ما لا أول له، سواء كان وجودياً، كذات الله تعالى وصفاته الوجودية -أي: صفات الذات-، أو عدمياً، كالصفات السلبية، وكعدمنا في الأزل، أو كان ثبوتياً كالصفات المعنوية. فعلى

---

(١) انظر: تحفة المريد (٦٥).

....

﴿الشرح﴾

هذا كلٌ من الذات والصفات مطلقاً يوصف بالقدم والأزلية.

٢) أن القديم: هو الموجود الذي لا ابتدأ لوجوده، والأزلي: هو ما لا أول له، عدمياً كان أو وجودياً، نسبة إلى الأزل، فكل قديم أزلي ، ولا العكس، ويكون القديم أخص من الأزلي، فهو الموجود الذي لا أول لوجوده، والأزلي هو الأمر الذي لا أول له، وجودياً كان أو عدمياً، أي: لا أول لوجود أو لا أول لعدم.

وعلى هذا فالصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية؛ لأنها صفات عدمية، أي: تنفي عن الله ما لا يليق به، بخلاف الذات العلية والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقدم والأزلية.

٣) أن القديم هو: القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده، والأزلي: هو ما لا أول له عدمياً، أو وجودياً قائماً بنفسه أو بغيره.

وعلى هذا فإن الصفات مطلقاً لا توصف بالقدم، وتوصف بالأزلية؛ لأنها قائمة بالذات لا بنفسها، بخلاف الذات العلية فإنها توصف بالقدم والأزلية معاً.

أما الأعدام الأزلية كالصفات.. فيقال لها الأزلية، ولا يقال لها قديمة.

ومثال الأعدام الأزلية: فلان ولادته سنة كذا، وقبل ولادته لم يكن موجوداً أي: كان معدوماً، فعدمه ليس له أول، فيقال: أنه عدم أزلي، ولا يقال أنه عدم قديم بناءً على هذا القول الثالث، وهو قول السعد.

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣].



الشرح

فائدة:

قال في عون المريد: (يستحيل أن يلحق القدم تغيّر، أو زوال، أما الأزلي الذي ليس بقديم .. فبخلافه كعدم الحوادث السابق المنقطع لوجودها) اهـ. [١]

وضد صفة القدم صفة الحدوث كما تقدم، والحدوث مستحيل في حق الله تعالى.

الدليل العقلي على صفة القدم:

والدليل على صفة القدم عقلاً: أنه لو لم يكن قديماً.. للزم افتقاره إلى محدث يحدثه ويوجده، وذلك مستحيل في حقه تعالى.

الدليل النقلي على صفة القدم:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ {الحديد: ٣}، وقوله ﷺ:((**اللهمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**)) أخرجه مسلم وأحمد.



(١) انظر: عون المريد (١/ ٢٩٢).

مَعْنَى البَقَاءِ وَدَلِيْلُهُ

مَعْنَى البَقَاءِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَمِرُّ البَقَاءِ وَالدَّوَامِ فَلَا انْتِهَاءَ لِآخِرِيَّتِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الأَوَّلُ بِلَا بِدَايَةٍ وَالآخِرُ بِلَا نِهَايَةٍ. وَضِدُّ البَقَاءِ الفَنَاءُ، فَالفَنَاءُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ.

الشرح

معنى البقاء ودليله

معنى البقاء في حق الله عز وجل هو انتفاء العدم اللاحق لوجوده؛ إذ أن وجوده تعالى لا يلحقه عدم، بمعنى عدم الآخرية لوجوده، أو عدم اختتام الوجود ذاتاً وصفاتاً؛ لأن وجوده تعالى لا آخر له، فهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، وهذا من المسلمات العقلية؛ إذ الأولية والنهائية نقص، وكل منهما لا يرد على من ثبت أنه واجب الوجود بالذات.

قال صاحب الجوهرة:

وواجب له الوجود والقدم ... كذا بقاء لا يشاب بالعدم

وضد صفة البقاء الفناء، فصفة الفناء صفة مستحيلة في حق الله، وإثبات البقاء نافياً للفناء قطعاً.

الدليل العقلي على صفة البقاء:

والدليل على ذلك عقلاً: أنه لو أمكن أن يلحقه العدم، أي: لو جاز له العدم.. لانتفى عنه القدم؛ وذلك محال كما بيّنّا ذلك في صفة القدم.

قال صاحب الجوهرة:

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

الشرح

وكـــل مـــا جـــاز عليـــه العـــدمُ ... عليـه قطعـاً يسـتحيل القِـدَمُ

الدليل النقلي على صفة البقاء:

والدليل نقلاً على صفة البقاء قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ {الحديد: ٣}، وقوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ { الرحمن: ٢٦ – ٢٧}.

تنبيه:

عدمنا نحن في الأزل لا أول له، فكنا معدومين، ولا أول لهذا العدم، وله آخر عندما وُجِدنا، والمخلوقات لها أول في وجودها ولها آخر، أما نعيم الجنة وعذاب النار.. فلهما أول ولا آخر لهما، فإن دوام نعيم أهل الجنة واستمرار عذاب أهل النار أبد الآبدين.. مما عُلِم من الدين بالضرورة، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة، فكلٌ من نعيم الجنة وعذاب النارً باقٍ؛ لكن شرعاً لا عقلاً؛ لأن العقل يجوِّز عدمها.[1]

وقد كفر الجهمية القائلين بفناء الجنة والنار وأهلها؛ لمخافتهم الكتاب والسنة.

أما الحق تعالى في علاه.. فلا أول له ولا آخر كما تقدم.

---

(١) انظر: البيجوري (٨٩)، وعون المريد (١/ ٢٩٢).

مَعْنَى مُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ وَدَلِيْلُهَا

مَعْنَى مُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ: عَدَمُ مُمَاثَلَتِهِ تَعَالَى لِشَيْءٍ مِنَ المَخْلُوْقَاتِ، فَلَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ، وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ، وَضِدُّ المُخَالَفَةِ لِلْحَوَادِثِ المُمَاثَلَةُ لَهَا، فَالمُمَاثَلَةُ لَهَا صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى ....

الشرح

فيتلخص من ذلك أربعة أقسام، وهي:

١- أن الله تعالى لا أول له ولا آخر.

٢- أن عدمنا في الأزل لا أول له وله آخر.

٣- أن المخلوقات لها أول وآخر.

٤- نعيم الجنة وعذاب النار لهما أول، وليس لهما آخر.

معنى مخالفته للحوادث ودليلها

ومعنى مخالفته للحوادث: أنه تعالى ليس مماثلاً لشيء منها لا في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال، فليس كذاته ذات، فذات الله تعالى ليست بجرم، والجرم هو: ما يشغل حيّزاً من الفراغ، بينما ذوات المخلوقات جرم، والجرم يشمل الجسم المركب والجوهر الفرد، وهو الجزء الذي لا يتجزأ، فإنه ثابت لا ينكر عندنا، وحادث يتركب جميع الأجسام منه.

ولا كصفاته سبحانه صفات، ولا كأفعاله فعلٌ، فهو مخالف للحوادث التي يلحقها العدم، ومعنى المخالفة لِما ذُكر هو: عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالى.

....

الشرح

فلازم الجرمية: التحيّز؛ لأن كل جرم يشغل حيّزاً من الفراغ.

ولازم العرضية: القيام بالغير؛ لأن العرض هو ما يقوم بغيره.

ولازم الكلية: الكِبَر.

ولازم الجزئية: الصغر.

وإنما وجب له تعالى سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية؛ لأن الحوادث إما: جواهر، أو أعراض تقوم بالغير، أو أزمنة، أو أمكنة، أو جهات، أو حدود، ولا شيء منها بواجب الوجود؛ لما ثبت لها من الحدوث، واستحالة القدم عليها.[1]

فالحق تعالى في علاه لا شبيه له ، ولا نظير ولا مثيل.

والمثيل: هو المساوي في جميع الوجوه.

والشبيه: هو المساوي في أغلب الوجوه.

والنظير: هو المساوي في بعض الوجوه.

وكل ذلك منفي عنه سبحانه وتعالى، كما تقدم.

الدليل العقلي على صفة المخالفة للحوادث:

والدليل العقلي على صفة المخالفة للحوادث أنه لو كان مماثله شيءٌ منها.. لكان سبحانه وتعالى حادثاً، والحادث لا يكون إلهاً؛ لأنه أي: الحادث يفتقر إلى موجد يوجده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) انظر: شرح الصاوي (١٤٩).

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الشرح

الدليل النقلي على صفة المخالفة للحوادث:

والدليل النقلي على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١}).

قال صاحب الجوهرة:

وأنه لما ينال العدم مخالف برهان هذا القدم

أي: دليل مخالفته سبحانه للحوادث هو دليل القدم؛ وذلك بأنه لو لم يكن مخالفاً لها.. لكان مماثلاً، ولو كان مماثلاً لها.. لكان حادثاً، وقد سبق ثبوت قدمه تعالى.

مهمة:

قد يوجد عند البعض إشكال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١} ، وهو أن الكاف بمعنى مثل، فيصير المعنى (ليس مثل مثله شيء)، فالمنفي حينئذٍ يكون مثل المثل، لا المثل، فتوهم الآية حينئذٍ وجود المثل.

وأجيب عن ذلك بأجوبة:

أولها: أن المقصود من الآية نفي مثل ذاته تعالى لا نفي مثل مثله، أي:

أن المثل بمعنى الذات، ودخلت عليها الكاف على هذا التقدير، فأصبح المعنى:(ليس كذاته شيء).

....

الشرح

ثانيها: أن الكاف زائدة لغير توكيد.

ثالثها: أن الكاف صلة، أي: زائدة لتأكيد نفي المثل، فالمعنى:(انتفى المثل انتفاءً مؤكداً).

رابعها: أن الكاف أدَّى المقصود أصالة وهو نفي الشبيه، وأدى المقصود إلى التدليل على النفي، كما تقول:(مثل فلان لا يكذب)، فأنت لم ترد شخصاً آخر يماثل المذكور، مبرأً من نقصة الكذب، بل أردت تبرئة المذكور.

خامسها: أن الكاف من باب الكناية، وفيها طريقان:

الأول: أنها من باب قولك:(مثلك لا يبخل) بمعنى أنت لا تبخل، وهذا على طريق العرب من أنهم إذ قصدوا سَلب أوصاف الذم أو النقص عن أحدٍ لا يسندونها إليه تأدباً وتشريفاً، فلذا كان قولك للكريم:(مثلك لا يبخل) أحسن من قولك: (أنت لا تبخل)؛ لأن فيه إيهام اتصافه بالبخل ثم سلبه عنه، فقولوه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١}.. أحسن من قول:(ليس كالله شيء)، أو (ليس مثله شيء).

الطريق الثاني: أنه يلزم من نفي مثل المثل نفي المثل؛ لأن مثل المثل لازم للمثل؛ لأنهما متماثلان، وبإثبات المثل أو نفيه يثبت أو ينتفي المماثل أيضاً، ونفي اللازم يدل على نفي الملزوم، ولأنه لو فُرض وجود المثل لكان الله مثلاً لذلك المثل، وهو لا يصح نفيه لوجوب وجوده، وقد دلت الآية على نفي مثل المثل، فلزم من ذلك نفي المثل، وهذا هو المراد، فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه، إذ الكناية

....

﴿الشرح﴾

أبلغ من التصريح لتضمنها إثبات الشيء بدليل.

وسادسها: أي: سادس الأجوبة على هذه الشبهة: أن مثل بمعنى المَثَل بفتحتين: أي: الصفة.

وسابعها: أنه بمعنى نفس نحو: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ {البقرة: ١٣٧}، أي: بنفس ما آمنتم به.(١)

مسألة:

يجب على المكلف شرعاً أن يعتقد أن الله تعالى ليس كمثله شيء، ومن ذلك أنه تعالى ليس بجسم؛ لأنه لو كان جسماً لكان مُؤَلَفاً، والمؤَلَفُ أكثر من شيء، قال النسفي في شرح العمدة: ((الجسم اسم مركب))، وهو سبحانه واحد أحد؛ ولأن كل جسم مؤلف من جواهر، وكل جوهر متحيز، وكل متحيز لا يخلوا عن أن يكون – في متحيزه- ساكنا أو متحركاً، وكلا الحركة والسكون حادثان، والجوهر يستحيل خلوّه عن الافتراق والاجتماع والهيئة والمقدار، وهذه أوصاف الحدوث، وما لا يخلوا عن الحوادث فلا يسبقها، أي: لا يسبق الحوادث، إذا لو سبقها لكان عارياً عنها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث، إذاً: فالجواهر حادثة وبالتالي فالأجسام التي تتألف من الجواهر حادثة، وهو سبحانه وتعالى ليس بعرض؛ لأن العرض لا يقوم بنفسه، ولابد له من محل يقوم به، ولا يصح بقاؤه، وهو سبحانه قائم بنفس، لم يزل موجوداً، ولا يقبل العدم، قال الإمام الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد: ((العرض ما يحتاج إلى جسم في تقومه)) اهـ.

---

(١) انظر: شرح الصاوي (١٦١-١٦٢)، وعون المريد (١/ ٢٩٩).

مَعْنَى قِيَامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ وَدَلِيْلُهُ

مَعْنَى قِيَامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ: عَدَمُ احْتِيَاجِهِ تَعَالَى إِلَى [شَيْءٍ يَقُوْمُ بِهِ، أَوْ مَحَلٍّ يَحِلُّ فِيْهِ]، [أَوْ مُخَصِّصٍ يُخَصِّصُهُ، أَوْ مُوْجِدٍ يُوْجِدُهُ]، بَلْ هُوَ الغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَضِدُّ قِيَامِهِ بِنَفْسِهِ احْتِيَاجُهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَاحْتِيَاجُهُ إِلَى غَيْرِهِ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى.


الشرح

معنى قيامه تعالى بنفسه ودليله

معنى قيامه تعالى بنفسه: هو عبارة عن استغنائه تعالى عمن سواه، وعدم احتياجه إلى ما عداه، فلا يفتقر إلى شيء يقوم به أو محل يحل فيه، ومعنى المحل هنا الذات، أي: ذات سوى ذاته، لا بمعنى المكان؛ لأن نفي ذلك عُلم من مخالفته للحوادث، أي: عُلم من إثبات صفة مخالفته للحوادث.. أنه لا يفتقر إلى مكان؛ لأن الحوادث تفتقر إلى مكان كما تقدم حيث أثبتنا سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها.

ولا يفتقر المولى تعالى إلى مخصص أي: فاعل يخصصه بالوجود، فمعنى أنه تعالى لا يحتاج على مخصص: أي: أنه لا يحتاج إلى موجد يوجده، وهذا وإن كان يستغنى عنه بصفة القدم أي: أنه يعرف بإثبات صفة القدم المتقدمة؛ إلا أنه لابد من ذكره بالتفصيل هنا؛ لأنه لا يكتفي في علم التوحيد بدلالة الالتزام، فلا يقال أن القدم يستلزم أنه تعالى لا يفتقر إلى موجد يوجده فلا داعي لذكره هنا، كما أن خطر الجهل بالعقائد شديد، فاحتاج إلى التفصيل.

....

﴿الشرح﴾

فيتلخص من ذلك أن معنى القيام بالنفس شيئان:

عدم افتقاره تعالى إلى المخصص كما ذكرنا ، وعدم افتقاره إلى المحل ، فأما عدم افتقاره إلى المحل.. فيراد به عدم افتقاره لذات يقوم بها، لا عدم افتقاره إلى مكان؛ لأنه منفي في حقه تعالى بصفة المخالفة للحوادث، كما تقدم.

معنى الباء والنفس في قولنا (بنفسه):

أختلف أهل العلم في معنى الباء في قولنا (بنفسه) إلى أقوال وهي:

١) أنها للآلة: وهو قول للسكتاني، ونحوه للشيخ يحيى الشاوي، وزاد الشيخ يحيى: بأن فائدة ذلك تظهر في المقابل، أي: قيامه بنفسه لا بغيره، فالمعنى أن الغير ليس آلة في قيامه تعالى، فهو نظير ما سبق في

وجوده تعالى لذاته لا لعلة، وبذلك يتخلص من إساءة الأدب، لو جُعلت نفسه آلة.

٢) أن الباء للسببية، وهو أولى؛ لأن الآلة واسطة الفعل، كقطعت بالسكين، ولا تناسب هنا.

٣) أنها للتعدية، وهو لا يناسب أيضاً؛ لأن مجرور الباء التي للتعدية يكون مفعولاً به معنى كـ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ {البقرة: ١٧}.

٤) أن الباء بمعنى (في)، وهو قول الشيخ أحمد بن عبدالفتاح الملَّوي حيث اقتصر عليه في حاشيته، فهي للظرفية المجازية، فالمعنى قيامه في نفسه ليس

....

الشرح

باعتبار شيء آخر معه. قال الشيخ الصاوي في شرحه على الجوهرة:((وهو أقرب)) أي: هذا القول.(١)

أما النفس فالمراد بها (الذات)؛ لأن النفس لها عدة إطلاقات منها:

١) الذات، كما هنا.

٢) الدم، كما في قولهم: (ما لا نفس له سائلة لا ينجس) أي: لا دم له.

٣) الأَنَفَة، كما في قولهم:(فلان ذو نفس).

٤) العقوبة، قيل ومنه قوله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ {آل عمران: ٢٨}، أي: عقوبته.

والحق أنه يجوز إطلاق النفس على ذات الله تعالى من غير مشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ {الأنعام: ٥٤}، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ {طه: ٤١}، خلافاً لمن زعم أنها لا تطلق عليه إلا مشاكلة، كما في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ {المائدة: ١١٦}.

والمشاكلة لغةً: المماثلة.

واصطلاحاً: ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً.

---

(١) انظر: الصاوي على الجوهرة (١٥١)، وحاشية الأمير (١٣٤)،

....

الشرح

فمثال التحقيقي: قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ {المائدة: ١١٦}، وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ {آل عمران: ٥٤}، فإن إطلاق النفس والمكر في جانب البارئ تعالى إنما هو المشاكلة.

ومثال التقديري: قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ {البقرة: ١٣٨}، أي: تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس.(١)

قال في (عون المريد): ((الصحيح جواز إطلاق النفس على ذات الله تعالى، باعتبار مأخذه من (النفيس)؛ لأنه سبحانه أنفس الأشياء وأعزها، قال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ {المائدة: ١١٦}، أما النفس باعتبار مأخذه من (النفس).. فلا يصح إطلاقه على الله)) اهـ.(٢)

فائدة:

مما تقدم.. علم أنه سبحانه وتعالى مستغنٍ عن المحل والمخصص معاً، أما صفاته .. فهي مستغنية عن المخصص، وقائمة بذاته تعالى، ولا يعبر عنها بالافتقار إلى الذات؛ لما فيه من الإيهام بأنه تعالى يفتقر إلى غيره.

وذوات الحوادث مفتقرة إلى المخصص، وصفاتها مفتقرة إلى الذات والمخصص معاً.

---

(١) انظر: عقود الجمان (١١٠-١١١).

(٢) عون المريد (١/ ٣٠٩).

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، **وقَوْلُه تَعَالى:** ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨].

الشرح

الدليل العقلي على صفة قيامه سبحانه وتعالى بنفسه:

والدليل العقلي على ذلك أنه لو احتاج سبحانه إلى محل .. لكان صفة، ولو كان صفة.. لما اتصف بصفات المعاني والمعنوية، وهذا محال؛ لأنها واجبة القيام به تعالى، وإذا بطل كونه صفة.. بطل افتقاره إلى المحل، وثبت عدم الافتقار.

ولو احتاج إلى مخصص.. لكان حادث؛ وذلك محال؛ حيث سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفاتاً.

الدليل النقلي على صفة قيامه سبحانه وتعالى بنفسه:

والدليل النقلي على ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ {فاطر: ١٥}، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ {محمد: ٣٨}.



مَعْنَى الوَحْدَانِيَّةِ وَدَلِيْلُهَا

مَعْنَى الوَحْدَانِيَّةِ: عَدَمُ التَّعَدُّدِ، فَهُوَ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَوَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، وَوَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ. وَضِدُّ الوَحْدَانِيَّةِ التَّعَدُّدُ، فَالتَّعَدُّدُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى.


الشرح

معنى الوحدانية ودليلها

ومعنى الوحدانية في حقه تعالى: عدم التعدد فهو سبحانه وتعالى واحد في الذات، ول الصفات ، والأفعال)، فلا ثاني له في شيء من ذلك؛ بل ولا حتى (مشابهة له في ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومبحث صفة الوحدانية لله.. هو أشرف المباحث؛ ولذا سمي هذا العلم بـ(علم التوحيد) إذ هو المقصود من هذا الفن.

واعلم أنه لما ثبت أنه لا خالق سوى الله تعالى.. لزم أنه لا يستحق العبادة غيره، إذ أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية -أي: استحقاق العبادة- متلازمان عرفاً وشرعاً، فالقول بأحدهما قول بالآخر، والإشراك في أحدهما إشراك في الآخر.

فمن اعتقد أنه لا رب، ولا خالق إلا الله تعالى.. لم يرَ مستحقاً للعبادة إلا هو سبحانه.

ومن اعتقد أنه لا يستحق العبادة غيره سبحانه وتعالى.. كان ذلك بناء منه على أنه لا رب إلا الله.

....

الشرح

ومن أشرك مع الله غيره في العبادة كان لا محالة قائلاً بربوبية هذا الغير، هذا ما لا يُعرف في الناس سواه، فإن من لا تعتقد له الربوبية.. استحالة أن يُتخذ معبوداً، لهذا نجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكتفون بالدعوة إلى التوحيد لأحدهما: الربوبية والألوهية، ويصفون كلاً منهما موضع الآخر.[1]

الحاصل:

أنه يلزم من توحيد الألوهية توحيد الربوبية، دون العكس في القضية لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ {لقمان: ٢٥}، وقوله حكاية عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ {الزمر: ٣}.

أما تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات بحيث يجعل كل واحد منهم منقسم عن الآخر.. فهذا من البدع في الدين لم ينزل الله بها من سلطان.

والمراد بصفة الوحدانية هنا: وحدة الذات والصفات والأفعال.

ومعنى الوحدانية في الذات: أنها ليست مركبة من أجزاء متعددة، إذ الشيء المركب من أجزاء يكون (الكل) فيه محتاجاً إلى أجزائه، ويكون كل جزء منها محتاجاً إلى أن تنضم إليه بقية الأجزاء، ولابد من حضورها معه، فإنه لا يقال عن كل عنصر من عناصر المركب وحده (كل)، فنفي التركيب نفي الاحتياج كذلك،

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣١٠)، والبيجوري (٩٧).

....

الشرح

وقد تقدم في صفة المخالفة للحوادث أنه عبارة عن سلب الكلية، ولازمها(الكبر)، والجزئية ولازمها (الصغر) وكل سمات الحدوث.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ {البقرة: ١٦٣}، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ {الإخلاص: ١}، فبالآية الأولى انتفى التعدد، وانتفى أن يكون هناك (واحد) مثله سبحانه وتعالى، لكن هذه الآية لم تنفِ أن يكون مركباً، إذ قد يكون الشيء واحداً ومركباً، فجاء قوله في الآية الثانية: ﴿ أَحَدٌ ﴾ إشارة إلى كونه تعالى في ذاته وماهيته منزهاً عن التركيب، فبقوله تعالى: ﴿ أَحَدٌ ﴾ .. نفى عن ذاته أنواع الكثرة، وأبطل قول النصارى في التثليث، فإنهم أي: النصارى جعلوا الله تعالى مركباً من ثلاثة، حيث زعموا أنه مكوّن من أقانيم: الأب والابن والروح، والمراد بالأقنوم هو الصفة التي هي ظهور الشيء وبروزه وتجليه لغيره، وليست الصفة غير الموصوف، وهو الجوهر والشخص، وزعموا أن هذه الثلاثة واحدة وهو الله تعالى، فأبطل الله زعمهم بإثبات (الأحدية)، وحكم عليهم بالكفر فقال تعالى :﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ {المائدة: ٧٣}.[١]

ووحدة الذات تنفي عن الله تعالى كمين وهما:

١- الكم المتصل في الذات: وهو تركيبها من أجزاء.

---

(١) انظر حاشية الأمير (١٣٦).

....

الشرح

٢- الكم المنفصل في الذات: وهو تعدد الذات، فهو سبحانه وتعالى من حيث الذات أحدي، فلا تركيب ، وواحدي، فلا تعدد.

والكم هو: المقدار القائم بالشيء الذي يقبل القسمة، والمنفصل ما كان في أشياء متباعدة متفاكة، والمتصل ضده.(١)

ومعنى الوحدانية في الصفات: أمران احدهما: أنه سبحانه وتعالى ليس له صفتان فأكثر من جنس واحد، أي: عدم تعددها كقدرتين، أو إرادتين أو اكثر، وثانيهما: أنه لا يوجد لأحد صفة تشبه أو تماثل صفة من صفاته، قال صاحب الجوهرة:

ووحدة أوجب لها ومثل ذي ... إرادة والعلم لكن عم ذي

أي: أوجب وحدة للصفة فليست متعددة من جنس.

فوحدة الصفات تنفي عن الله تعالى كمين كذلك، وهما:

١- الكم المتصل في الصفات: وهو التعدد في صفات الله من جنس واحد، فليس له قدرتان، ولا إرادتان، ولا حياتان، ولا علمان؛ بل هي قدرة واحدة، وإرادة واحدة، وحياة واحدة، وعلم واحد، وكذلك بقية الصفات؛ لأن الصفات معانٍ، والمعاني لا تتعدد.

٢- الكم المنفصل في الصفات: وهو أن يكون لغير الله تعالى صفة تشبه صفة الله تعال، كأن يكون لمخلوق قدرة تشبه قدرة الله، أو إرادة تشبه إرادة

(١) انظر حاشية الأمير (١٤٤).

....

الشرح

الله تعالى.

❁ **تنبيه:**

ربما رد بعضهم مسألة (الكم المتصل) بحجة أن الكم المتصل يَنْصَبُ أصلاً على شيء ذي أجزاء، وهذا المعنى لا يتضح في الصفات.

فالجواب: أن العلماء نزَّلوا كون الصفات قائمة بذات واحدة منزلة التركيب، لا التركيب نفسه؛ لأنه في حقه تعالى مستحيل.(١)

ومعنى الوحدانية في الأفعال.. ليس لغيره معه فعل أو تأثير في فعل من الأفعال، وهو سبحانه الفاعل المختار لفعله، وهو الذي يخلق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصافات: ٩٦}، وقال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ {البروج: ١٦}.

وهذا يسمى عند العارفين (بوحدة الأفعال)، فلا شيء يؤثر بطبعه أو بقوةٍ فيه؛ بل هذا أمر باطل، وقد ظهر في القضية أربع فرق:

الأولى: تقول أن الشيء يؤثر بطبعه، كأن يعتقد أن الأسباب العادية كالنار والسكين والأكل والشرب تؤثر في مسبباتها كالحرق والقطع والشبع والري، أي: يعتقد أن النار تحرق بطبعها وذاتها، وكذلك السكين تقطع، والأكل يشبع، والشرب يروي، كل ذلك بطبعه وذاته، ومعتقد ذلك كافر بالإجماع.(٢)

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣١٢).

(٢) انظر: البيجوري (١٩٧).

....

الشرح

الثانية: تقول أن السكين تقطع والنار تحرق بقوة خلقها الله فيها، وفي كفر معتقد ذلك قولان، الأصح أنه ليس بكافر بل هو فاسق مبتدع.(١)

الثالثة: تقول إن الله هو المؤثر، ولكنهم جعلوا بين الأسباب ومسبباتها تلازماً عقلياً بحيث لا يصح تخلفها، فمعتقد ذلك جاهل، وربما جرَّه ذلك إلى الكفر والعياذ بالله.

الرابعة: تقول أن المؤثر هو الله تعالى، ولكنهم جعلوا بين الأسباب ومسبباتها تلازماً عادياً، بحيث يصح تخلفها، **فهذا هو اعتقاد أهل الإيمان من أهل التوحيد**.

وللعبد في الأفعال وجه اكتساب كما ذهب إلى ذلك أهل السنة والجماعة، فليس العبد مختاراً اختياراً كلياً لكل ما يفعله، وليس هو مستقلاً عن الله، كما قال المعتزلة، ولا هو كالدُّمية ليس له وجه اختيار، كما قال الجبرية، بل جعل الله له وجه اختيار، وهو أي: الاختيار بقدرته سبحانه وتعالى وإرادته، وليس العبد هو الخالق لهذا الاختيار، فصار بهذا الخالق الحقيقي للأشياء هو الله، حتى وجه الاكتساب في العبد هو من الله سبحانه وتعالى ولو شاء لسلبه إياه فصارت حركته دون اختياره كمن ترتعش يده لمرض به فإنها تتحرك دون اختيار.

۞ مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

مذهب أهل السنة والجماعة إلى أن أفعال العبد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرة العبد تأثير فيها؛ بل الله تعالى أجرى عادته بأن يُوجِد

---

(١) انظر: البيجوري (١٩٧).

الشرح

في العبد قدرة واختيارا، فإن لم يكن تمّ مانع أوجد فيه فعله المذكور مقارناً لهذه القدرة وهذا الاختيار اللذَين أوجدهما الله تعالى فيه، فيكون فعل العبد –على هذا– مخلوقاً لله تعالى إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد.

المراد بكسب العبد:

والمراد به: هو مقارنة وجود الفعل بقدرته واختياره، من غير أن يكون ثمة تأثير منه أو مدخل في وجوده سوى أنه أي: العبد كان محلاً لظهور الفعل.[١]

ويتبين لنا –كما ذكر الإمام الغزالي– الفرق بين حركة العبد التي خلت عن كسبه واختياره وبين ما فيها كسب له في مثال بسيط يُرد به على من يقول أن العبد مجبور كلياً، وهو:

أن الإنسان المصاب برعشة في يده لمرض، أو كبير السن الذي ترتعش يده.. لا يستطيع إيقافها، فهي حركة لا اختيار له فيها مطلقاً، بخلاف تحريكها من السليم فالفرق واضح بين الاثنين.

قال صاحب الجوهرة:

وعندنا للعبد كسب كُلِّفا ... ولم يكن مؤثراً فلتعرفا
فليس مجبوراً ولا اختيارا ... وليس كلاً يفعل اختيارا

ووحدة الأفعال تنفي عن الله تعالى الكم المنفصل في الأفعال فقط وهو: أن يكون لغير الله تعالى فعل من الأفعال على وجه الخلق والإيجاد، فلا خالق إلا الله، وحيث يُنسب فعل لغير الله يُنسب على وجه الكسب والاختيار.

(١) انظر: البيجوري (١٩٨).

....

الشرح

ويتبين لنا هذا المعنى في قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال: ١٧}، أي: وما رميت يا محمد خلقاً وإيجاداً، إذ رميت تسبباً واكتساباً، ولكن الله رمى خلقاً وإيجاداً.

وأما الكم المتصل في الأفعال.. فإن فُسِر (بتعدد الأفعال) فهو ثابت لله تعالى، لا يصح نفيه؛ لأن ما في الكون من خلق ورزق وإحياء وإماتة لا يكاد يحصى، وهو فعله تعالى.

وإن فُسِر الكم المتصل (بمشاركة غير الله لله سبحانه) في فعل من الأفعال.. فهو -لا شك- منفي بوحدانية الأفعال.[١]

والخلاصة:

أن صفة الوحدانية نفت كموما خمسة، والمراد بالكم هنا التعدد كما أسلفنا، وهذه الكموم هي:

١) الكم المتصل في الذات: وهو التركيب فيها.

٢) الكم المنفصل في الذات: وهو التعدد والنظير.[٢]

٣) الكم المتصل في الصفات: وهو التعدد في صفات الله تعالى من جنس واحد، والتركيب فيها.

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣١٣)، وحاشية الأمير (١٤٤).

(٢) انظر: شرح الصاوي (١٥٤)، وهداية المريد (٣١)، وعون المريد (١/ ٣١٢).

....

الشرح

٤) الكم المنفصل في الصفات: وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى.

٥) الكم المنفصل في الأفعال: وهو المشاركة له فيها.

وأما الكم المتصل في الأفعال فإنه لا ينفى فيها كما تقدم التفصيل فيه، وهذا على مختار الإمام الأشعري من أن صفات الأفعال حادثة؛ لأنها عنده عبارة عن: تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة، والتنجيز هو الإيجاد أو الإعدام بالفعل، فالتعلق التنجيزي للأفعال عند الأشاعرة حادث.

مثال ذلك: إذا أراد الله تعالى إيجاد أحدنا من الأزل، فلما أراده نفذه بقدرته، فقدرته أنجزت وجود هذا الشخص، فإنجاز هذا الفعل حادث، كما سنذكره إن شاء الله عند (صفة القدرة).

وأما الماتريدية: فصفات الأفعال عندهم قديمة، إذ هي عبارة عن: صفة التكوين القديمة ، فعلى هذا يكون عندهم الكمان منفيان أيضاً، وهما الكم المنفصل في الأفعال والكم المتصل فيها.[1]

تنبيه:

القرآن من أوله إلى آخره مبين للتوحيد وصفة الوحدانية، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده؛ وترك وخلع ما يُعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما

(١) انظر: شرح الصاوي (١٥٥)، والبيجوري (١٤٥).

....

الشرح

أمر ونهي وإلزام بطاعته؛ فهذا من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما إخبار منه تعالى عن إكرامه لأهل التوحيد في الدنيا والآخرة؛ فهو جزاء توحيده، وإما إخبار عن أهل الشرك وما يقع لهم في الدنيا من النكال، وفي الآخرة من العقاب؛ فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فجميع ما في القرآن توحيد.[١]

فائدة:

لم يكفر بالوحدانية إلا بعض الإنس فقط، أما لجن.. فلا يعتقدون الشرك بالله سبحانه، وليس معنى ذلك أنه لا يوجد فيهم كافر، فذلك مخالف للنصوص، وإنما الكفر فيهم بغير الشرك.[٢]

الدليل العقلي على صفة الوحدانية:

والدليل على العقلي على صفة الوحدانية أنه لو كان متعدداً لم يُوجِد شيئاً من هذه المخلوقات) فوجود الأشياء بهذا النظام العجيب.. مبطل للتعدد؛ لأنه لو كانا إلهين.. فإما أن يتفقا، وإما أن يختلفا، فإن اتفقا.. فلا يمكن أن يوجدا الشيء معاً؛ لأن معنى ذلك ورود مؤثرين معاً على أثر واحد، وهذا محال؛ لأنه لا يجتمع مؤثران معاً، كمطرقتي الحداد فإنهما لا يقعان معاً في مكان واحد، ولا يمكن أيضاً لهذين الإلهين أن يوجداه مرتباً؛ لأنه إن أوجده الأول.. فالثاني لا محل له، فكيف يوجد ما هو موجود؟، ولا يمكن كذلك أن يختص أحدهما ببعضه والآخر

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣١١).

(٢) انظر: هداية المريد (٣١)، وشرح الصاوي (١٥٣).

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[البقرة: ١٦٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].

الشرح

ببعضه الآخر؛ لأنه إذا تعلقت قدرة الأول بشيء.. فمعناه انسداد الطريق أمام قدرة الثاني للتعلق به، وهذا عجز يقضي بأنه ليس إله.

وإن اختلفا، بأن أراد أحدهما إيجاد العالم مثلاً، وأراد الآخر إعدامه.. فلا يمكن أن ينفذ مرادهما معاً؛ لأنه يترتب على ذلك اجتماع الضدين، وهو محال، ولا يمكن أن ينفذ مرادُ أحدهما دون الآخر؛ لأن ذلك يعني عجز الذي لم ينفذ مراده، وهو إذاً ليس بإله، إنما الذي نفذ مراده هو الإله.

فثبت بذلك بطلان التعدد، وإذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية.

قال صاحب الجوهرة:

قيامه بالنفس وحدانية ... منزَّهاً أوصافه سنيَّهْ
عن ضد أو شبهٍ شريكٍ مطلقا ... ووالدٍ كذا الولد والأصدقا

الدليل النقلي على صفة الوحدانية:

الدليل النقلي على صفة الوحدانية قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ {البقرة: ١٦٣}، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ {الإخلاص: ١}، وقوله تعالى: ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ {الكهف: ١١٠}، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ {الأنبياء: ٢٢}، واعلم أن (إلا) في هذه الآية الكريمة هي صفة لآلهة بمعنى (غير)، فهي اسمٌ؛ لكن لم يظهر إعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف، ولا يجوز أن تكون (إلا) هنا أداة استثناء، لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ.

مَعْنَى القُدْرَةِ وَدَلِيْلُهَا

القُدْرَةُ هِيَ: صِفَةٌ قَدِيْمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى يُوْجِدُ بِهَا مَا يَشَاءُ وَيُعْدِمُ بِهَا مَا يَشَاءُ، عَلَى وِفْقِ الإِرَادَةِ وَالعِلْمِ. وَضِدُّ القُدْرَةِ العَجْزُ، فَالعَجْزُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى.

الشرح

أما من جهة المعنى: فلأنه يلزم من ذلك نفي التوحيد، إذ التقدير (لوكان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا)، فيقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما الله لم تفسد، وهو باطل، إذ معنى هذا الكلام أن الله ليس فيهم ولهذا فسدت، ومعناه كذلك إثبات آلهة مع الله.

وأما من جهة اللفظ: فلأن المستثنى منه يُشترط أن يكون عاماً، وآلهةٌ جمع مُنكّر في الإثبات، فلا عموم له، فلا يصح استثناء منه.

صفة القدرة ودليلها

والقدرة لغةً هي: القوة و الاستطاعة.

ومعنى القدرة في حقه عز وجل هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد ويعدم بها كل ممكن على وفق الإرادة والعلم.

وهذا التعريف مع سائر التعاريف المذكورة للصفات لا تتناول الحقيقة؛ لأنه لا يعلم كنه ذاته وصفاته إلا هو سبحانه، وإنما هذه رسوم،[1] والمراد بكلمة (رسوم).. القسم الثاني من التعريفات في علم المنطق التي هي عند أهل المنطق ثلاثة أقسا م:(الحد، والرسم، والتعريف باللفظ)، فأما الحد: فهو تعريف الجنس.

---

(١) انظر: البيجوري (١٠٥)، وعون المريد (١/ ٣٢٤)، وهداية المريد (٣٤).

....

الشرح

وأما الرسم: فهو التعريف بالآثار، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق.

وأما التعريف باللفظ: فهو إبدال اللفظ بلفظٍ مرادف له أشهر منه، كتعريف الغضنفر بالأسد.

وللقدرة تعلقات سبع، **والتعلق هو**: طلب الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات، أي: اقتضائها واستلزامها، وهذا حقيقة في التعلق بالفعل، وهو التنجيزي، أي: إنجازه بمعنى حدوثه في الوقت الذي أراده الله.

وأما إطلاق التعلق على صلاحية الصفة – في الأزل – لشيء، أو على كون الشيء في القبضة.. فمجاز؛ لأنه ليس تعلقاً حقيقة.[١]

وقيل: أن التعلق هو: من مواقف العقول، فلا يعلمه إلا الله، والتحقيق هو التعريف الأول.[٢]

وتعلقات القدرة هي:

١) تعلق صلوحي قديم: ومعنى التعلق الصلوحي: هو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام، فمهمتها أي: القدرة الإيجاد والإعدام للممكنات، وسيأتي بيانه أكثر إن شاء الله تعالى.

٢) تعلق قبضة: وهو تعلقها بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا، بمعنى أن الله تعالى إن شاء قطع ذلك العدم بقدرته وأبدله بالوجود، وإن شاء أبقى ذلك

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣٢٥).

(٢) انظر: البيجوري (١٠٦)، وعون المريد (١/ ٣٢٥).

....

الشرح

العدم بقدرته، وكذلك إن شاء أبقى استمرار الوجود، أو إن شاء قطعه.

٣) تعلق بالفعل: وهو تعلقها بإيجادنا بالفعل بعد العدم السابق.

٤) تعلق قبضة: وهو تعلقها باستمرار الوجود بعد العدم.

٥) تعلق بالفعل: وهو تعلقها بإعدامنا بالفعل بعد وجودنا.

٦) تعلق قبضة: وهو تعلقها باستمرار العدم بعد الوجود.

٧) تعلقها بالفعل: وهو تعلقها بإيجادنا بالفعل حين البعث يوم القيامة.

والتعلق لا يكون إلا لصفات المعاني فقط،[1] ومن هنا نفهم أن التعلق التنجيزي للقدرة حادث وليس بقديم؛ لأنها تتعلق بحدوث الفعل في الوقت والزمن الذي أراده الله، فتعلقها بحدوثها أي: بالإنجاز حادث؛ لأن وقوع الفعل حادث، كما تقدم.

ومعنى تعلق القبضة: أن الممكن في قبضة القدرة، فإن شاء الله تعالى أبقاه على عدمه، وإن شاء أوجده، وإن شاء أعدمه.

وأما العدم الأزلي.. فلا تتعلق به القدرة اتفاقاً؛ لأنه واجب لا جائز، وإلا لجاز وجودنا في الأزل، وهذا باطل؛ لما يلزم عليه من تعدد ذوات القدماء.

فتعلق القدرة في وجود الممكنات أمر متفق عليه، وأما في عدمه الطارئ بعد الوجود.. فمختلف فيه على قولين وهما:

الأول: أنها تتعلق به تعلق تأثير، فإن شاء الله أبقاه بقدرته، وإن شاء قطعه

---

(١) انظر: هداية المريد (٤٤).

....

الشرح

وأبدله بالعدم بقدرته، وهو قول الأقل من أهل العلم كالقاضي الباقلاني.

الثاني: أنها لا تتعلق بإعدامنا بعد وجودنا؛ بل إذا أراد الله عدم الممكن قطع عنه الإمداد، فينعدم بنفسه، كالفتيلة إذا ما انقطع عنها الزيت انطفأت بنفسها.

والقدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل ؛ لأن تعلقها كما تقدم تعلق إيجاد أو إعدام، فأنها إن تعلقت بالواجب.. فإما لتوجده، وهو موجود أصلاً؛ لأنه واجب الوجود، وإما لتعدمه، وهو لا يقبل العدم؛ ولأنها إن تعلقت بالمستحيل فإما لتوجده، وهو لا يقبل الوجود بحال، أو لتعدمه، وهو معدوم أصلاً.

شبهة:

قد يثير البعض شبهة خطيرة، وهي: أن عدم تعلق القدرة بالواجب والمستحيل يعدُّ عجزاً، **والجواب على ذلك هو:**

أن عدم تعلق القدرة بالواجب والمستحيل إنما كان لأنهما خارجان عن وظيفتها، وهي الإيجاد والإعدام، وليس ذلك عجزاً إذ أن العجز إنما يكون إذا كان المتعلق من وظائف القدرة .

وهنا نضرب مثلاً بسيطاً لتقريب الفهم، وهو:

أن وظيفة العين الإبصار، فهي تبصر، ولكنها لا تسمع، فهل يُعدُّ نقصا فيها إن لم تسمع الصوت؟، وكذلك الأذن تسمع ولا تبصر، فهل يُعدُّ عجزاً إن لم ترَ الأذن؟، إذا ليس بعجز أن لا تسمع العين؛ لأن السمع خارج عن وظيفتها، ولا يعد عجزاً إن لم ترَ الأذن؛ إذ الإبصار خارج عن وظيفتها، ولله المثل الأعلى.

....

الشرح

والقـدرة إنـما توجـد الممكـن وتعدمـه عـلى وفـق الإرادة والعلـم، أي: أن مـا خصصه تعالى بإرادته.. أبرزته القدرة، أي: أنه تعالى لا يوجد أو يعـدم بقدرتـه إلا ما أراد وعلم وجوده أو عدمه من الممكنات، فتعلق القدرة فرع عـن تعلـق الإرادة والعلم كما سيظهر لنا إن شاء الله تعالى عند ذكر الإرادة قريباً.

وقدرته تعالى واحدة غير متعددة كما بينا ذلك في صفة الوحدانية؛ لأن تعددها يقتضي لزوم اجتماع مؤثرين على أثر واحد في نفس الوقت، وهذا لا يقبله عقل ولا نقل، ومثلها بقية الصفات كما تقدم.

فائدة:

القدرة لا تنتهي عند طائفة من الممكنات، كأن تتعلق بهذه الطائفة دون غيرها، بل هي عامة التعلق بجميعها، لا يخرج عنها أي ممكن.

وكذلك متعلقات القدرة لا تنتهي إلى حـد، ولا إلى نهايـة في جانـب المستقبل، أي: بـما يخـص المستقبل، إذ منهـا نعـيم الجنـان وعـذاب النـيران، وكلاهمـا متجـدد أبدي، أما ما وجد من متعلقات في الخـارج أي: عـن هـذين الشـيئين كنعـيم الـدنيا وعمر المخلوقات فيها.. فهو متناهٍ؛ لأن كل ما حصره الوجود مـن الممكنـات فهـو متناهٍ.[1]

قال صاحب الجوهر:

فقــدرةٌ بممكـــن تعلقـــت بــلا تنــاهى مــا بــه تعلقــت

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٤١٥)، والبيجوري (١٣٦)، وهداية المريد (٤٥).

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، **وقوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]

الشرح

الدليل العقلي على صفة القدرة:

والدليل على صفة القدرة عقلاً (أنه لو لم يتصف بالقدرة.. لاتصف بضدها وهو العجز، ولو كان عاجزاً.. لم يوجد شيئاً من هذه المخلوقات، كيف وقد ظهرت؟، فظهورها منافٍ للعجز، وبانتفائه تثبت القدرة.

الدليل النقلي على صفة القدرة:

و دليل القدرة نقلاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {البقرة: ٢٠}، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ {فاطر: ٤٤}.



مَعْنَى الإِرَادَةِ وَدَلِيْلُهَا

الإِرَادَةُ: هِيَ صِفَةٌ قَدِيْمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى يُخَصِّصُ بِهَا الأَمْرَ المُمْكِنَ بِبَعْضِ مَا يَجُوْزُ عَلَيْهِ مِنَ الوُجُوْدِ وَالعَدَمِ وَالأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ وَالجِهَاتِ وَالصِّفَاتِ.

الشرح

معنى الإرادة ودليلها

والإرادة لغةً: مطلق القصد.

ومعنى الإرادة في حقه عز وجل هي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه، وفق العلم.

والذي يجوز على الممكن أمور متقابلة، لا يجتمع واحد منها مع مقابله، وهي سنة: الوجود، والصفة، والمقدار، والجهة، والزمان، والمكان.

وقوله: (على وفق العلم)، أي: أن تخصيص الله تعالى للممكن على وفق تعلق علمه به؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يخصص بإرادته إلّا ما علم من الممكنات خيراً كان أو شراً، وبهذا يُعلم أن تعلق الإرادة فرع عن تعلق العلم.

وللإرادة تعلقان، وهما:

١) تعلق صلوحي قديم: وهو صلاحية الصفة أزلاً للتخصيص، إذ لا مكره لها ولا مانع.

٢) تعلق تنجزي قديم: وهو وقع التخصيص بالفعل أزلاً، وثبوتها وفق العلم، فالحق سبحانه وتعالى قد خصص الأشياء الممكنة – أزلا – بما ستكون عليه، من أوصاف وأمكنة وأزمنة وغيرها، واختار لها بعض ما يجوز عليها، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ {القصص: ٦٨} .

....

﴿الشرح﴾

فتعلق الإرادة بالممكن تعلق تخصيص أي: تخصيص ما سيكون عليه، على تلعق العلم الكاشف كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وكلا التعلقين أزلي، فلا سبق بين التعلقين، مع تغاير نوعي التعلق، فتعلق الإرادة تعلق تخصيص، وتعلق العلم تعلق انكشاف، وأن ما علم الله أن لا يكون لم تتعلق به الإرادة ليكون، قال تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ {الأنفال: ٢٣} ، فلم يكن الإسماع؛ لأنه ما علم فيهم خيراً، وبالتالي ما أراده؛ لأنه لو أراده لكان، والله علم أنه لا يكون.(١)

وتعلق الإرادة سابق على تلعق القدرة؛ لأن الإرادة تخصص، والقدرة توجد أو تعدم ما خصصته الإرادة، فتعلق القدرة تالياً لتعلق الإرادة وتوقفها عليها، وقد قدم المصنف رحمه الله ذكر القدرة على الإرادة لأن تأثير القدرة في الممكن أظهر من تأثير الإرادة، إذ أن إبراز الممكن إلى ساحة الوجود دليل على القدرة، والتعلق التنجيزي للإرادة تعلقاً أزلياً، فيكون سابقاً على تعلق القدرة التنجيزي لكونه حادثاً، كما تقدم.

والإرادة كالقدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل؛ إذ هي مخصصة للقدرة ، ولكنها تتعلق بالممكن الذي يشمل الخير والشر، والنفع والضر، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا أنها مقتصرة على الخير والنفع فقط.

قال صاحب الجوهرة:

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣٤١).

....

الشرح

وجـــائز عليـــه خلـــق الشـــر والخـير كالإسـلام وجهـل الكفـر

مسألة:

ومثل الشرور الأمور الخسيسة، فالأصح فيها الجواز في مقام التعليم وعلى هذا لا يقال: الله خالق القردة والخنازير إلا في مقام التعليم،[١] تقديراً لعموم تعلق القدرة والإرادة، أي: أن ذلك داخل في عموم تعلقات القدرة والإرادة.

قال في عون المريد:((ومن الأدب الجم ما قاله بعضهم في هذا الشأن، قال: من سألنا عن الشرور – بلفظ الحوادث – قلنا: إن الله تعالى أراد حدوث جميع الحوادث، وهذه منها، ولا نقول أدباً: إنه – عز وجل – أراد الشرور، وهذا الأدب فرع من غصن أدب الجن النضير المزهر حين قالوا: بعد ما لمسوا السماء فوجودها قد ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ {الجن: ١٠}، فمع ذكر (الشر) بُني الفعل للمجهول تحاشياً من أن يقولوا (أشرا أراد الله بمن في الأرض)، وحين ذُكر (الرشد) بُني للمعلوم، وأسند لله تعالى حيث قالوا: ﴿ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ .

وعن الغلامين اليتيمين قال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ {الكهف: ٨٢}، وقد قال من جميع ما بدر منه ﴿ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ﴾{الكهف: ٨٢}، وعلى هذا المنهج الكريم جرى قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ

(١) انظر: البيجوري (١٠٩).

....

الشرح

ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {آل عمران: ٢٦})). اهـ[١]

وأما قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**)) أخرجه مسلم.. فقد قال الإمام النووي في الأذكار:((وأما قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**))..فاعلم أن مذهب أهل الحق من المحدثين والفقهاء والمتكلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين أن جميع الكائنات خيرها وشرها ، نفعها وضرها كلها من الله سبحانه وتعالى ، وبإرادته وتقديره ، وإذا ثبت هذا فلابد من تأويل هذا الحديث ، فذكر العلماء فيه أجوبة : أحدها وهو أشهرها قاله النضر بن شميل والأئمة بعده : معناه : والشر لا يتقرب به إليك ، والثاني : لا يصعد إليك ، إنما يصعد الكلم الطيب ، والثالث : لا يضاف إليك أدبا ، فلا يقال : يا خالق الشر وإن كان خالقه ، كما لا يقال : يا خالق الخنازير وإن كان خالقها ، والرابع : ليس شرا بالنسبة إلى حكمتك ، فإنك لا تخلق شيئا عبثا)) اهـ.[٢]

وقد يقع للإنسان مكروه فيما يظن؛ بينما وقوعه منع عنه ما هو شر منه فكان وقوعه لحكمة حيث تسبب في منع ما هو أعظم منه، فلا يكون حينئذٍ شر.

---

(١) عون المريد (١/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٢) الأذكار (طبعة دار الشرق العربي) (٤٩).

فَلَا يَكُوْنُ كَائِنٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِقَضَائِهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ. وَضِدُّ الإِرَادَةِ الكَرَاهَةُ، فَالكَرَاهَةُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى.

الشرح

هل المعاصي تقع بإرادته سبحانه وتعالى؟

مذهب السلف وأئمة الأمة أن الله تعالى خالق كل شيء ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصافات: ٩٦}، وما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن، فلا يخرج ممكن عن تعلق إرادته، خلافاً للمعتزلة الذين قصروا الإرادة على الخير والنفع والطاعة، وجعلوا المعاصي والشرور كلها حادثة بغير إرادته، وقالوا: هو كاره لها، فإن قصدوا كراهية عقلية أي: أكثر مما يريد.. فلا نسلم لهم في ذلك لمخالفة النصوص؛ ولأن ذلك يقتضي أن يحصل في الكون شيء دون إرادته؛ بل غصباً عنه، وهذا أمر شنيع، وهذا هو مقصودهم في الكراهة.

وأما الكراهة الشرعية التي هي النهي عن المعاصي والآثام.. فهو مما أجمع عليه المسلمون قاطبة، فالله لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء ولا بالذنوب، وإن كان هذا كله واقع بإرادته، لكنه سبحانه وتعالى لا يحبه ولا يرضاه، بل يبغضه ويذم أهله، ويعاقب عليه.

فإن قال قائل: لِما يعاقب على الذنب وقد وقع بإرادته؟

فالجواب: أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الإنسان مجبوراً في جميع أموره، ولا مختاراً لجميع أموره، بل جعل له جزء اختيار يسمى بالكسب كما تقدم، فالإنسان لا يخلق أفعاله ولا يختارها جميعاً؛ بل له جزء اختيار، ويثبت ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {التكوير: ٢٩}، فهذا يثبت وجود

....

﴿الشرح﴾

اختيار للإنسان؛ لأن الله تعالى أسند المشيئة إلى الإنسان بالفعل ﴿ تَشَآءُونَ ﴾، ويثبت كذلك إطلاق مشيئة الله تعالى وعموم تعلقها.

والإنسان يشعر من نفسه بأن له إرادة جزئية يختار بها بين الأشياء المطروحة له في ساحة التكليف الواسعة، والتكليف بحد ذاته دليل على وجود جزء اختيار لدى الإنسان؛ وإلا لم يكن له معنى، ويشعر الإنسان كذلك أن له قدرة يبلغ بها ما اختاره وأراده، سواء كان معصية أو طاعة، خيراً أو شراً، قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ {الكهف: ٢٩}، فبهذه الجزئية من الاختيار يكون عليها العقاب ولها الثواب.

قال صاحب الجوهرة:

وعندنا للعبد كسب كُلِّفا ... ولم يكن مؤثراً فلتعرفا
فليس مجبوراً ولا اختيارا ... وليس كلاً يفعل اختيارا

مسألة:

الإرادة غير الأمر، بمعنى أن الإرادة ليست عين الأمر، ولا مستلزمة له، والدليل على ذلك:

أن الله تعالى قد (يريد ويأمر)، فتلتقي الإرادة والأمر، كإيمان من علم الله منهم الإيمان، فأنه تعالى أرد منهم الإيمان وأمرهم به.

وقد (يريد ولا يأمر)، كالكفر الواقع ممن علم الله أنهم لا يؤمنون، وكالمعاصي ممن علم الله تعال أنهم يقعون فيها، فإنه أراد ذلك؛ لأنه علم أزلاً أنهم سيكفرون،

....

الشرح

لكنه لم يأمر به.

وقد (يأمر ولا يريد)، كإيمان من علم منهم الكفر، وإنما أمرهم بالإيمان مع أنه لم يُرده منهم ليظهر في عالم الحكمة والعمل ما علمه الله أزلاً، فيكون الحساب على ما ظهر منهم لا على ما علمه فيهم، قال تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ {الأنفال: ٢٣} ، وكذلك أمر الله سيدنا إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل ولم يُرِدْ ذلك.

وقد (لا يأمر ولا يريد)، ككفر من علم منهم الإيمان، فإنه تعالى لم يُرِدْهُ منهم، ولم يأمرهم به.

والإرادة كذلك غير العلم أي: أنها ليست عين العلم، ولا مستلزمة له؛ لأن العلم يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز –كما سيأتي إن شاء الله تعالى–، أما الإرادة فإنها تتعلق بالجائز فقط، كما تقدم.

والإرادة كذلك غير الرضا الذي هو قبول الشيء والإثابة عليه؛ لأن الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى (كالكفر الواقع من الكفار)، فإنه تعال أراده ولا يرضى به، وهذا ثابت بالعقل.

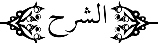
قال صاحب الجوهرة:

وقـــدرة إرادة وغـــايرت أمـراً وعلـماً والرضـا كـما ثبـت

❁ هل الإرادة هي المشيئة؟

مذهب الجمهور اتحاد المشيئة والإرادة وأنه يطلق أحدهما على الآخر، فكل ما يشاؤه الله تعال فهو – من حيث أنه مشاء له – مراد له، وكل ما يريده فهو – من

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].



حيث أنه مراد له – مشاء له.(١)

الدليل العقيل على صفة الإرادة:

والدليل العقلي على ذلك أنه لو كان الله تعالى مُكْرَهاً.. لكان عاجزاً، وكونه عاجزاً أمر محال؛ لأن ذلك نقصٌ، والحق سبحانه وتعالى منزه عن النقص.

الدليل النقلي على صفة الإرادة:

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ {البروج: ١٦}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ {المائدة: ١}، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ {الحج: ١٦}، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ {البقرة: ١٨٥}، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ {القصص: ٦٨}.



(١) انظر: البيجوري (١٣٠)، وإتحاف المريد (١٧٩).

مَعْنَى العِلْمِ وَدَلِيْلُهُ

العِلْمُ: هُوَ صِفَةٌ قَدِيْمَةٌ تَنْكَشِفُ لَهُ تَعَالَى بِهَا الأَشْيَاءَ مِنْ جَمِيْعِ الوُجُوْهِ انْكِشَافاً تَامّاً مِنْ غَيْرِ سَبْقِ خَفَاءٍ. فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. وَضِدُّ العِلْمِ الجَهْلُ، فَالجَهْلُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى.

الشرح

معنى العلم ودليله

معنى العلم في حقه عز وجل هو: صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى، متعلقةٌ بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، ينكشف له تعالى بها كل المعلومات من جميع الوجوه انكشافاً تاماً على وجه الإحاطة على ما هي، من غير سبق خفاء، أي: لم يسبقه جهل.

فتعلق صفة العلم تعلق انكشاف تامٍ من غير سبق خفاء بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، فهو سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وتعلق العلم تعلق تنجيزي قديم، فيعلم الله تعالى الأشياء أزلاً على ما هي عليه، إجمالاً وتفصيلاً، وكونها وجدت في الماضي أو موجودة في الحال، أو ستوجد في المستقبل، فهي أطوار من المعلومات لا توجب تغيّراً في تعلق العلم، فالمتغيّر إنما هو صفة المعلوم، لا تعلق العلم.

وليس لصفة العلم تعلق صلوحي قديم، ولا تنجيزي حادث، وإلا لزم الجهل؛ لأنَّ من كان صالحاً لأنْ يعلم ليس بعالم حينئذٍ، والتنجيزي الحادث قبل

....

﴿الشرح﴾

أن يتعلق سَبَقَهُ جهل.[١]

وعلمه تعالى ليس بمكتسب، ولا يجوز شرعاً وعقلاً أن يطلق أو يعتقد أن علمه تعالى مكتسب ؛ لاستحالته، ولأن العلم الكسبي في العرف هو: العلم الحاصل عن النظر والاستدلال،[٢] كقولنا: العالم متغيّر، وكل متغير حادث، إذاً ينتج عن ذلك (أن العالم حادث)، وهذه النتيجة وصلنا إليها عن طريق النظر والاستدلال، فهي علم مكتسب.

وقيل أن العلم الكسبي هو: ما تعلقت به القدرة التنجيزية الحادثة، فيشمل العالم الحادث بالأبصار أو الشم أو غيرها من الحواس، وعلى كلا التعريفين لا يقال لعلم الله تعالى كسبي؛ لأنه يلزم من ذلك قيام الحوادث به تعالى، ويلزم أيضاً سبق الجهل في حقه، وهذا محال.

قال صاحب الجوهرة:

وعلمه ولا يقال مكتسب ... فاتبع سبيل الحق واطرح الريب

ويتضح الفرق بين علمه تعالى وبين علمنا فيما يأتي:

١- أن علمنا مكتسب، وعلم الله تعال ليس بالمكتسب.
٢- أن علمنا يسبقه خفاء، وليس علم الله مسبوق بخفاء.
٣- أن علمنا بالأشياء محدود أي: لا نحيط بكل شيء، وعلمه تعالى محيط بكل شيء.

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣٥٣)، والبيجوري (١١١)، وحاشية الأمير على شرح الجوهرة (١٦٦).

(٢) انظر إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد المطبوع مع حاشية الأمير (١٦٨).

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المجادلة: ٧] **وَقوله تعالى:**﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] **وَقوله تعالى:** ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

الشرح

٤- أن علمنا معرض للنسيان، ولا كذلك علم الله، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ {مريم: ٦٤}.

٥- علمنا قد يخطئ، ولا كذلك علم الله تعالى

وعلمه تعالى لا تتناهى تعلقاته، و هو علم واحد بإجماع من يعتد بإجماعه كبقية الصفات التي لا تتعدد من جنس واحد كما تقدم، ولم يذهب أحدٌ إلى تعدد علم الله تعالى بعدد المعلومات إلا أبا سهيل الصعلوكي.(١)

وصفة العلم متعلقة بالواجبات والمستحيلات والجائزات، أي: أن تعلقها أعم من تعلق القدرة والإرادة.

قال صاحب الجوهرة:

ووحدة أوجب لها، ومثل ذي ... إرادة والعلم، لكن عمّ ذي
وعم أيضاً واجباً والممتنع ... .

الدليل العقلي على صفة العلم:

والدليل على صفة العلم عقلاً: أنه لو لم يكن عالماً.. لكان جاهلاً، وكونه جاهلاً محال، وأنه تعالى فاعل فعلاً متقناً محكماً بالقصد والاختيار، وكل من كان كذلك يجب له العلم.

---

(١) انظر: البيجوري (١٣٨)، وحاشية الأمير (٤٨).

....

الشرح

❁ **الدليل النقلي على صفة العلم:**

و الدليل على صفة العلم نقلاً: قوله تعالى في أكثر من موضع في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ {الأنفال: ٧٥}، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ {البقرة: ٧٧}، وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ النحل: ٢٣، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ {النحل: ٧٤}، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ {الحج: ٧٠}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ {الحجرات: ١٨}، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ {المجادلة: ٧}، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ {الطلاق: ١٢}، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ {الملك: ١٤}.

❁ **شبهة:**

ربما قال قائلٌ: هذا كله دليل على علمه بالجائزات، فأين الدليل على علمه بالواجبات والمستحيلات؟

أجيب: بأن دليل ذلك هو دليل عدم افتقاره تعالى لمخصص؛ لأنه لو لم يعلم الواجبات والمستحيلات.. لكان محتاجاً إلى من يكمِّله، ويلزم أن يكون حادثاً، فيفتقر للمخصص، وقد قام الدليل على عدم افتقاره للمخصص.(١)

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣٥٥).

مَعْنَى الحَيَاةِ وَدَلِيْلُهَا

الحَيَاةُ: هِيَ صِفَةٌ قَدِيْمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، تَقْتَضِي صِحَّةُ اتِّصَافِهِ تَعَالَى بِالعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالقُدْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَى الحَيَاةِ. وَحَيَاتُهُ تَعَالَى أَبَدِيَّةٌ سَرْمَدِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ لَيْسَتْ بِوَاسِطَةِ شَيْءٍ بِخِلَافِ حَيَاتِنَا. وَضِدُّ الحَيَاةِ المَوْتُ، فَالمَوْتُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى.

الشرح

معنى الحياة ودليلها

عرف المصنف رحمه الله تعالى صفة الحياة بأنها: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي صحة اتصافه تعالى بالعلم والسمع والبصر والقدرة وغيرها من الصفات الواجبة التي تتوقف على الحياة، ومعنى تقتضي أي: تصحح الاتصاف بهذه الصفات المذكورة، وليس المراد أن الحياة يلزم منها بقية الصفات؛ لأن الحياة لا يلزم منها شيء مطلقاً، إلّا أن هذه الصفات واجبة في حقه تعالى لقيام الأدلة عليها.

أما في حقنا نحن البشر.. فقد ينتفي العلم مع وجود الحياة، كما في المجنون.

وعرف الإمام السنوسي صفة الحياة بتعريف يشمل الحياة الحادثة والقديمة فقال: هي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص لمن قامت به الإدراكَ بفتح الكاف، أي: تصحح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك، أي: القدرة والإرادة والعلم، إذ الحياة شرط فيهما، لاستحالة وجود هذه الصفات دون صفة الحياة.

وحياة الله تعالى سرمدية لا نهاية لها، وحياته تعالى لذاته، فهي ليست بروح ولا بواسطة شيء، وحياتنا بسبب الروح، وحياتنا يسبقها عدم، بخلاف حياته تعالى.

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٥] **وَقَوْلُه تَعَالَى:** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

الشرح

فالحياة الذاتية هي: التي ليست بتأثير مؤثر وفعل فاعل، ولا تقبل العدم في الأزل، ولا في الأبد.

والحياة الحادثة هي: كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية، أي: عرض يلزمه قبول الإحساس، وقبول الحركة الإرادية.(١)

وصفة الحياة لا تتعلق بشيء لا موجود ولا معدوم، فليست هي من الصفات المتعلقة؛ لأنها صفة أزلية مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات المعاني والمعنوية - الآتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى - فهي شرط في الجميع، ولا تقتضي أمراً زائداً غير حصول معناها لمن قامت به (وهو الذات).(٢)

قال صاحب الجوهرة:

.... ثم الحياة ما بشى تعلقت

الدليل العقلي على صفة الحياة:

والدليل على صفة الحياة عقلاً: أنه لو لم يكن حياً.. لكان ميتاً، وكونه ميتاً محال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الدليل النقلي على صفة الحياة:

و الدليل على صفة الحياة نقلاً: قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ {غافر: ٦٥}، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ {البقرة: ٢٥٥}.

---

(١) انظر: تحفة المريد (٧١)، وإتحاف المريد (١٧٠).

(٢) انظر: هداية المريد (٤٦)، وعون المريد (١/ ٤٣١).

مَعْنَى السَّمْعِ وَدَلِيْلُهُ

السَّمْعُ: صِفَةٌ قَدِيْمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، يَنْكَشِفُ لَهُ تَعَالَى بِهَا كُلُّ مَوْجُوْدٍ، مِنْ غَيْرِ سَبْقِ خَفَاءٍ. وَسَمْعُهُ تَعَالَى بِغَيْرِ صِمَاخٍ وَلَا أُذُنٍ. وَضِدُّ السَّمْعِ الصَّمَمُ، فَالصَّمَمُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الشرح

معنى السمع ودليله

ومعنى السمع في حقه عز وجل هي: صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل الموجودات الأصوات وغيرها كالذوات انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء، أي أن سمعه سبحانه لم يسبقه جهل، وإلى هذا ذهب السنوسي، وهو المرجح، وقال السعد: يتعلق السمع بالمسموعات فقط كما أن البصر يتعلق بالمبصرات، قال البيجوري في كلام السعد هذا:((فإما أن مراده المسموعات في حقه تعالى، وهي الموجودات (الأصوات وغيرها).. فيوافق ما تقدم _ أي: قول السنوسي -، أو أن مراده المسموعات في حقنا وهي الأصوات فقط.. فيكون مخالفاً للسنوسي ومن تبعه)) اهـ.(١)

والسمع الحادث هو: قوة تُدرك بها الأصوات – عادة – على وجه مخصوص، كأن لا يكون مفرطاً في البعد مثلاً، وقد يدرك السمع الحادث غير الأصوات، فقد سمع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله القديم، وهو ليس بحرف ولا بصوت كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(١) البيجوري (١١٧).



وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الشرح

وسمعه تعالى من غير آلة فهو يسمع الموجودات من غير صماخ ولا أذن، والصماخ هو: خرق الأذن، بخلاف سمعنا نحن فهو يفتقر إلى آلة.

ولصفة السمع ثلاثة تعلقات نذكرها إن شاء الله تعالى عند صفة البصر.

الدليل العقلي على صفة السمع:

والدليل على صفة السمع عقلاً: أنه لو لم يكن متصفاً بالسمع لاتصف بضده وهو نقص والنقص عليه محال، فهو المتصف بكل صفات الكمال.

الدليل النقلي على صفة السمع:

والدليل على صفة السمع نقلاً: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١}، وقوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ {المجادلة: ١}، وقوله تعالى في أكثر من موضع في كتابه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ {التوبة: ١٠٣}، وقوله تعالى: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ {طه: ٤٦}



مَعْنَى البَصَرِ وَدَلِيْلُهُ

البَصَرُ: صِفَةٌ قَدِيْمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، يَنْكَشِفُ لَهُ بِهَا جَمِيْعُ الأَشْيَاءِ، انْكِشَافاً غَيْرَ انْكِشَافَيْ العِلْمِ وَالسَّمْعِ. وَبَصَرُهُ تَعَالَى بِغَيْرِ حَدَقَةٍ وَلَا أَجْفَانٍ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرَىْ حَتَّى النَّمْلَةَ السَّوْدَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ، وَيَسْمَعُ دَبِيْبَهَا. وَضِدُّ البَصَرِ العَمَى، فَالعَمَى صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.



معنى البصر ودليله

ومعنى البصر في حقه عز وجل هو: صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل الموجودات المبصرات وجميع الذوات، انكشافاً تاماً غير انكشافي العلم والسمع من غير سبق خفاء.

فيبصر سبحانه وتعالى جميع الموجودات حتى الأصوات، ولو خفية، وهي طريقة السنوسي ومن تبعه، وقال السعد: تتعلق بالمبصرات كما تقدم، فإما مراده المبصرات في حقه تعالى.. فيشمل الذوات وغيرها، أو المبصرات في حقنا.. فيشمل الذوات والألوان فقط؛ لأن **البصر الحادث** هو: قوة تدرك المبصرات في جهة مخصوصة وعلى صفة مخصوصة من عدم البعد البعيد، أو القرب الشديد، وطاقتنا البصرية لم يقدَّر لها عادة أن تتعلق برؤية كل الأشياء القابلة للرؤية، كالملائكة والجن وغيرها، ولو شاء الله أن نرى لرأينا وسمعنا، كما وقع للرسل

....

الشرح

عليهم الصلاة والسلام، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتلقى من جبريل الوحي بمحضر من الصحابة دون أن يروا أو يسمعوا.(١)

وعلى هذا فصفتا السمع والبصر تتعلقان بكل موجود يُرى ويُسمع وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد تفصيل.

قال صاحب الجوهرة:

وكل موجود أنط للسمع به　　　كذا البصر إدراكه إن قيل به

وللبصر ثلاث تعلقات ، هي نفس تعلقات السمع المار ذكرها.

وبصرة تعالى من غير حدقة ولا أجفان، والحدقة: هي السواد المستدير وسط العين، والجفن: غطاء العين من أعلاها وأسفلها، فهو يرى النملة السوداء في الصخرة الصماء، أي: الصلبة، ويسمع كذلك دبيبها، أي: مشيها.

فائدة:

السمع والبصر غير العلم، فهما صفتان زائدتان على العلم قطعاً، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، وكونه عليماً لا يستغن به عن كونه سميعاً بصيراً، ومن قال أن وصفه بالعلم يغني عن وصفه بالسمع والبصر.. فإن قوله هذا يلزمه أن يسويه سبحانه وتعالى بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ونحن نجد الفرق الضروري بين

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣٧٦-٣٧٧)، والبيجوري (١١٧).

....

الشرح

علمنا بالشيء حال غيبته عنا وبين تعلق سمعنا وبصرنا به حال حضوره، ولله المثل الأعلى.

والآيات القرآنية تثبت أن العلم غير السمع والبصر، فمنها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ {البقرة: ١٢٧}، وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ {البقرة: ١٣٧}، وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ {الأنعام: ١٣}، ولو كان السمع عين العلم.. لما كان للإخبار بالعليم بعد السميع من فائدة، وحاشا للقرآن أن يأتي بما لا فائدة فيه.(١)

وكذلك صفة الكلام الآتية معنا قريبا إن شاء الله تعالى هي مغايرة للعلم، وإن كانت كلها متعلقة بالواجبات والمستحيلات والجائزات .

قال صاحب الجوهرة بعد ذكر السمع والبصر والكلام:

وغير علمٍ هذه كما ثبت ....

۞ وللسمع والبصر ثلاثة تعلقات:

الأول: تعلق صلوحي قديم، ومعنى صلوحي أي: أنها صالحة أو صلاحيتها، فالتعلق الصلوحي القديم لهاتين الصفتين هو صلاحيتها منذ الأزل للتعلق بذوات الكائنات وصفاتها الوجودية فيما لا يزال.

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ١٨٠-١٨١).

....

﴿الشرح﴾

الثاني: تنجيزي حادث، ومعنى تنجيزي أي: إيجادي، فنقول أُنجز الشيء أي: وُجِد وتمَّ، والتعلق التنجزي الحادث لهاتين الصفتين هو انكشاف الممكنات بعد وجودها بهما، أو تلعقهما بما يوجد من المخلوقات بالفعل، إذ عند وجود المسموع والمبصر يقع التعلق وينجّز، فلذلك كان هذا التنجيز حادث.

الثالث: من التعلقات تنجزي قديم، وهو انكشاف الذات العلية، والصفات الوجودية بهما، أي: بصفة السمع والبصر، ولا تعلق لهما بالأمور العدمية، ولا الاعتبارية، كصفات السلب، ليست قائمة بالذات بل هي الذي يدل على سلب ما ينافيه مطابقة، كما تقدم، وكذلك الصفات المعنوية، فهي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات، فهي صفات ثبوتية؛ لكنها ليست وجودية كالمعاني، ولا مدلولها عدمي (أي: عدمية)كالسلبية، بل هي صفات اعتبارية ثابتة من جرّاء المعاني كما سيأتي إن شاء الله تعالى.[١]

ومتعلقات صفة السمع والبصر غير متناهية، إذ أنها متعلقة بكل موجود كما أسلفنا.

۞ مسألة:

يجب الاعتقاد بأن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر، وأن كلاً منهما غير انكشاف العلم، ولكل حقيقة يُفوض علمها لله تعالى، وليس الأمر على ما

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٣٨٣).

وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الشرح

نعهده من أن البصر يفيد بالمشاهدة وضوحاً فوق العلم؛ بل جميع صفاته تامّة كاملة، يستحيل عليه تعالى الخفاء والزيادة والنقص وغير ذلك.(١)

الدليل العقلي على صفة البصر:

والدليل على صفة البصر عقلاً: أنه لو لم يكن بصيراً لاتصف بضده وهو العمى، والاتصاف بالضد نقص، والنقص عليه محال.

الدليل النقلي على صفة البصر:

والدليل على صفة البصر نقلاً: قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى: ١١}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ {طه: ٤٦}، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ {النساء: ١٣٤}.



(١) انظر: تحفة المريد (٨٥).

مَعْنَى الكَلَامِ وَدَلِيْلُهُ

الكَـلَامُ: هُـوَ صِـفَةٌ قَدِيْمَـةٌ قَائِمَـةٌ بِذَاتِـهِ تَعَـالَى، دَالَّـةٌ عَـلَى جَمِيْـعِ الوَاجِبَـاتِ وَالْمُسْـتَحِيْلَاتِ وَالـجَائِزَاتِ. وَكَلَامُـهُ تَعَـالَى نَفْسِيٌّ، قَـدِيْمٌ، لَـيْسَ بِحَـرْفٍ وَلَا بِصَوْتٍ ....

الشرح

معنى الكلام ودليله

ومعنى الكلام في حقه عز وجل هو: صفة قديمة قائمة بذاته، ليست بحرف؛ لأن الحروف حادثة، وصفة الكلام في حقه تعالى منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء الذي هو دليل الحدوث، فعندما نقول مثلاً: (زيد) فقبل أن نطق بالزاي أين كان الزاي؟ كان معدوماً ثم وجد، ومثله الياء والدال، وهكذا كل حرف من الحروف هو متغير من العدم إلى الوجود، وكل متغيّر من العدم إلى الوجود هو حادث.

وصفة الكلام في حقه تعالى ليست بصوت؛ لأن الأصوات أيضاً متغير؛ فهي حادثة، ولا يجوز أ، تكون صفة من صفاته تعالى حادثة.

وصفة الكلام في حقه تعالى أيضاً منزهة عن السكون النفسي (بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه)، ومنزهة عن الآفة الباطنية (بأن لا يَقْدِر على ذلك) أي: على الكلام، كما في حالة الخرس والطفولية، فهما مانعان من الكلام الظاهري، والآفة الباطنية تمنع من الكلام النفسي والله منزه عنها.[1]

(١) انظر: البيجوري (١١٣).

....

الشرح

وهذا التعريف.. هو تعريف كلام الله تعالى بمعنى الكلام النفسي القديم؛ لأن كلام الله تعالى يطلق على معنيين، فيطلق على الكلام النفسي القديم، وهو الذي سبق تعريفه، كما يطلق على الكلام اللفظي بمعنى: أنه خلقه تعالى، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب، وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة:((**ما بين دفتي المصحف كلام الله**))، وكل من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله.. فقد كفر، إلا إذا لم يرد به الكلام النفيس القديم، بل أراد به اللفظ الذي نقرأه؛ لأن اللفظ الذي نقرأه حادث، ومع كونه حادث.. لا يجوز أن يقال: (القرآن حادث) إلا في مقام التعليم؛ لأنه أي: لفظ القرآن يطلق أيضاً على الصفة القائمة بذاته الله، فربما يُتَوَهَّمُ من إطلاق أن (القرآن حادث) أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة، ولذلك ضُرب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة رضي الله عنه وحبس على أن يقول ذلك فلم يرضَ.(١)

قال صاحب الجوهرة:

ونـزِّه القرآن أي كلامه عن الحدوث واحذر انتقامه

أما ما ورد في النصوص سواء في القرآن أو في السنة مما يدل ظاهره على حدوث كلام الله، والتي تمسك بها المعتزلة لإثبات حدوث كلام الله.. فهي محمولة على اللفظ المنزَّل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، أي: على القرآن بمعنى اللفظ ، لا بمعنى الكلام الذي هو المعنى النفسي الأزلي

(١) انظر: البيجوري (١١٥)، وحاشية الأمير (١٧٢).

وَلَا لِسَانٍ وَلَا شَفَتَيْنِ وَلَا فَمٍ وَلَا حَلْقٍ، وَلَا يُوْصَفُ بِعَرَبِيٍّ، وَلَا سَرْيَانِيٍّ وَلَا غَيْرِهِمَا مِنَ اللُّغَاتِ الحَادِثَةِ.

الشرح

القائم بذاته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ {القدر: ١}، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾ {الحجر: ٩}، وأما قوله تعالى: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ {الأنبياء: ٢}، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴾ {الشعراء: ٥}.. فالمراد به محدث النزول، أي: أنه حادث في نزول ألفاظه على قلب النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

قال صاحب الجوهرة:

فكل نص للحدوث دلّا ... إحملْ على اللفظ الذي قد دلّا

وكلامه تعالى النفسي القديم القائم بذاته .. عام التعلق فهو متعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات، ولا تتناهى متعلقاته، ومتعلق صفة الكلام بالواجبات والجائزات والمستحيلات.. تعلق دلالة، فبالواجبات كمدلول قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ {البقرة: ٢٥٥}، وبالمستحيلات كمدلول قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴾ {مريم: ٨٨}، وبالجائزات كمدلول قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ {الأنعام: ١}.

وكلامه تعالى ليس بآلة، ولا يوصف بكونه عربي ولا سرياني ولا بأي لغة من اللغات الحادثة، وقد تقدم أن الله قديم في ذاته وصفاته.

وَضِدُّ الكَلَامِ: الخَرَسُ، فَالخَرَسُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى.

الشرح

فائدة:

كلامه سبحانه وتعالى صفة واحدة، لا تعدد فيها، لكن تنقسم هذه الصفة إلى خمسة أقسام اعتبارية، فمن حيث تعلقه بطلب فعل.. هو أمر، ومن حيث تعلقه بطلب ترك.. فهو نهي، ومن حيث تعلقه بالثواب .. فهو وعد، ومن حيث تعلقه بالعقاب.. فهو وعيد، ومن حيث تعلقه بقصة ونحوها.. فهو إخبار.

فمثال الأمر: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ {الحج: ٧٧}، ومثال الوعد: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ {النازعات: ٤٠ – ٤١}، ومثال الوعيد: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ {النازعات: ٣٧ – ٣٩}، ومثال الإخبار: كقصة فرعون ونحوها، وقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وتعلق الكلام بالنسبة لغير الأمر والنهي فيما ذكر من الأقسام تنجيزي قديم، وأما بالنسبة لها.. ففيه تفصيل:

١) إن لم يشترط فيها وجود المأمور والمنهي.. فتعلقه تنجزي قديم كذلك؛ اكتفاءً بوجود المأمور والمنهي في علم الله تعالى وتقديره.

٢) إن أُشترط فيهما وجود المأمور والمنهي.. كان التعلق فيهما صلوحياً قبل وجود المأمور والمنهي، وتنجيزياً حادثاً بعد وجودهما.

وضد الكلام الخرس، وهي صفة نقص، والله تعالى منزه عن النقائص، فالخرس صفة مستحيلة في حقه تعالى.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

الشرح

الدليل العقلي على صفة الكلام:

والدليل على صفة الكلام عقلاً: أنه لو لم يتصف به.. لاتصف بضده، وهو الخرس، والاتصاف به نقص، والنقص عليه محال.

الدليل النقلي على صفة الكلام:

والدليل على صفة الكلام نقلاً: قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ {النساء: ١٦٤}، وفي هذه الآية دليل على كلامه تعالى لسيدنا موسى حيث أنه أسمعه كلامه القديم ولم يكن حادثاً قطعاً.

تتمة في صفة الإدراك:

أختلف أهل العلم في إثبات صفة الإدراك، وهي في حق الحادث تصور حقيقة الشيء المدرَك، وأما في حقه تعالى – على القول بها – فهي: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تسمى الإدراك، قيل يدرك بها كل موجود، وقيل: يدرك بها الملموسات (كالنعومة)، والمشمومات (كالروائح)، والمذوقات (كالحلاوة) من غير اتصال بمحالها التي هي الأجسام ولا تكيف بكيفيتها؛ لأن الاتصال والتكيف إنما هو عادي في حصول الإدراك وقد ينفك.

وذهب أهل العلم في الكلام عن إثبات صفة الإدراك إلى ثلاثة مذاهب، وهي:[(١)]

(١) انظر: البيجوري (١٢١)، وعون المريد (١/ ٣٨٦)، وحاشية الأمير (١٧٥).

....

الشرح

الأول: إثباتها، وذهب إلى ذلك الإمام الباقلاني وإمام الحرمين، **ودليلهم هو**: أنها كمال، وكل كمال واجب لله؛ لأنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها، وهو نقص، والنقص عليه محال، فوجب الاتصاف بها من غير اتصال بالأجسام، ومن غير وصول اللذات والآلام له تعالى.

الثاني: نفيها، **ودليلهم هو**: أنه لو اتصف بها للزم الاتصال بمحالها لزوماً عقلياً فلا يتصور انفكاكه، والاتصال مستحيل، فلذا يستحيل الاتصاف بها – وقد تقدم أن المثبت لها قد جعلوه تلازماً عادياً بحيث يمكن انفكاكه –، وردوا أصحاب هذا القول – أي: القول الثاني – على قول المثبتين (أنه لو لم يتصف بها – أي: بصفة الإدراك – لاتصف بغيرها).. بأنها فاسدة؛ لأن العلم الواجب له تعالى ينفي الاتصاف بضدها، فعلمه تعالى محيط بمتعلقاتها، وهو كافٍ منها، كذلك قالوا: أنه لم يرد بهذه الصفة الدليل السمعي.

وهذا الاختلاف بين هذين المذهبين مبني على الاختلاف في دليل الصفات الثلاث: السمع والبصر والكلام، فمن أثبتها بالدليل العقلي، وقال أنها صفات كمال لابد أن يتصف بها وإن لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو نقص والنقص محال.. أثبت صفة الإدراك بنفس الإثبات.

ومن أثبت الصفات الثلاث بالدليل السمعي.. نفى صفة الإدراك؛ لأنه لم يرد بها سمع.

قال صاحب الجوهرة:

....

الشرح

حياتــه كــذا الكــلام الســمع ثــم البــصر بــذي أتانــا الســمع

الثالث: من المذاهب هو: التوقف عن القول بالإثبات أو النفي، وذهب إلى ذلك قوم من المتكلمين كالمقترح، وابن التلمساني وبعض المتأخرين؛ لتعارض الأدلة.

وهذا المذهب الثالث هو الأسلم، وهو أصح من القولين[1]

قال صاحب الجوهرة:

فهــل لــه إدراك أو لا خلــف وعنــد قــوم صــح فيــه الوقــف

وللإدراك -إن قيل به - ثلاث تعلقات كتعلقات السمع والبصر، فهذه الثلاث متحدة في التعلق مع أنها متعددة، وتعلقها هو تعلق انكشاف، إلا أن كل منها له حقيقة في الانكشاف ليست عين حقيقة غيره، ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى.

وهذه التلعقات هي:

١. تنجزي قديم: وهو التعلق بذات الله وصفاته.
٢. صلوحي قديم: وهو صلاحية التعلق بنا قبل وجودنا.
٣. تنجيزي حادث: وهو التعلق بنا بعد وجودنا.

والإدراك على القول به يتعلق بكل موجود، وعلى قول آخر أنه يتعلق بالملموسات والمشمومات والمذوقات من غير اتصال بمحالها، كما تقدم.

وبقي من الصفات الواجبة في حق الله العشرين سبع صفات، وهي الصفات المعنوية، وسيذكرها المصنف رحمه الله عندما يذكر أقسام الصفات الواجبة.

---

(١) انظر: البيجوري (١٢٢)، وعون المريد (١/ ٣٨٧)، وإتحاف المريد (١٧٧).

أَقْسَامُ الصِّفَاتِ الوَاجِبَةِ

تَنْقَسِمُ الصِّفَاتُ الوَاجِبَةُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: نَفْسِيَّةٌ وَسَلْبِيَّةٌ وَمَعَانٍ وَمَعْنَوِيَّةٌ.

الصِّفَةُ النَّفْسِيَّةُ

فَالصِّفَةُ النَّفْسِيَّةُ: هِيَ مَا لَا تُعْقَلُ وَلَا تُعْرَفُ الذَّاتُ إِلَّا بِهَا، ....

الشرح

أقسام الصفات الواجبة

تنقسم صفات الله الواجبة إلى أربعة أقسام:

الأول: صفة نفسية.

والثاني: صفات سَلبية.

والثالث: صفات معاني.

والرابع: صفات معنوية.

الصفة النفسية

الصفة النفسية هي صفة ثبوتية، وهي التي يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها.

فقولنا: (صفة ثبوتية) خرج به الصفات السلبية كالقدم والبقاء، فهي تنفي كما تبيّن معنى هذا عند ذكرها وكما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى قريباً.

وَهِيَ (الوُجُودُ).

الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ

الشرح

و قولنا: (يدل الوصف بها على نفس الذات) معناه أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فخرج بذلك صفات المعاني؛ فإنها تدل على معنى لا على ذات كما سيظهر لنا عند ذكرها إن شاء الله تعالى.

وخرج بقولنا: (دون معنى زائد عليها) الصفات المعنوية كما سيظهر كذلك عند ذكرها إن شاء الله تعالى.

والصفة النفسية هي صفة واحدة فقط وهي: صفة الوجود، وإنما نُسبت للنفس أي: الذات لأنها لا تتعقل إلا بها، فلا تتعقل نفس إلا بوجودها، ولا تتعقل وجود ذات الله تعالى إلا بها.(١)

فلا تعقل أي: لا تتصور بالعقل، ولا تعرف وتدرك الذات الإلهية إلا بها، مثل التحيّز للجرم، فإنك إن تصورته.. أدركته، وأدركت أنه متحيّز، وكذلك ذات الله تعالى لا تتصور بدون صفة الوجود، فالوجود صفة نفسية تدل على نفس ذات الله تعالى.

الصفات السلبية

والصفات السَلبية هي: مدلول عدم أمر لا يليق به سبحانه أي: التي دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه وتعالى، أو تسلب عن الأذهان أضداده، فالقدم مثلاً عبارة عن سلب العدم السابق للوجود، ولهذا سميّت سلبية نسبة إلى السلب

(١) انظر: شرح البيجوري (٨٧).

وَالصِّفَاتُ السَلْبِيَّةُ خَمْسٌ وَهِيَ: (القِدَمُ وَالبَقَاءُ وَمُخَالَفَتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ

الشرح

بمعنى النفي؛ لأن معنى كل منها سلب عن الله تعالى نقائص لا تليق بجلاله وكماله.

ومدلولها أي: الصفات السلبية عدمي كما عرفها المصنف رحمه الله تعالى، إذ المراد بالبقاء عدم الآخرية أي: يدل على عدم الآخرية، وبالمخالفة للحوادث عدم المماثلة.

والصفات السلبية كما ذكرها المصنف رحمه الله خمس صفات، والصحيح أن الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمس، ومقابل الصحيح أنها تنحصر، وإنما اقتصر المصنف رحمه الله هنا على الخمس لأنها مهمات الأمهات، أي: أن هذه الصفات الخمس أهمها وهي أصولها المهمات منها، فإن ما عداها من نفي الولد مثلاً ونفي الصاحبة والمعين وغير ذلك مما لا نهاية له راجع إليها ولو بالالتزام، فنفي الولد والصاحبة والمعين يدخل تحت الوحدانية وهكذا.

وهذه الصفات الخمس هي:

١) صفة القدم: سلبت عن الله تعالى العدم السابق، أي: لم يكن معدوماً ثم وجد، وكل ما ثبت قدمه استحال عدمه، وكذا العكس كما قال صاحب الجوهرة:

وكل ما جاز عليه العدمُ ... عليه قطعاً يستحيل القِدَمُ

٢) صفة البقاء: سلبت عن الله تعالى العدم اللاحق.

٣) صفة مخالفته للحوادث: سلبت عن الله تعالى عشرة أشياء وهي:

....

الشرح

١. أن يكون جرماً من الأجرام، بان تأخذ ذاته تعالى قدراً من الفراغ.
٢. أن يكون عرَضاً، أي: يقوم بالجرم، والعرض هو ما يقوم بغيره كما تقدم، وهو لا يكون إلا حادثاً، بخلاف الصفة فقد تكون حادثة إذا كانت لحادث، وقد تكون قديمة إذا كانت لقديم.
٣. أن يحويه زمان.
٤. أن يضمه مكان، والمراد بتقيّده تعالى بالزمان والمكان: أن لا يتحقق وجوده إلا فيهما، وإنما استحال عليه تعالى التقيّد بهما لأنهما حادثان، فلا يتقيّد بهما إلا الحادث مثلهما، والله سبحانه وتعالى قديم.
٥. أن يكون في جهة من الجهات الست، فليس الله تعالى فوق جرم من الأجرام كالعرش، ولا تحته، ولا أمامه، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن شماله.
٦. أن تكون له جهة خاصة، فليس له فوق، ولا تحت، ولا أمام، ولا خلف، ولا يمين، ولا شمال.
٧. أن يوصف بالكِبَرِ: أي كثرة الأجرام.
٨. أن يوصف بالصِغَرِ: أي قلّتها.
٩. أن يكون محلاً للحوادث: فلا يتصف تعالى بحركة ولا سكون ولا بياض ولا سواد ولا طول ولا عُرض.
١٠. أن توصف أفعاله بالأغراض: والأغراض جمع غَرَض: وهو الأمر الباعث أي: الحامل على فعل أو حكم، ويسمى سببا باعثا وعلة باعثة، ويسمى سببا

....

الشرح

باعثا وعلة باعثة، والله تعالى يستحيل عليه أن يتصف بغرض يبعثه على فعل من أفعاله كإيجاده لزيد، أو على حكم من أحكامه كإيجابه للصلاة وتحريمه للزنى، واعلم أن أفعاله تعالى وأحكامه وإن كانت منزهة عن الغرض لكن لا تخلو عن حكمة وإن لم تصل إليها عقولنا، لأنها لو لم تكن لحكمة لكانت عبثا وهو محال عليه تعالى، والفرق بين الغرض والحكمة أن الغرض يكون مقصودا من الفعل أو الحكم بحيث يكون باعثاً وحاملاً عليه، والحكمة لا تكون كذلك، فالحكمة ما يترتب على الفعل أو الحكم، ولا يكون باعثاً عليه كالركوب والزينة فإنهما الحكمة في خلق الله للخيل والبغال والحمير كما ذكره عز وجل في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ {النحل: ٨}، وإنما لم تكن الحكمة باعثاً؛ لأن صاحبها يعلم قبل أن يصدر منه الفعل والحكم أنها تترتب قطعا على فعله وحكمه، بخلاف صاحب الغرض، فإنه يريد ويقصد من فعله وحكمه حصول غرضه، ولا يعلم هل يترتب غرضه عليهما أو لا يترتب؟ ألا ترى إلى حافر الأرض ليخرج الماء، فإنه يريد ويقصد من حفره خروج الماء، ولا يعلم هل يخرج الماء أو لا يخرج؟ والله تعالى قد سبق علمه في الأزل بأفعاله وأحكامه وبما يترتب عليهما، فلا تكون الأمور المترتبة على أفعاله وأحكامه حاملة له عليهما، وإلا لكانت أغراضا له وهو جل وعز منزه عنها.

وَقِيَامُهُ بِنَفْسِهِ وَالوَحْدَانِيَّةُ). وَسُمِّيَتْ سَلْبِيَّةً؛ لأَنَّهَا سَلَبَتْ وَنَفَتْ عَنِ اللهِ تَعَالَى نَقَائِصَ لَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ.

الشرح

٤) صفة قيامه بنفسه: سلبت عنه تعالى الحلول والاتحاد.

فالحلول هو: أن تعتقد أ، الله تعالى حال في العالم او في الذوات كما تحل الصفة في موصوفها، وقد زعمت النصارى أن الله تعالى قد حل في سيدنا عيسى عليه السلام، وهذا واكفر صريح والعياذ بالله؛ لأن الله تعالى لو حل في شيء.. لكان صفة له، ولو كان صفة له.. لم يصح وصفه بصفات المعاني والمعنوية.

والاتحاد هو: صيرورة الشيئين شيئاً واحداً، بمعنى أن تعتقد أن الله تعالى متحد مع العالم، وهذا أمر مستحيل عقلاً؛ لأن الشيئين إذا اتحدا فإن بقيا موجودين على حالهما.. فلا اتحاد أصلاً؛ لأنهما اثنان، وإن عُدما معاً.. كان الموجود غيرهما، فلم يتحداً، وإن عُدم أحدهما دون الآخر.. امتنع الاتحاد؛ لأن المعدوم ليس عين الوجود، والقول بالاتحاد كفر بإجماع المسلمين، أعاذنا الله من كل ذلك.

٥) صفة الوحدانية: وقد سلبت ونفت عن الله تعالى كموماً خمسة سبق ذكرها عند الكلام عن صفة الوحدانية، فليراجع.

وسميّت سلبية نسبة إلى السلب بمعنى النفي؛ لأن معنى كل منها سلب عن الله تعالى نقائص لا تليق بجلاله وكماله، كما تقدم.

صِفَاتُ الْمَعَانِي

وَصِفَاتُ الـمَعَانِي سَبْعٌ وَهِيَ: القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالعِلْمُ وَالحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ وَالكَلَامُ. وَسُمِّيَتْ بِالـمَعَانِي: لِأَنَّهَا أَثْبَتَتْ لله تَعَالَى مَعَانٍ وُجُوْدِيَّةً تَلِيْقُ بِكَمَالِهِ.


الشرح

صفات المعاني

وصفات المعاني هي: الصفات الموجودة في نفسها أي: في ذاتها، فهي ليست بعين الذات ولكنها زائدة على الذات، وقد عرف أهل العلم صفات المعاني في الاصطلاح بأنها: كل صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات موجبة له حكماً.(١)

فقولنا: (صفة وجودية)، أي: موجودة، بحيث لو كشف لنا الغطاء لرأيناها.

وقولنا: (قائمة بموصوف)، أي: ملازمة للموصوف وللذات، وهي زائدة عن الذات.

وقولنا: (موجبة له حكماً)، أي: تستلزم صفة أخرى هي الصفة المعنوية.

خرج بقولنا: (قائمة بموصوف).. السلبية، وبقولنا: (زائدة على الذات).. النفسية؛ لأنها عين الذات، وبقولنا: (موجبة له حكماً).. المعنوية؛ لأنها نفسها حكم كما سيثبت لنا عند ذكرها إن شاء الله تعالى، وعلى القول بأنها أمور اعتبارية كما سيأتي إن شاء الله تعالى فقد خرجت بقولنا (قائمة بموصوف).

وهذا التعريف للمعاني من حيث هي كانت لقديم أو حادث، وحينئذٍ فالفرق بين صفات القديم والحادث: أن صفات القديم قديمة، ولا تسمى أعراضاً؛ لأن

---

(١) انظر: شرح الصاوي (١٦٦).

....

الشرح

العرض من الطرؤ، فالجاهل مثلاً عندما يعرض له العلم يصير عالماً، فعلمه حادث، أما علم الله سبحانه فليس بعَرَض؛ لأن الله اتصف به من الأزل، وكذلك بقية صفات الله تعالى.

وصفات المعاني سبع، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وقد تقدم على كل صفة منها.

وتسمى صفات المعاني أيضاً بالصفات الذاتية؛ لأنها لا تنفك عن الذات، وتسمى أيضاً بالصفات الوجودية؛ لأنها متحققة باعتبار نفسها.(١)

وتنقسم صفات المعاني إلى أربعة أقسام:

الأول: وهو الذي لا يتعلق بشيء أي لا يَطْلُب أمراً على القيام بمحله، وهي: الحياة.

والثاني: هو الذي يتعلق بالممكن فقط، وهما القدرة والإرادة.

والثالث: هو الذي يتعلق بجميع الموجودات وهما السمع والبصر.

والرابع: هو الذي يتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات، وهما: العلم، والكلام.

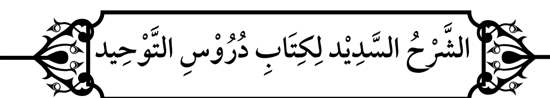
فائدة:

معرفة التعلقات غير واجبة على المكلف؛ لأنها من غوامض علم الكلام، كما نقله الشيخ البراوي عن الشيخ محمد الصغير، وذكره الشيخ الشنواني.(٢)

---

(١) انظر: هداية المريد (٣٤).

(٢) انظر: البيجوري (١٣٤).



الصِّفَاتُ المَعْنَوِيَّةُ

وَالصِّفَاتُ المَعْنَوِيَّةُ سَبْعٌ وَهِيَ: كَوْنُهُ تَعَالَى قَادِراً، وَمُرِيْداً، وَعَالِماً، وَحَيّاً، وَسَمِيْعاً، وَبَصِيْراً، وَمُتَكَلِّماً. وَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِصَفَاتِ المَعَانِي.


الشرح

الصفات المعنوية

والصفات المعنوية هي: التي تدل على معنى ذات أي: على قيام المعنى بالذات مع زيادة عليها أي: على الذات، فالصفات المعنوية هي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات كما أسلفنا، وقد تقدم أن صفات المعاني هي: كل صفة وجودية قائمة بالذات موجبة له حكماً، والحكم هنا هو الصفة المعنوية، إذ من المعلوم أن الاتصاف بكونه عالماً وقادراً لا يصح إلا إذا قام به العلم والقدرة، وعلى هذا لا معنى لكونه تعالى عالماً وكونه قادراً إلا قيام صفتي العلم والقدرة بالذات، والعلم والقدرة من صفات المعاني كما هو معلوم، والحق سبحانه وتعالى قد أطلق هذه الأسماء في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وذلك خطابه لمن هو من أهل اللغة، والمفهوم في اللغة من كلمة عليم (ذات لها علم) ومن كلمة قدير (ذات لها قدرة)، والاسم: عبارة عن الذات من حيث قامت بها الصفة، أما الصفة فهي: عبارة عن العلم والقدرة دون نظر إلى الذات، فإن اتصلت الصفة بالذات فهي الصفات المعنوية، فكونه عالماً قديراً هو تعلق صفة العلم والقدرة بالذات، ويتضح ويتلخص مما سبق:

أولاً: أن الاتصاف بالمعاني يوجب الاتصاف بالمعنوية، وتكون المعاني على هذا

....

الشرح

ملزومة للمعنوية –عقلاً– والمعنوية لازمة للمعاني، بمعنى أنه يلزم من كونه قادراً أنه موصوف بالقدرة، كما يلزم من اتصافه بالقدرة كونه قادراً.

ثانياً: يتضح أن الفرق بين المعاني والمعنوية هو: أن المعاني صفات وجودية، أي: وجود صفات متعلقة بالذات زائدة عنها، والمعنوية صفات ثبوتية اعتبارية، أي: ثبوت وقيام صفات المعاني بالذات، فالمعاني والمعنوية صفات ثبوتية تدل على معنى زائد على الذات، وهو معنى وجودي في المعاني وثبوتي في المعنوية، والثبوت قريب من الوجود، فالصفات المعنوية صفات ثابتة للذات لا من حيث أنها قائمة بالذات كالمعاني؛ بل من حيث أنها عبارة عن قيام المعاني بالذات، **وهذا هو المعتمد**، لذا كان الاتصاف بها كالفرع للاتصاف بالمعاني باعتبار التعقُّل، أي: لا يتعقل وجود هذه إلا بهذه، والمقصود بالفرعية هنا اللزوم، لذا كانت المعنوية سبع صفات كالمعاني.(١)

هذا الذي ذكرناه هو المعتمد عند أهل السن والجماعة، وهو:

أن الصفات المعنوية هي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات، فهي ليست صفات قائمة بذاته تعالى ، وهي في الحقيقة ليست بصفات؛ لأن قيام المعاني بالذات أمر اعتباري والاعتبارات لا تسمى صفات حقيقة؛ بل هي عبارة عن الإخبار بأن المعاني قائمة بالموصوف، (وهو مذهب الإمام الأشعري) الذي قال بنفي صفات الأحوال، والأحوال: جمع حال، وهي صفة لا مجودة ولا معدومة؛

(١) انظر: عون المريد (١/ ٤٠٥).

....

الشرح

بل واسطة بين الموجود والمعدوم.

الخلاصة:

- أن من نفى الأحوال كالإمام الأشعري.. قال:

معنى (كونه تعالى عالماً) هو قيام العلم به، وليس هناك صفة أخرى زائدة على قيام العلم ثابتة في خارج الذهن.

- ومن أثبت صفات الأحوال كالسنوسي قال:

معنى (كونه تعالى عالماً) صفة أخرى زائدة على قيام العلم بالذات، وهذه الصفة ليست موجودة بالاستقلال كالمعاني، ولا معدومة عدماً صرفاً؛ بل هي واسطة بين الموجود والمعدوم، حيث لم تبلغ درجة الوجود، ولم تنزل إلى مرتبة العدم.(١)

مهمة:

قد يتساءل الواحد فيقول: ما الحكمة من ذكر الصفات المعنوية إذ قلنا أنها اعتبارية وهي داخلة في صفات المعاني؟ فالجواب:

أن الحكمة في ذلك أمران:

الأول: ذكر العقائد على وجه التفصيل؛ لأن الجهل في العقائد خطير.

الثاني: الرد على المعتزلة، فإنهم أنكروا صفات المعاني وقالوا: أنه تعالى قادر بذاته، مريد بذاته، عليم بذاته، لكنهم لم يكفروا؛ لأنهم قالوا: أنه قادر بذاته وعليم

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٤٠٧-٤٠٨)، وتحفة المريد (٨٩).

....

الشرح

بذاته وغيرها من الصفات فهم وأن أنكروا المعاني لم ينكروا القادرية وغيرها فهم يقولون انه قادر ومريد وعالم، غير أنهم يقولون بذاته.(١)

الفرق بين صفات المعاني والصفات المعنوية:

أن المعاني صفات وجودية، والمعنوية ثبوتية اعتبارية، والثبوت قريب من الوجود، فالمعنوية هي صفات ثابتة للذات لا من حيث أنها قائمة بها كالمعاني؛ بل من حيث إنها عبارة عن قيام المعاني بالذات، وهذا هو المعتمد؛ لذا كان الاتصاف بها كالفرع للاتصاف بالمعاني باعتبار التعقل، ويُقصد بالفرعية - هنا - اللزوم؛ كانت المعنوية سبه صفات كالمعاني.(٢)

والصفات المعنوية سبع، وهي: كونه قادرا، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، متكلماً.

تنبيه:

يجب أن نعلم أن الصفات المعنوية هي صفات واجبة له تعالى إجماعاً على مذهب أهل السنة والجماعة والمعتزلة وعلى القول بثبوت الأحوال أو نفيها.(٣)

حكم نفي الصفات المعنوية:

حكم من نفى الصفات المعنوية فيه تفصيل:

- إن نفاها وأثبت مع النفي ضدها.. فإنه يكفر، كمن نفى كونه عالماً

---

(١) انظر: تحفة المريد (٩٠).

(٢) انظر: عون المريد (١/ ٤٠٥).

(٣) انظر: عون المريد (١/ ٤٠٦).

....

الشرح

وأثبت ضدها وهو كونه جاهلاً، تعالى الله عن ذلك.

- إن نفاها ولم يثبت ضدها، بمعنى أنه ينفي أن يكون لله صفة قديمة يقال لها الكون عالماً، وفي نفس الوقت هو مثبت لانكشاف الأشياء له تعالى بذاته أزلا.. فلا ضرر في ذلك؛ لأن الحق نفي صفات الأحوال كما تقدم.[1]

حكم من نفى صفات المعاني:

وأما صفات المعاني فإن نفاها.. ففيه تفصيل:

- إن نفى زيادتها على الذات مع إثبات أحكامها لله.. فإن ذلك موجب للفسق والعياذ بالله.
- إن نفاها مع إثبات أضدادها.. فإنه يكفر والعياذ بالله.

مسألة:

مذهب أهل السنة والجماعة أن صفات المعاني – وهي التي تسمى بصفات الذات – ليست هي عين الذات كما تقدم ، وليست غير الذات كما قال صاحب الجوهرة:

.... ثم صفات الذات ليست بغير أو بعين الذات

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٤٠٦)، والبيجوري (١٢٥).

الشرح

والمعنى: أن صفات الذات ليست بغير الذات الإلهية أي: ليست غيراً منفكاً، لا مطلق الغير، فلا ينافي أن حقيقتها غير حقيقة الذات، لكنها ليست منفكة عن الذات؛ بل هي قائمة بالذات.(١)

وليست صفات الذات أيضاً بعين الذات؛ لأن حقائقها تخالف حقيقة الذات، فهي صفات مغايرة للذات مفهوماً، ضرورة مخالفة الصفة للصفة، كمخالفة القدرة للعلم، لكنها قائمة بالذات، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه، وهي واجبة لنفسها، مثل وجوب الذات كما هو الحق، وليست ممكنة في ذاتها واجبة لغيرها بسبب اقتضاء الذات لها.(٢)

ولو كانت صفات الذات هي عين الذات.. للزم ذلك تعدد الذات بتعدد الصفات، أي: بتعدد نوع الصفات كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها.

قال في شرح الصاوي على الجوهرة: ((فعُلم أن مذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها -أي: على الذات- قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفكاك، فهي دائمة الوجود مستحيلة العدم، فهو حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، وهكذا)) اهـ.(٣)

وقال في (هداية المريد): ((فمذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها،

---

(١) انظر: إتحاف المريد وحاشية الأمير عليها (١٨٠).

(٢) انظر: عون المريد (١/ ٤٠٩).

(٣) شرح الصاوي على الجوهرة (١٩٢).

....

الشرح

قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفصال، فهي دائمة الوجود، مستحيلة العدم)) اهـ.(١)

وخرج بصفات الذات.. الصفات السلبية، فإنها غير، بمعنى أنها ليست قائمة به تعالى؛ لأنها أمور عدمية، أي: صفات تنفي الأضداد، وخرج كذلك الصفة النفسية وهي الوجود، فإنها ليست زائدة على الذات؛ بل هي عين الموجود، وخرج كذلك صفات الأفعال كالإحياء والإماتة، فإنها غير أيضاً بمعنى أنها منفكة ، إذ هي: تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة كما سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

وَذِكْرُ كل ذلك رداً على من تمسك بشبهتين ابتغاء نفي صفات الذات، وهما:

- أن الصفات الوجودية – وهي صفات الذات - إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة.. لزم تعدد القدماء، وهو كفر بإجماع المسلمين.
- وإن كانت حادثة.. لزم قيام الحوادث بذاته تعالى، ولزم خلوه منها في الأزل، أي: إن لزم قيام الحوادث به تعالى.. فإن ذلك يلزم أنه كان خالياً منها في الأزل، وهذا باطل.(٢)

فرُد على الشبهة الثانية وهي شبهة قيام الحوادث به تعالى بأنه صفاته قديمة كما سيتبين لنا عند الكلام عن الصفات الواجبة.

فبقيت شبهة تعدد القدماء، لأننا قلنا أن صفاته قديمة، فكان الرد عليها هو:

---

(١) هداية المريد (٤٣).

(٢) انظر: إتحاف المريد (١٧٩).

....

الشرح

أن صفات الذات ليست بغير الذات، بل قائمة بالذات، وإنما يلزم التعدد لو كانت كل صفة قائمة بنفسها لا بالذات، أما وقد ثبت قيامها بالذات -حيث أنها ليست غيراً منفكاً- فلا تعدد؛ لأن الغيرين هما المفهومان اللذان ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود، بحيث يتصور وجود أحدهما دون الآخر، ولكون الصفات غيراً بالمعنى الذي تقدم.. وقع التسامح بإضافة ما للذات إلى الصفات نحو:(كل شيء تواضع لقدرته)، والمراد كل شيء تواضع لذاته لأجل قدرته، وإلا فعبادة مجرد الصفات كفر، وعبادة مجرد الذات فسق، والقول المستقيم هو عبادة الذات المتصفة بالصفات.(١)

فائدة:

الصفات إما:(٢)

١- عين الذات، وهي الصفة النفسية.

٢- غير الذات، وهي السلبية والفعلية، فالسلبية لكون مدلولها عدماً، والفعلية لحدوثها، كما تقدم وكما سيأتي إيضاحها أكثر إن شاء الله تعالى.

٣- لا عين الذات ولا غيرها، وهي وجودية، وتسمى بالمعاني.

٤- لا عين الذات، ولا غيرها كذلك، وهي اعتبارية وتسمى معنوية.

٥- صفات جامعة وهي: العزة والجلال والجمال والغنى ونحو ذلك، فهي في الذات وكل الصفات.

---

(١) انظر: عون المريد (١/ ٤١٠)، وإتحاف المريد (١٨٠).

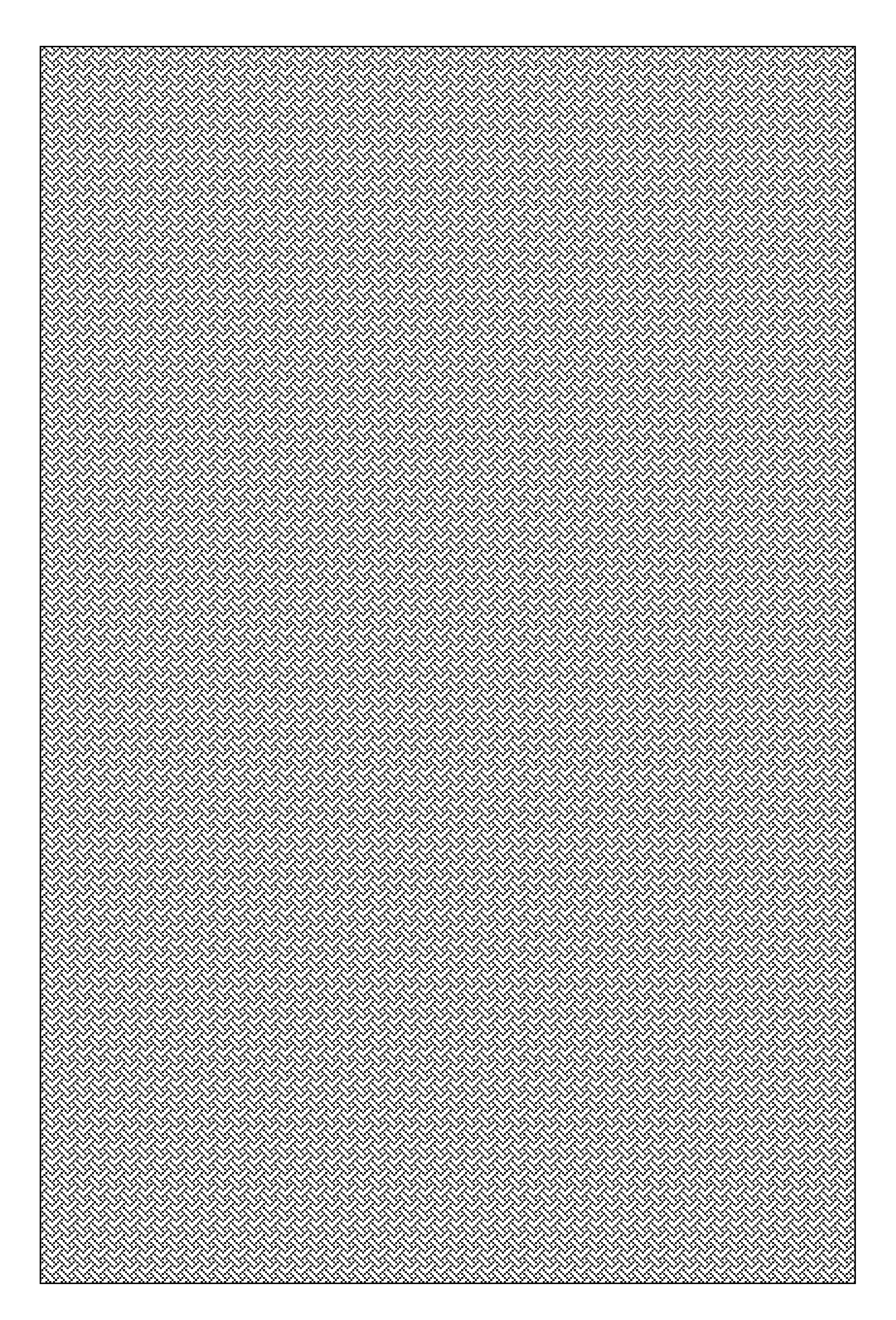
(٢) انظر: شرح الصاوي (١٩٣-١٩٤).





القسم الثاني

النبوَّات



النُّبُوَّاتُ


الشرح

القسم الثاني

النبوَّات

إرسال الرسل في حق الله تعالى جائزٌ عقلاً كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال صاحب الجوهرة:

لله والجائز والممتنعا ... ومثل ذا لرسله فاستمعا

وقال أيضاً:

ومنه إرسال جميع الرسلِ ... فلا وجوب بل بمحض الفضلِ

وليس إرسال الرسل بواجب كما ذهب إليه المعتزلة والفلاسفة، حيث جعله المعتزلة من الأصلح للخلق، فأوجبوا عليه تعالى فعل الصلاح والأصلح لعباده كما تقدم الكلام عنه، وأما الفلاسفة فبنوا الوجوب على قولهم بالتعليل أو الطبيعة، فقالوا يلزم من وجوده تعالى وجود العالم بالتعليل، بأن يكون سبحانه وتعالى علة للعالم أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه، وهذا بناءُ من الفلاسفة على أن العالم قديم، ولا ينشأ عن الله إلا الأصلح، وهؤلاء كفار بهذه العقيدة ، قال الدردير في خريدته:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة ... فذاك كفر عند أهل الملة

ويرد هذا أنه سبحانه فاعل بالاختيار لا بطريق الإجبار.(١)

---

(١) انظر: شرح الصاوي (٢٧٠)، والبيجوري (٢٦٩).

....

الشرح

وإذا قلنا إن إرسال الرسل جائز في حقه تعالى فالإيمان بهم واجب لا جائز.[(١)]

وليس بعث الرسل كذلك في حقه تعالى بمستحيل ، كما ذهب إلى ذلك السَّمُنية والبراهمة، وقد عللوا قولهم هذا بأن إرسالهم عبث؛ لأنه يستغنى عنهم بالعقل، بأن يُجعل مناط فعل شيء تحسين العقل إياه، ومناط ترك الشيء تقبيح العقل إياه، والعبث على الله محال، فيكون إرسال الرسل محال.

وهذا كلام باطل؛ لأن العقل بمفرده لا يهتدي إلى الصواب دائماً، ولا إلى الأفعال المنجية في الآخرة، أي: أن حظ العقل من ذلك الجواز، وأما الوقوع فيوجد من الشرع، فإن الحاجة إلى الرسل للإنباء عمّا بعد الموت من الحشر والنشر والثواب والعقاب والخلود في الدارين، وحظ العقول من ذلك الجواز فقط.

كما أن العقل لا يهدي حتى إلى الأدوية المفيدة للصحة، فحاجة الخلق إلى الأنبياء والرسل كحاجتهم إلى الأطباء، إذ الرسالة سفارة بين الحق تعالى وبين عباده ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم.[(٢)]

قال صاحب الجوهرة في أن الإيمان بالرسل واجب :

لكن بذا إيماننا قد وجبا   فدع هوى قوم بهم قد لعبا

وإذا علمنا أن إرسال الرسل جائز عقلاً.. نعلم أنه غير واجب عليه تعالى، يعني عقلاً، وأما شرعاً.. فهو واجب، وليس المراد بالوجوب هنا أنه واجب على

---

(١) انظر: إتحاف المريد (٢٢٣).

(٢) انظر: قواعد العقائد (٢١٣).

الشرح

الله تعالى، بل هو واجب وقوعاً؛ لأن الله أراد ذلك، وتَعَلَّقَ علمه به، وما أراده الله تعالى وتعلق به علمه لابد من وقوعه.[1]

والجائز عقلاً هو: ما يجوِّز العقل وجوده وعدمه من غير نظر لشرع – لا يمتنع وجود شيء منه، ولا عدمه إلا ما أخبر بوقوعه، فيجب شرعاً لا عقلاً.

وما أخبر الشرع بعدم وقوعه.. فيمتنع، لا لذاته؛ بل لإخبار الشرع بذلك، قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ {القصص: ٦٨}.[2]

الحكمة من إرسال الرسل:

والحكمة من إرسالهم هي: هداية الخلق لطريق الحق، وهي أن يبينوا لهم ما يجب عليهم، كالإيمان بالله وحده وأسمائه وصفاته، وما يُندب ليتَّبِعوا فينالوا الأجر والثواب والرفعة، وما يكره، وما يجوز، وما يحرم، وما يصح، وما يبطل من الأحكام الشرعية لتصح عباداتهم ومعاملاتهم، وتكون أقرب وأرجى للقبول، و كذلك من حكمة إرسال الرسل تكميل معاشهم أي: أمور دنياهم وما يحتاجونه فيها، وأمور معادهم، وهي آخرتهم ليعملوا لها فيفوزوا فيها.



(١) انظر: شرح الصاوي (٢٧١).

(٢) انظر: بشرى الكريم (طبعة دار المنهاج) ٦٢-٦٣.

الصِّفَاتُ الوَاجِبَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ



الصفات الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

يجب على المكلف شرعاً أن يعرف أموراً في حق الرسل إجمالاً وتفصيلاً، فالواجب معرفته إجمالاً هو: أن يعتقد اعتقاداً جازماً أنهم أكمل الناس خلقاً وعقلاً وعلماً، بعثهم الله وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرات.

قال صاحب الجوهرة:

بالمعجزات أُيدوا تكرما وعصمة الباري لكلٍّ حتما

فلا تكتسب النبوة للعبد بمباشرة أسباب مخصوصة؛ لأن النبوة اختصاص العبد لسماع وحيٍ من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي، سواء أمر بتبليغه أم لا، وهكذا الرسالة لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وفسر الفلاسفة النبوة بأنها: صفاء وتجلٍ للنفس يحدث لها من الرياضات، وبالتخلي عن الأمور الذميمة، وبالتخلق بالأخلاق الحميدة، فلهذا عندهم النبوة مكتسبة وهي من أقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة، ويلزم قولهم باكتسابها تجويز نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أو معه، وذلك مستلزم لتكذيب القرآن والسنة.(١)

قال صاحب الجوهرة:

ولم تكن نبوة مكتسبهْ ولو رقى في الخير أعلى عقبهْ
بل ذاك فضل الله يؤتيه لمنْ يشاءُ جلَّ اللهُ واهب المننْ

(١) انظر: البيجوري (٢٨٧)، وإتحاف المريد (٢٣٣).

....

﴿الشرح﴾

ويجب اعتقاد أيضاً أنهم بلَّغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده ولم يكتموا شيئاً كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك.

فائدة:

خوارق العادة خمسة ، وهي: المعجزة، والكرامة، والمعونة، والإهانة، والاستدراج.

فالمعجزة هي: أمر خارق للعادة يجريه على يد نبي من أنبياءه بعد النبوة، فإن كان قبل النبوة.. سمى إرهاصة.

واعتبر المحققون في المعجزة ثمانية قيود:

الأول: أن تكون قولاً كالقرآن، أو فعلاً كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أو تركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. فأما الصفة القديمة – كما إذا قال: آية صدقي أن الله متصف بالقدرة.. فليست بمعجزة.

الثاني: أن تكون خارقة للعادة، والعادة ما درج عليه الناس واستمروا مرة بعد أخرى، فغير الخارق ليس بمعجزة، كما لو قال: آية صدقي أن تطلع الشمس من المشرق وتغرب من المغرب.

الثالث: أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة، فتخرج الكرامة والمعونة والاستدراج وغيرها.

....

الشرح

الرابع: أن تكون مقرونة بدعوة النبوّة أو الرسالة حقيقة، أو حكماً بأن تأخرت زمن يسير، فيخرج بذلك الإرهاص، وهو ما كان قبل النبوة أو الرسالة تأسيساً لها، كإظلال الغمام للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قبل البعثة، أو كظهور النور في جبين أبيه عبدالله.

الخامس : أن تكون موافقة للدعوى، فخرج المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقه انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

السادس: أن لا تكون مكذِّبة له، فخرجت المكذِّبة، كما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الجماد، فنطق الجماد بأنه مفترٍ كذّاب، بخلاف ما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الإنسان الميت وإحياؤه فأحيي، ونطق بأنه مفتر كذَّاب.. فلا عبرة بقوله أي: الميت، والفرق بينهما.. أن الجماد لا اختيار له فكان تكذيبه معتبر؛ لأنه أمر إلهي، والإنسان له اختيار فلم يعتبر تكذيبه إذ أنه قد يختار الكفر على الإيمان ويكفر بهذا النبي.

السابع: أن تتعذر معارضته، فخرج بذلك السحر، ومنه الشعبذة وهي خفة في اليد، يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها، والسحر ليس من الخوارق؛ لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه.

....

الشرح

الثامن: أن لا تكون في زمن نقض العادة، أي: زمن تنقض فيه العادة وتظهر خوارق العادات أصلاً، كزمن طلوع الشمس من مغربها، وخرج أيضاً ما يقع من الدجال، كأمره للسماء فتمطر، وللأرض فتنبت.[1]

والكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، غير مقرون بدعوى النبوة، كوجود فاكهة الصيف في وقت الشتاء لسيدتنا مريم عليها السلام والعكس، وقد حكى الله في كتابه ذلك فقل: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ {آل عمران: ٣٧} ؛ ولهذا من أنكر أصل الكرامات فقد كفر؛ لأنه ينكر القرآن حيث ورد في القرآن ذكر الكرامات، أما من أنكر كرامة بعينها من غير ما ذكر في القرآن ومن غير ما تواترت روايتها.. فلا يكفر .

و المعونة: هي ما يظهره الله على يد العوام تخليصاً لهم من شدة.

والاستدراج هو: ما يظهره الله على يد شخص فاسق مارق، فالمقصود من ظهوره.. استدراجه وخديعته والمكر به، كما قال تعالى ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ {القلم: ٤٤ – ٤٥}.

---

(١) انظر: البيجوري (٢٩٩-٣٠٠)، وإتحاف المريد (٢٤١).

الصِّفَاتُ الوَاجِبَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهُمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْبَعُ صِفَاتٍ وَهِيَ: الصِّدْقُ وَالأَمَانَةُ وَالتَّبْلِيْغُ وَالفِطَانَةُ.

الصِّفَاتُ المُسْتَحِيْلَةُ فِيْ حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَالصِّفَاتُ المُسْتَحِيْلَةُ فِيْ حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهُمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْبَعُ صِفَاتٍ وَهِيَ: الكَذِبُ وَالخِيَانَةُ ....

الشرح

والإهانة: هي ما يظهره الله على يد فاسقٍ تكذيباً له، كما وقع لمسيلمة الكذاب، فإنه مسح على عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وتفل في بئر ليكون ماؤها عذباً فغارت.

ويجب على المكلف شرعاً أن يعرف في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام تفصيلاً: تسع صفات، أربع منها واجبة وهي: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة، وسيتكلم المصنف رحمه الله ونفعنا به عن كل صفة قريباً.

الصفات المستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

والصفات المستحيلة في حق الرسل عليهم السلام هي أضداد الصفات الواجبة، فتكون أربع صفات مستحيلة، وهي:

١. الكذب وهو ضد الصدق، فالكذب: هو الإخبار بما يخالف الواقع.
٢. الخيانة، وهي ضد الأمانة، فالخيانة هي: الوقوع في المخالفات الشرعية قبل النبوة وبعدها.

وَالكُتْمَانُ وَالبَلَادَةُ.

الشرح

٣. الكتمان، أي: كتمان أي شيء مما أمروا بتبليغه، وهي ضد التبليغ.

٤. البلادة، أي: البلاهة والغفلة وعدم الفطنة، وهي ضد الفطانة.

قال صاحب الجوهرة:

وواجب في حقهمْ الأمانةْ وصدقهم وضِفْ له الفطانةْ
ومثل ذا تبليغهم لما أُتوا ويستحيل ضدها كما رووا

وهناك أمران يستحيل وجودهما في الأنبياء والمرسلين لم يذكرها المصنف رحمه الله:

الأول: الجنون، قليله وكثيره.

والثاني: السهو في الإخبار البلاغية وغيرها، كالأقوال الدينية الإنشائية، وأما السهو في الأفعال البلاغية وغيرها.. فجائز للتشريع ، كالسهو في الصلاة لبيان الحكم، لكن سهوهم لم يكن ناشئاً عن انشغالهم بغير ربهم، وفي ذلك قال بعضهم:

يا سائلي عن رسول الله كيف والسهو من كل قلب غافل
لقد غاب عن كل شيء سره عما سوى الله فالتعظيم لله

أما النسيان في الأمور البلاغية فهو ممتنع قبل التبليغ، قوليه كانت أو فعلية، وأما بعد التبليغ:

- فيجوز نسيان ما ذكر على أنه أي: النسيان من الله تعالى.

الصِّفَتُ الجَائِزَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

وَالصِّفَاتُ الجَائِزَةُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاحِدَةٌ وَهِيَ: (الأَعْرَاضُ البَشَرِيَّةُ) الَّتِيْ لَا تُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِم العَلِيَّةِ، كالأَكْلِ

الشرح

- أما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم إذ ليس له عليهم سلطان، وقول يوشع ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ {الكهف: ٦٣} .. تواضع منه، أو قبل نبوته وعلمه بحال نفسه، وإلا فهو رحماني بشهادة ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ {الكهف: ٦٤}.

فائدة:

وسوسة الشيطان لسيدنا آدم كان بتمثيل ظاهري، أي: تمثل له في الظاهر، والممنوع في حق الأنبياء والرسل سلطانه على بواطنهم، فبالجملة يجوز على ظواهرهم ما لا يجوز على البشر مما لا يؤدي إلى نقص، وأما بواطنهم.. فمنزهة أبداً، متعلقة بربهم.(١)

الصفات الجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

والمراد بالجائز هنا هو: ما لا يجب عقلاً ثبوته لهم ولا نفيه عنهم.

والجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام صفة واحدة وهي: اتصافهم بالأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العليّة، كالأكل والشرب، والمرض الخفيف الذي لا ينفّر الناس عنهم، والجماع الحلال (الزواج).

---

(١) انظر: البيجوري (٢٨٣)

وَالشُّرْبِ وَالـمَرَضِ بِغَيْرِ مُنَفِّرٍ وَالـمَشْيِ فِي الأَسْوَاقِ وَالزَّوَاجِ.


الشرح

قال صاحب الجوهرة:

وجـائزٌ في حقهـم كالأكـلِ　　　وكـالجماع للنسـا في الحـلِّ

وتمثيل المصنف رحمه الله هنا لما يجوز بالأكل والشرب والجماع الحلال.. فيه إشارة إلى أنه لا فرق بين أن يكون الجائز في حقهم من توابع الصحة التي لا يُستغنى عنها عادة كالأكل والشرب، أو التي يُستغنى عنها كالجماع للنساء، لكن الجماع مشروط في حال الحل، بأن كان بالملك أو بالنكاح، فيجوز لهم الوطء بالملك، ولو للأَمَة الكتابية، بخلاف المجوسية ونحوها كالوثنية، ومتتنع عنهم وطء الصائمات صوماً مشروعاً، وكذا المعتكفات والحائضات وفي حال النفاس والإحرام.(١)

ومن الأعراض التي لا تؤدي إلى نقص.. الإغماء، إلا أنه قُيِّد بالإغماء غير الطويل، بخلاف ما فيه نقص كالجنون قليله وكثيره ؛ لأنه نقص، و بخلاف الجذام والبرص والعمى وغير ذلك من الأمور المنفِّرة، فهم منزهون عن ذلك كله.

أما ما كان من سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام.. فهو حجاب على العين من تواصل الدموع، ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيراً، وما كان بسيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام من البلاء لم يكن منفِّراً، أما ما اشتهر عنه من الحكايات المنفِّرة فهي باطلة من فعل اليهود، كما ناه لم يثبت أن سيدنا شعيباً كان ضريراً.



(١) انظر: إتحاف المريد (٢٣٠).

مَعْنَى الصِّدْقِ

الصِّدْقُ هُوَ مُطَابَقَةُ الخَبَرِ لِلْوَاقِعِ. وَالمَعْنَى: أَنَّ جَمِيْعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهُمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ اللهِ تَعَالَى هُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ.

الشرح

معنى الصدق

الصدق هو: مطابقة الخبر للواقع، والمراد بالصدق في حقهم عليهم الصلاة والسلام: الصدق في دعوى الرسالة وفي الأحكام التي يبلغونها عن الله تعالى، ومطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب اعتقادهم.

❁ الدليل العقلي على صدقهم:

والدليل على وجوب صدقهم: أنه لو جاز عليهم الكذب للزم الكذب في خبره تعالى، أي: أنهم لو لم يصدقوا.. للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات، إذ أن المعجزة نازلة منزلة قوله تعالى (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني)، فالله تعالى هو الذي أيّدهم بالمعجزات التي تعني تصديقهم، وتصديق الكاذب كذب، والكذب محال في حقه تعالى، فينتج عن ذلك أن عدم صدقهم محال، وإذا استحال عدم الصدق.. وجب الصدق، وهو المطلوب.[1]

❁ الدليل النقلي على صدقهم:

قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ {الأحزاب: ٢٢}، وقوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ { يس: ٥٢}.

---

(١) انظر: البيجوري (٢٧٨)، وإتحاف المريد (٢٢٥).

وَضِدُّ الصِّدْقِ الكَذِبُ، وَهُوَ الإِخْبَارُ بِغَيْرِ الوَاقِعِ، فَالكَذِبُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّهِم عَلَيْهُمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشرح

فائدة:

وجوب الصدق للأنبياء داخل في العصمة التي يأتي إن شاء الله تعالى الحديث عنها، ولكن العلماء يبرزون هذه الصفة لأهميتها في حق الأنبياء.[1]

وضد الصدق الكذب، وقد تقدم الكلام عنه.



(١) انظر: المختصر المفيد للشيخ نوح القضاة (١٢٥).

مَعْنَى الأَمَانَةِ

الأَمَانَةُ هِيَ: عِصْمَتُهُم ظَاهِراً وَبَاطِناً، مِنَ الخِيَانَةِ بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوْهٍ أَوْ خِلَافِ الأَوْلَى.



معنى الأمانة

والمراد بالأمانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام هي: عصمتهم أي: حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن الوقوع في المحرمات والمكروهات وخلاف الأولى.

العصمة:

والعصمة لغةً: مطلق الحفظ.

واصطلاحاً: حفظ الله تعالى للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه، وبهذا المعنى لا يجوز أن نسألها، أما إن سألها إنسان وأراد بها المعنى اللغوي الذي هو مطلق الحفظ.. فإنه جائز.(١)

وقت وجوب العصمة:

اختلف أهل العلم في وقت وجوب العصمة لهم عليهم الصلاة والسلام على مذهبين:

الأول: أنها واجبة لهم من أول الولادة إلى آخر العمر.

الثاني: أنها تجب لهم في زمن النبوة، أما قبلها فهي غير واجبة.

(١) انظر: البيجوري (٣٠٣).

....

الشرح

والمعتمد في هذا ما قاله العلامة محمد بخيت المطيعي من أنهم معصومون قبل النبوة وبعدها، أي: استمراريتها معهم، فلا يصدر منهم ذنب لاستحالة كل ما ينفِّر عنهم قبل النبوة.[١]

تساؤل:

قد يتساءل البعض ويقول: أن هناك بعض الأنبياء فيما يظهر لنا قد وقع في المخالفة، كسيدنا آدم أبو البشر، وسيدنا موسى، وأخوة يوسف على القول بنبوتهم، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب هو: أن كل ما أوهم المعصية منهم.. فمؤول بأنه من حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولا يجوز التكلم به في غير مورده إلا في مقام البيان.

فأما ما وقع من سيدنا آدم عليه السلام.. فهي معصية لا كالمعاصي؛ لأنه تأول الأمر لسر بينه وبين خالقه وإن لم نعلمه،[٢] ولم يكن متعمد الوقوع بل كان ناسيا أي غير عاص بدليل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ {طه: ١١٥}.

وأما سيدنا موسى.. فلم يكن قصده قتل الرجل، فكيف تعدُّ معصية؛ إذ أنها لا تكون معصية إلا إن قصدها.

ويُحتمل أن يقال: إنه لكفر القبطي كان مستحقاً للقتل، بيد أنه عليه السلام لم

(١) انظر: البيجوري (٢٧٤).

(٢) انظر: هداية المريد (٧٤).

....

الشرح

يقصد إلا تخليص الذي من شيعته، فأدَّى به ذلك إلى القتل من غير قصد.[(١)]

وأما إخوة يوسف على القول بنبوتهم فالجواب ما قاله الصاوي في شرحه على الجوهرة، حيث قال: ((أنهم وإن كانوا أنبياء إلا أنهم ليسوا برسل شرعيين– و سيأتي إن شاء الله تعالى الفرق بين النبي والرسل –، فللنبي أن يفعل بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر، كما في خرق السفينة، وقتل الغلام الواقع من الخضر عليه السلام – وهذا على القول بنبوته – فهو بحسب الظاهر حرام، وبحسب الباطن مصلحة.

وأخوة يوسف أعلمهم الله بالإلهام أو بالوحي أن يوسف يملك مصر، وتحصل له السيادة العظمى بها، فتعين عليهم أن يفعلوا أموراً وإن كان ظاهرها الحرام، إلا أنها في الباطن والواقع واجبة عليهم، ليتوصلوا بذلك إلى وصوله إلى مصر، ففعلهم هذا حرام ظاهراً مأمورين به باطناً، ويقال فيهم كما قال الخضر: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ الكهف: ٨٢)) اهـ.[(٢)]

فالرسل معصومون أي: محفوظون في ظواهرهم وبواطنهم عليهم الصلاة والسلام من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى، فأفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب.[(٣)]

---

(١) انظر: البيجوري (٢٧٧).

(٢) شرح الصاوي (٢٧٥-٢٧٦).

(٣) انظر: شرح الصاوي (٢٧٥)، وهداية المريد (٧٤).

وَضِدُّ الأَمَانَةِ الخِيَانَةُ، وَهِيَ ارْتِكَابُهُم فِعْلَ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوْهٍ أَوْ خِلَافِ الأَوْلَى. فَالخِيَانَةُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشرح

والعصمة ظاهراً: من الزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب وغير ذلك.

والعصمة باطناً: من الحقد والحسد والكبر والعجب، وغير ذلك.

❁ فائدة:

قد يقع منهم المكروه وخلاف الأولى، لا على وجهها؛ بل على وجه التشريع، ليدل على أن هذا الأمر جائز وإن كان خلاف الأولى أو مكروها، ويكون بفعل ذلك مشرِّعا لأمرٍ لا مريداً فعل المكروه أو خلاف الأولى، وذلك كالبول من قيام، والشرب كذلك، وترك بعض الرغائب.(١)

❁ الدليل العقلي على أمانتهم:

ودليل ذلك أنهم لو قاموا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى.. لكنَّا مأمورين به؛ لأن الله تعالى أمرنا باتِّباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل، إلا ما ثبت اختصاصهم به، وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الأولى.(٢)

❁ الدليل النقلي على أمانتهم:

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ {الشعراء: ١٠٧}، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ {الأنفال: ٥٨}.

وضد الامانة الخيانة، وقد تقدم الكلام عنها، وهي صفة مستحيلة لاثبات ضدها.

---

(١) انظر: شرح الصاوي (٢٧٥).

(٢) انظر: هداية المريد (٧٤).

مَعْنَى التَّبْلِيْغِ

وَالتَّبْلِيْغُ هُوَ: تَعْلِيْمُهُم وَإِبْلَاغُهُم إِلَى النَّاسِ، جَمِيْعَ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِتَبْلِيْغِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ الدِّيْنِيَّةِ. وَضِدُّ التَّبْلِيْغِ: الكُتْمَانُ، وَهُوَ إِخْفَاؤُهُم شَيْئاً مِمَّا أُمِرُوْا بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ، فَالكُتْمَانُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشرح

معنى التبليغ

والمراد بالتبليغ في حقهم عليهم الصلاة والسلام: هو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها للخلق، إذ هم مأمورون بذلك، بخلاف ما أمروا بكتمانه، أو خيّروا فيه، فقد لا يبلغونه، وخاصة إذا كانت عقول الناس لا تحتمله كالأمور الغيبية.

والتبليغ خاص بالرسل دون الأنبياء، فالرسل والأنبياء يشتركون في هذه الصفات الواجبة عدا التبليغ فهو خاص بالرسل كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى.

وقال بعض أهل العلم أن التبليغ من صفات الأنبياء أيضاً؛ لأنه يجب على النبي أن يبلغ أنه نبي ليحترم،[١] لكن هذا لا يعدُّ تبليغاً للأحكام، بل هو إخبار بالنبوة بخلاف الرسل فهم يبلغون الأحكام على خلاف في المسألة يأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

فائدة:

ما جاء به الرسل ثلاثة أقسام:

١) قسم أُمِرُوا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.

(١) انظر: البيجوري (٢٧٤).

....

الشرح

٢) قسم أمروا بكتمانه، فلم يبلغوا منه حرفاً.

٣) قسم خُيِّروا بين كتمانه وتبليغه، فبلغوا البعض وكتموا البعض.[١]

وضد البلاغ الكتمان كما تقدم.

الدليل العقلي على تبليغهم:

والدليل على التبليغ أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق.. لكنَّا مأمورين بكتم العلم؛ لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم، ولا يصح أن نؤمر بذلك؛ لأن كاتم العلم ملعون كما ورد في الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ.. أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَنْ كَتَمَ عِلْمًا مِمَّا يَنْفَعُ الله بِهِ فِي أَمْرِ النَّاسِ أَمْرِ الدِّينِ أَلْجَمَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ النَّارِ**)) أخرجه ابن ماجه؛ ولأن عدم التبليغ يقتضي المعصية، والمعصية مستحيلة عليهم.

الدليل النقلي على تبليغهم:

قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ {المائدة: ٦٧}، وقوله تعالى: ﴿ **فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ** ﴾ { النحل: ٣٥}، وقوله تعالى: ﴿ **رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ** ﴾ {النساء: ١٦٥}.

---

(١) انظر: شرح الصاوي (٢٧٧).

مَعْنَى الفِطَانَةِ

وَالفِطَانَةُ هِيَ: كَمَالُ الذَّكَاءِ وَالنَّبَاهَةِ وَالتَّيَقُّظِ لِإِلْزَامِ الخُصُوْمِ فِي المُحَاجَّةِ، وَإِبْطَالِ دَعَاوِيْهِم. وَضِدُّ الفِطَانَةِ البَلَادَةُ، وَهِيَ عَدَمُ التَّيَقُّظِ وَالتَّنَبُّهِ لِكَيْدِ الخَصْمِ وَحِيَلِهِ، وَالعَجْزُ عَنْ إِقَامَةِ الحُجَّةِ. فَالبَلَادَةُ صِفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



معنى الفطانة

والمراد بالفطانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام هي: التفطن والتَّيقظ لإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم الكاذبة، أي: قوة الذكاء وقوة الملاحظة، والتيقّظ، وقوة الحجة بحيث يستطيعون إقامة الحجة على صدق ما يدعون إليه، ويستطيعون كذلك إبطال شبهة المخالفين لهم.

وضد الفطانة البلدة كما تقدم وهي صفة مستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

۞ الدليل العقلي على فطانتهم:

والدليل عل ذلك: أنه لو انتفت عنهم الفطانة.. لما قدروا أن يقيموا الحجة على خصمهم، وذلك محال؛ ولأنهم مبلِّغون عن الله تعالى فلابد أن يجعل فيهم من الذكاء وقوة الحجة ما يجعل تبليغهم حجة على الناس وهم يتعرضون دائماً في دعوتهم إلى الله عز وجل لخصوم يجادلونهم، فلا يمكن دفعهم إلا بهذه الخصلة.

....

الشرح

❁ **الدليل النقلي على فطانتهم:**

قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ {الأنعام: ٨٣}، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ {هود: ٣٢}، أي: خاصمتنا فأطلت، أو أتيت بأنواع، وقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ {النحل: ١٢٥}.

❁ **تنبيه:**

قد يقال أن هذه الآيات واردة في بعضهم، فلا تدل على ثبوتها لجميعهم.

وأجيب على ذلك:

بأنه لما ثبت الكمال لبعضهم ثبت لكلهم، وإن كانوا أنبياء فقط، أي: ليسوا برسل؛ لأنها قد تَرِد شبهةٌ وهي أن الأنبياء غير مكلفين بالتبليغ فلما يحتاجون إلى الفطانة مع عدم وجود جدال، إذ أن الجدال غالباً ينتج عن البلاغ؟ فالرد هو: أن اللائق بمنصب النبوة أن يكون عندهم من الفطانة ما يردون به الخصم على تقدير وقوع جدال معه، بحيث لو وقع الجدال لاستطاعوا إبطال دعاويه ودحض حجته، نعم الواجب للأنبياء مطلق الفطنة، وإنما للرسل كمالها، إذ هم شهود الله على عباده والشاهد لا يكون مغفلاً.(١)

---

(١) انظر: البيجوري (٢٧٩).

الرُّسُلُ الوَاجِبُ مَعْرِفَتُهم تَفْصِيْلاً

الوَاجِبُ مَعْرِفَتُهُم مِنَ الرُّسُلِ تَفْصِيْلاً خَمْسَةٌ وَعِشْرُوْنَ وَهُمْ سَادَاتُنَا: (آدَمُ، وَإِدْرِيْسُ، وَنَوْحٌ، وَهُوْدٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيْمُ، وَلُوْطٌ، وَإِسْمَاعِيْلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوْبُ، وَيُوْسُفُ، وَأَيُّوْبُ، وَشُعَيْبٌ، وَهَارُوْنُ، وَمُوْسَى، وَاليَسَعُ، وَذُوْ الكِفْلِ، وَدَاوُدُ، وَسُلَيْمَانُ، وَإِلْيَاسُ، وَيُوْنُسُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيْسَى، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ المُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِم أَجْمَعِيْنَ).

الشرح

الرسل الواجب معرفتهم تفصيلاً

الواجب معرفته من الرسل إجمالاً: ثلاثمائة وثلاثة عشرة، وقيل أربعة عشرة، وقيل خمسة عشرة، ومن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف، وفي حديث أبي ذر: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: ((مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا)) أخرجه أحمد، وفي لفظ عند ابن حبان في عدد الرسل: ((ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا)).

والصحيح: لا يعلم عددهم إلا الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ {غافر: ٧٨}.

والواجب معرفتهم تفصيلا من الرسل خمسة وعشرون، وهم على الترتيب الزمني في إرسالهم: **آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وهارون، وموسى،**

....

الشرح

واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وإلياس، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ثمانية عشر منهم مذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنعام: ٨٣ – ٨٦}، وبقية الرسل مذكورين في الآيات التالية:

سيدنا آدم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {آل عمران: ٣٣}، وسيدنا إدريس في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ {مريم: ٥٦}، وسيدنا هود في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ {الشعراء: ١٢٣ – ١٢٤}، وسيدنا صالح في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ {الشعراء: ١٤١ – ١٤٢}، وسيدنا شعيب في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ {هود: ٨٤}، وسيدنا ذو الكفل في قوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ {الأنبياء: ٨٥}، وسيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه

الرَّسُوْلُ وَالنَّبِيُّ

الرَّسُوْلُ: هُوَ إِنْسَانٌ حُرٌّ ذَكَرٌ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ، وَأَمَرَهُ بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ.
وَالنَّبِيُّ: هُوَ إِنْسَانٌ حُرٌّ ذَكَرٌ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ.

الشرح

وآله وصحبه وسلم في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ {الفتح: ٢٩} ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرسول والنبي

والرسول هو: إنسان ذكر حر سليم من منفِّر طبعاً وعن دناءة أب وعن خناء أم أوحى الله إليه بشرع وأُمر بتبليغه.

والنبي هو: إنسان ذكر حر من بني آدم سليم من منفِّر طبعاً وعن دناءة أب وعن خناء أم أوحى الله إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

تنبيه:

هذا التعريف للنبي ضعيف؛ لأن كل إنسان مأمور بالتبليغ، وذلك على الأقل بتبليغ رسالة رسول قبله، كما أن مؤمن يجب عليه أن التبليغ، فكيف لا يكون النبي مأمور بالتبليغ.

أما إن قلنا: إن معناه إن معنى النبوة إنما يلتفت إلى كون النبي مبَلَّغا عن ربه بأمور، بغض النظر أُمِرَ بالتبليغ أو لم يؤمر.. فهذا المعنى قوي، وهو ظاهر كلام العز بن عبد السلام في آخر قواعده الكبرى، وحاصله أن النبي اسم للإنسان

فَكُلُّ رَسُوْلٍ نَبِيٌّ وَلَا عَكْسَ.

الشرح

الذي أوحي إليه بأمور من عند ربه، وأما الرسول فهو بالإضافة إلى ذلك أمر بالتبليغ إلى الناس.

قال الإمام عبد القاهر البغدادي: والفرق بينهما -أي بين النبي والرسول- أن النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله. اهـ، ومال الإمام التفتازاني كما في شرح المقاصد إلى الترادف بين معنى النبي والرسول، فقال: النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول. اهـ وعلى هذا مشى الإمام السنوسي في أم البراهين. وقال الملا أحمد الجندي في حاشيته على شرح العقائد: لكنه خلاف ما عليه الجمهور، وما اختاره القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي)الآية، حيث قال الرسول من بعثه الله بشريعة متجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمّه ومن بعثه إلى الخلق لتقرير شرع سابق، وقيل: الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي غير الرسول من لا كتاب له، وقيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال لمن يوحى إليه في المنام. اهـ كلام القاضي[(١)]

قول المصنف رحمه الله: (فكل رسول نبي ولا العكس) على القول بأن النبي لم يؤمر بالتبليغ: أي أنّ بينهما عموم وخصوص، حيث يجتمعان فيمن كان نبياً ورسولاً كسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وينفرد النبي فيمن كان

(١) انظر: تهذيب شرح السنوسية (٩٨).

....

الشرح

نبياً فقط، ولا ينفرد الرسول.

أما عند من قال بأن النبي هو إنسان أمره الله بشرع من قبله، وأمره بتبليغه، فبناء عليه.. لا يكون كل رسول نبيا، لأنه ليس كل رسول أرسل إليه شرع جديد، أمر باتباع شرع من قبله.[1]

تتمة:

ما مرّ من الواجب في حق الرسل.. يقتضي العقلُ السليم وجودها في الرسل والأنبياء ليكونوا حجة على الناس، وهناك أمور أخرى يشترط وجودها في الرسل والأنبياء دل على ذلك الشرع، وهي:

١. البشرية: فالله تعالى أرسل الرسل إلى البشر، إذاً يجب أن يكون الرسل بشراً، لتمكن البشر من الاقتداء بهم في سلوكهم، والأخذ عنهم؛ لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء فقال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ {الأحزاب: ٢١}، وقال لنا ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ {الحشر: ٧}، وقد طلب الكفار قديماً رسلاً من الملائكة، فرد الله عليهم بقوله ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ {الأنعام: ٩}، ولو جعل اللهُ الرسلَ ملائكة فإن من المستحيل الاقتداء بهم؛ لأنهم أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون.

---

(١) تهذيب شرح السنوسية (١٠١).

....

﴿الشرح﴾

٢. الحرية: فالرقيق لا يملك أمر نفسه، بل هو متبع لغيره فكيف يكون رسولاً يقود الأمة؟! ثم هو يباع ويُشترى، فكيف سيكون له احترام؟! أم كيف سيتفرغ للبلاغ؟! وأما على القول بنبوة لقمان

والحال أنه عبد.. فالمراد أنه كان أسمر اللون يشبه العبد، والصحيح أنه عبد صالح.

٣. الذكورة: قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ {يوسف: ١٠٩}،والحكمة في جعل الرسل ذكوراً هي : أن الرسول يجب أن يختلط بالناس لإبلاغ الدعوة والرسالة، ولو جعل الله من الرسل امرأة فإن هذه الخلطة قد تعرِّض المرأة لسفاهة السفهاء، والمرأة مأمورة بالابتعاد عن الرجال، وكذلك الرجل أقدر على تحمل أعباء الدعوة والتبليغ، وأما مريم فالمعتمد أنها صديقة، قال تعالى: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾ {المائدة: ٧٥}، وأما قوله تعالى ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ {القصص: ٧} فالمراد به الإلهام لا وحي نبوة.

٤. كمال العقل والذكاء وقوة الرأي: لأن هذا سلاح النبي والرسل، فلابد أن يزوده الله تعالى به ليتمكن من تبليغ الدعوة، وقد كان الكفار يتهمون الرسل بالجنون، ورد الله ذلك عليهم في أكثر من موضع في القرآن، قال تعالى ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ {القلم: ٢}.

....

الشرح

٥. الوحي، أي: يوحى إليه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَ ﴾ {النساء: ١٦٣}.

والوحي لغة: الإشارة وكل كلام خفي، وشرعاً: ما جاء به النبي المبعوث عن ربه، على لسان الملَك، أو بالإلهام، أو في النوم، أو الإلقاء في الروع.

والشرع: هو ما شرعه الله تعالى من الأحكام.

٦. السلامة من كل ما يَنْفُرُ منه طبع الناس من مرض وغيره: لأن الله تعالى يقيم الحجة على الناس بما يسمعونه ويشاهدونه من الرسول والنبي، فكيف يستمعون إليه ويجتمعون به وفيه ما ينفّر الطباع منه، ولهذا يجب رد ما في قصص بني إسرائيل عن الأنبياء من أن بعضهم أصيب بأمراض منفِّره؛ نعم قد يصاب الرسل والأنبياء ببعض الأمراض الشديدة؛ لأنهم بشر كما تقدم، لكن ما ينفِّر الناس عن صاحبه.. فهم سالمون منه.(١)



(١) انظر: إتحاف المريد (٢٢٦-٢٢٧)، والمختصر المفيد (طبعة دار الرازي) (١٢٦-١٢٧).

أَوَّلُ النَّبِيِّيْنَ وَخَاتَمُهُم

أَوَّلُ النَّبِيِّيْنَ بِصُوْرَتِهِ آدَمُ، وَآخِرُهُم بِصُوْرَتِهِ وَأَوَّلُهُم بِمَعْنَاهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ

الشرح

أول النبيين وخاتمهم

أول نبي بصورته أي بذاته هو سيدنا آدم، فالمعنى أن سيدنا آدم عليه السلام هو أول نبي بعثه الله وأرسله إلى أولاده برسالة ووحي، وهذا هو المعتمد بأن سيدنا آدم أبا البشر هو نبي من الأنبياء، وهو أولهم بروزاً إلى عالم الشهادة، فعن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ؟ قَالَ: ((**آدَمُ**))، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ نَبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ: ((**نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وآخرهم بصورته سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أي: أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هو آخر الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى الخلق، وهو أول الأنبياء بالمعنى، وفي ذلك إشارة إلى أن نبوته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب، فعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**إِنِّي عَبْدُ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ**﴾ {الأحزاب: ٧} قَالَ: ((**كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ**)) أخرجه الديلمي، وأبو نعيم الأصبهاني في (دلائل النبوة).

خَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ وَسَيِّدُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، فَلَا نَبِيَّ وَلَا رَسُوْلَ بَعْدَهُ أَبداً. قَالَ اللهُ تَعَالَى:(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُوْلُ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ).

الشرح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: ((**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**)) أخرجه الترمذي، وأحمد عن مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ.

وهو صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم خاتم النبيين، أي: آخر الأنبياء والمرسلين بعثة، وهو صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كذلك سيد الأولين والآخرين؛ لقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ {الأحزاب: ٤٠}.لقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) أخرجه مسلم.

فلا نبي بعده صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أي: لا تبتدئ نبوة بعده أبدا، فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: ((**أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ**)). قَالَ: ((**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**)) أخرجه البخاري ومسلم، وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ((... **وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**)) أخرجه أحمد والترمذي، وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ.. خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**)) أخرجه البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ

....

﴿الشرح﴾

عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وأمّا سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام.. فإن خروجه في آخر الزمن ليس بشريعة جديدة؛ بل يحكم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، قال الإمام النووي: ((يَنْزِل – سيدنا عيسى – حَاكِمًا بِهَذِهِ الشَّرِيعَة لَا يَنْزِل بِرِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّة، وَشَرِيعَة نَاسِخَة، بَلْ هُوَ حَاكِم مِنْ حُكَّام هَذِهِ الْأُمَّة)) اهـ.(١)

تتمه فيما يتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:

الواجب على المكلف شرعاً أن يعتقد أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أرسله الله إلى كافة الخلق، للإنس والجن حيث أن الرسل السابقين كانوا يُرسَلون إلى أقوامهم خاصة، أما نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقد أرسل للخلق كافة، فعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:((**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**)).

---

(١) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠).

....

الشرح

وإرساله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم للأنس والجن تكليفاً، أما غيره كالملائكة.. فإرساله لهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تشريفاً لا تكليفاً؛ لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ {سبأ: ٢٨} ، وقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ {الفرقان: ١}.

وشمل قولنا الإنس والجن.. يأجوج ومأجوج، وهم أولاد يافث بن نوح، وقيل غير ذلك، فقد قال ابن كثير في تفسيره:((هم سلالة آدم كما ثبت في الصحيحين))اهـ، وأراد بذلك ما ورد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ يَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ {الحج: ٢}**)).

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ، قَالَ:((**أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**))، قَالَ: فَحَمِدْنَا اللهَّ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ:((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

....

الشرح

وأما شمول الرسالة للجن.. فقد نص الله على ذلك فقال: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ {الجن: ١} إلى آخر سورة الجن، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ {الأحقاف: ٢٩}.

فائدة:

الحكمة من أن الرسل السابقين كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة.. أن الناس كانوا في زمن الأنبياء السابقين متباعدين في أوطانهم، بدائيين في حياتهم، فلو أُرسل إليهم جميعاً رسولٌ واحدٌ.. لعسر عليه إبلاغهم، وكذلك ما يناسب بعضهم من الشرائع قد لا يناسب البعض الآخر، فلما

تواصل البشر بالأسفار التجارية وغيرها، وتقدموا مدنياً، وتشابهت حاجاتهم.. أرسل الله تعالى إليهم جميعاً سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بشريعة واحدة تنظم حياتهم على أحسن وجه، ولها من الخصائص ما يجعلها صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان.(١)

ويجب على المكلفين محبته واحترامه وتوقيره صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا

(١) انظر: المختصر المفيد (١٣٩).

....

الشرح

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ {الأعراف: ١٥٧}.

ويجب عليهم كذلك حفظ شريعته من التحريف والتبديل والتغيير والتشكيك، وذلك بالعلم ووجود العلماء فيهم.

ويجب اعتقادهم أن حكم شريعته قد نسخ جميع الشرائع.

النسخ:

والنسخ لغة: هو الإزالة والنقل، ومنه نَسَخَتِ الشمس الظل : أي: أزالته، ونَسَخْتُ الكتاب: أي: نقلته.

واصطلاحاً: رفع حكم شرعي بدليل شرعي.

والمراد بالرفع: انقطاع تعلقه بالمكلفين؛ لأنه خطاب الله تعالى، ويستحيل رفعه؛ لأنه قديم، بخلاف التعلق فلا يستحيل رفعه؛ لأنه حادث.

وجميع الأحكام هي منه سبحانه وتعالى، وقد اقتضت حكمته أن يغيّر بعض الأحكام بما يتناسب مع الوضع الجديد للبشر، فنزّل على الرسول اللاحق أحكاماً مخالفة لما أنزل على الرسول السابق، ويكون الواجب على الناس أن يعملوا بالحكم

....

الشرح

اللاحق، فمثلاً: كان في شريعة سيدنا آدم عليه السلام جواز زواج الأخ من أخته ليتكاثر البشر، إذ لم يكن على ظهر الأرض إلا آدم وحواء وأبناؤهما وبناتهما، فلما كثر البشر.. حَرُمَ الزواج بالأخت؛ لأن بنت العم تغني عنها.

وفي شريعة سيدنا عيسى عليه السلام أباح الله تعالى لبني إسرائيل بعض ما حرمه عليهم من قَبْلُ عقوبة لهم، قال تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ {آل عمران: ٥٠} .

فشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهي الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة، بمعنى:

١) أن كل ما خالف الشريعة الإسلامية من الشرائع السابقة المنزَّلة على الرسل السابقين منسوخ لا يجوز العمل به.

٢) أن ما وافق الشريعة من الشرائع السابقة يجب العمل به؛ لأنه أُنزِل على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، لا لأنه نزل في شريعة سابقة.

وفي هذا قال الشافعية: شرع من قبلنا ليس شرعٌ لنا، إلا إن جاء في شرعنا ما يؤيده.

وقال الحنفية: شرع من قبلنا شرع لنا، إلا إذا جاء في شرعنا ما يعارضه.

....

الشرح

٣) من اعتقد غير هذا فهو كافر؛ لأن اعتقاده حينئذٍ يخالف عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والكافر ذليل في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ {آل عمران: ٨٥}.

ومما ينبغي اعتقاده جواز نسخ بعض الشرع ببعضه الآخر جوازاً وقوعياً لوقوعه بالفعل، نعم: معرفة الله تعالى وتحريم الكفر لا يُنْسَخَان، وكذلك كل ما يتعلق بالعقيدة من مسائل.. لا ينسخ.

والحاصل:

أن في الكلام مقامين: مقام جواز، ومقام وقوع، فمن حيث الجواز – عقلاً – يجوز نسخ الشريعة كلاً أو بعضاً، وأما من حيث الوقوع فلا يجوز نسخ الجميع جوازاً وقوعياً؛ لأن شريعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هي آخر الشرائع التي لا تنسخ.

أنواع النسخ:

والنسخ أنواع:(١)

الأول: نسخ الكتاب بالكتاب:

---

(١) انظر: إتحاف المريد (٢٤٥)

الشرح

وهذا النوع منعه بعضهم كأبي موسى الأصفهاني احتجاجاً بقوله تعالى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ {فصلت: ٤٢}، والصحيح الجواز؛ لأن الضمير في قوله: (يأتيه) إنما يعود لمجموع القرآن، ومجموعه لا ينسخ اتفاقاً، كما تقدم.

ونسخ الكتاب بالكتاب أنواع، وهي:

١) نسخ التلاوة والحكم معاً:

كما في نحو ((عشر رضعات معلومات يحرمن)) فإنه كان مما يتلى، فنسخ بـ((خمس رضعات يحرمن))، وفي مسلم عن السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:((كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ فَتُوُفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ))، فهنا نسخت التلاوة والحكم معاً، أي: في العشر الرضعات، أما في الخمس فهي من النوع الثاني وسنبينه إن شاء الله تعالى فيه.

٢) نسخ التلاوة دون الحكم:

كما في الخمس الرضعات فقد نخست تلاوتها وبقي حكمها، أما معنى قول السيدة عائشة رضي الله عنها:((فَتُوُفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ)).. فقد بينه الإمام النووي في شرح مسلم حيث قال: ((وَقَوْلهَا : (فَتُوُفِّيَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأ) هُوَ بِضَمِّ الْيَاء مِنْ (يَقْرَأ)، وَمَعْنَاهُ أَنَّ النَّسْخ بِخَمْس رَضَعَاتٍ تَأَخَّر إِنْزَالُهُ

....

الشرح

جِدًّا حَتَى أَنْهُ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تُوفِي وَبَعْض النَّاس يَقْرَأ خَمْس رَضَعَات وَيَجْعَلهَا قُرْآنًا مَتْلُوًّا لِكَوْنِهِ لَمْ يَبْلُغهُ النَّسْخ لِقُرْبِ عَهْده، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ النَّسْخ بَعْد ذَلِكَ رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يُتْلَى)) اهـ.[١]

ومن أمثلة نسخ التلاوة دون الحكم: (**الشّيْخُ والشّيخَةُ إذا زَنَيا فارجُمُوهُمَا البتَّةَ نَكَالًا مِنْ الله وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)، فهذه كانت آية تتلى في كتاب الله تعالى، ثم نسخت التلاوة وبقي الحكم.

٣) نسخ الحكم دون التلاوة:

كما في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ {البقرة: ٢٤٠}، فقد بقيت تلاوتها ونسخ حكمها بقوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ {البقرة: ٢٣٤}.

الثاني من أنواع النسخ: نسخ السنة بالسنة:

كما في حديث:((**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**)) أخرجه مسلم وأحمد، فإنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم نهى في بداية الإسلام عن زيرة القبور، ثم نسخ النهي بالأمر.

الثالث: نسخ السنة بالكتاب:

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٠/ ١٨٣)

....

﴿الشرح﴾

كما في استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة، فإنه نسخ باستقبال الكعبة الثابت بقوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ {البقرة: ١٤٤}.

الرابع: نسخ الكتاب بالسنة:

كما في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ {البقرة: ١٨٠}، فإنه نسخ بحديث:((**لاَ وَصِيَّة لِوَارِثٍ**)) أخرجه ابن ماجه عن أنس.

قال صاحب الجوهرة:

وخُصَّ خير الخلق أن قد تمّما ... به الجميع ربُّنا وعمَّما
بعثته فشرعه لا يُنسخُ ... بغيره حتى الزمانُ يُنسخُ
ونسخه لشرع غيره وقعْ ... حتماً أذلَّ الله من له منعْ
ونسخ بعض شرعه بالبعضِ ... أجزْ وما في ذا له من غضِّ

۞ شبهة قد تثار:

قد يثير أعداء الإسلام شبهة، وهي:

كيف ينسخ الله حكماً وهو الذي يعلم بكل شيء، بمعنى هل ينزل الله الحكم للتجربة ثم يتبين له عدم صلاحية الحكم فيغيره، فإن كان ذلك فكيف يكون الله عالماً بكل شيء؟

....

الشرح

الجواب:

أن الأمر ليس كذلك، وليست القضية قضية تجربة، إنما ينزل الله تعالى حكماً يتناسب مع وقت وزمن معين، أو لسبب معين، ثم بعد انقضاء هذا

الوقت أو السبب.. يغيّر الله الحكم بما يتناسب مع هذا التغيير كما ذكرنا في نسخ الشرائع بعضها ببعض حيث أن كل شريعة تناسب زمناً معيناً ولها أسباب معينة، ولا تتناسب مع الزمن الآخر، فتنسخ بما يتناسب معه، ومن أمثلة ما ذكرنا أن في بداية شريعة سيدنا آدم جواز زواج الرجل بأخته؛ لأنه لا يوجد خلق كثيرون على ظهر الأرض فهذا سبب لجواز ذلك حتى يحصل التكاثر، فلما حصل ووجدت بنت العم غير الله الحكم وحرّم عليه الزواج من أخته؛ لأن السبب قد انتفى واستغني عن الأخت ببنت العم.

تنبيه:

يجب على المكلف شرعاً؛ بل وعلى الآباء والأمهات أن يعلموا أولادهم الصغار أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ولد بمكة المشرفة قبيل الفجر يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول على أصح الأقوال، بعد مضي خمسين يوماً من إهلاك الله تعالى لجيش أبرهة الأشرم عندما أراد تهديم الكعبة المشرفة.

وأنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بعث بمكة المكرمة، وعمره إذ ذاك أربعون سنة، وهاجر إلى المدينة المنورة بعد ثلاثة عشرة سنة من البعثة، وعمره إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، (ومات ودفن بها أي: بالمدينة المنورة، وعمره إذ ذاك

....

﴿الشرح﴾

ستون سنة على **الراجح**، وهذه رواية الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال:(تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ سَنَةً لَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ)، وفي رواية للإمام أحمد عن بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:(تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ)، وقد وردت روايات أخرى عن ابن عباس كما سنذكرها قريبا إن شاء الله تعالى مخالفة لهذه الرواية، وفي رواية مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ:(قُبِضَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ)، وقد جمع الحافظ ابن كثير في سيرته بين الروايتين بقوله:((وهذا لا ينافي ما تقدم عن أنس؛ لان العرب كثيرا ما تحذف الكسر)) اهـ.

والرواية المشهورة أنه ابن ثلاث وستين سنة كما هو معروف في كتب السير والمغازي، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا:(أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ) أخرجه البخاري ومسلم.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ:(بُعِثَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ) أخرجه البخاري ومسلم.

....

الشرح

۞ **الصحيح في تاريخ وفاته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :**

وكانت وفاته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في شهر ربيع الأول، وفي يوم الاثنين منه باتفاق أهل العلم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:(**وُلِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَاسْتُنْبِئَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَرَفَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ**) أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ لِي حَبْرٌ بِالْيَمَنِ إِنْ كَانَ صَاحِبُكُمْ نَبِيًّا فَقَدْ مَاتَ الْيَوْمَ، قَالَ جَرِيرٌ: فَمَاتَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ) أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أيضاً أَنَّهَا قَالَتْ:(إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَهَا يَا بُنَيَّةُ أَيُّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قُلْتُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ) أخرجه البخاري وأحمد.

إلا أن ابن قتيبة ذكر في المعارف أن وفاته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كانت يوم الأربعاء، وقال أكثر أهل العلم أن وفاته كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، **والصحيح**: أنه لا يمكن أن تكون وفاته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في يوم الاثنين المتفق عليه وفي الثاني عشر من ربيع؛ لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحجة من غير

....

الشرح

خلاف، فعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً فِي كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ هِيَ، قَالَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ {المائدة: ٣}، قَالَ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه:(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ) أخرجه البخاري، ومسلم، و أحمد، وغيرهم.

ويكون بذلك دخول شهر ذي الحجة بيوم الخميس، فيكون المحرّم إما يوم الجمعة على تقدير خروج الشهر تسعاً وعشرين يوماً، أو السبت على تقدير خروجه ثلاثين يوماً، فإن كان المحرم بالجمعة.. فيكون صفرٌ بالسبت، وإن كان المحرم بالسبت.. فيكون صفرٌ بالأحد، فإن كان صفر بالسبت.. فيكون ربيع الأول بالأحد، وإن كان صفر بالأحد فيكون ربيع الأول بالاثنين، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب.. فلم يكن الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين بوجه من الوجوه، ولا الأربعاء أيضاً، لكن يمكن أن يكون في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، ولهذا نجد الخلاف في ذلك بين أهل العلم، حيث ذكر الطَّبَرِيّ عن ابن الْكَلْبِيّ وَأَبِي مِخْنَفٍ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي الثَّانِي مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وهذا لا يبعد إن كانت الثلاثة الأشهر التي قبلها كلها من تسعة وعشرين، وقال الْخَوَارِزْمِيّ أَنَّهُ تُوُفِّيَ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعٍ

....

الشرح

الْأَوَّلِ،(١) والأقرب إلى الصواب هو أنه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين في الخامس عشر من ربيع الأول كما ذكره بعض شيوخنا، ويؤيد ذلك ما أخرجه أبو نعيم عن الحارث بن خزمة قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - المدينة يوم الاثنين لأربع عشرة من ربيع الأول، وكان يوم بدر يوم الاثنين من رمضان، وتوفى يوم الاثنين لخمس عشرة من ربيع الأول.

الخلاصة:

أن أهل العلم أتفقوا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم توفي يوم الاثنين، وهذا يجعل من المستحيل أن يصادف يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول الذي ذهب إليه أكثر أهل العلم؛ لأنهم اتفقوا على أن الوقوف بعرفة في حجة الوداع وقع بيوم الجمعة وهو يوم التاسع، وعلى جميع التقادير في خروج الأشهر (ذي الحجة والمحرم وصفر) لن يكون يوم الاثنين هو يوم الثاني عشر من ربيع؛ بل سيكون إما اليوم الثاني منه، أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، والأقرب هو الخامس عشر، كما ورد في حديث أبي نعيم، والله أعلم.

ودفن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ليلة الأربعاء، كما تقدم في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: **(تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ)** أخرجه الإمام أحمد، وقيل: أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم دفن يوم الأربعاء، وقيل: يوم الثلاثاء.

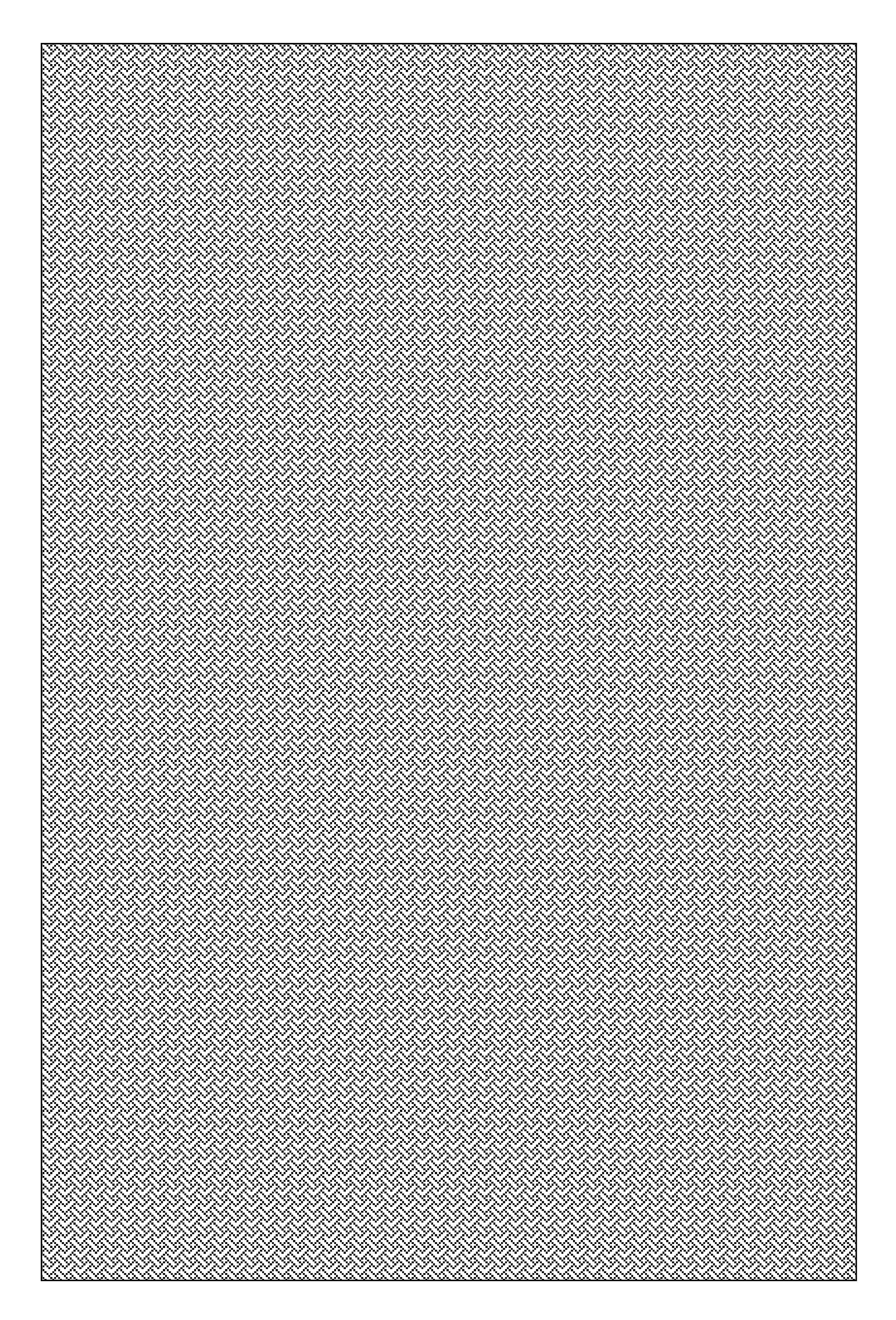
---

(١) انظر: الروض الأنف للإمام الشيخ عبد الرحمن السهيلي (طبعة دار الكتب العلمية) (٤/ ٤٤٠)



القسم الثالث

السمعيات



السَّمْعِيَّاتُ

السَّمْعِيَّاتُ: هِيَ الأُمُوْرُ الَّتِي لَا يَسْتَقِلُّ العَقْلُ بِمَعْرِفَتِهَا، بَلْ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِالسَّمْعِ مِنَ الكِتَابِ العَزِيْزِ أَوِ السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ. وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ الإِيْمَانُ بِالسَّمْعِيَّاتِ.


الشرح

القسم الثالث السمعيات

وهي الأمور الغائبة عن العيان، والتي لا يستقل العقل بها، أي: إن لم يرد الشرع بها.. لما تمكن العقل من معرفتها، المتلقِّية بواسطة السمع، الثابتة بإخبار الله تعالى لرسوله، فالعقائد التي تذكر في هذا القسم يُستدل عليها بالقرآن الكريم والسنَّة المطهّرة، فما كان منها قطعي الثبوت – وهو القرآن والحديث المتواتر – قطعي الدلالة، أي: لا يحتمل إلا معنى واحداً.. فالإيمان به واجب، وتكذيبه كفر، وما كان منها غير قطعي، أي: إما قطعي الثبوت غير قطعي الدلالة، أو قطعي الدلالة وليس قطعي الثبوت.. فالإيمان به واجب، وتكذيبه فسوق إن لم يكن التكذيب بسبب تأويل ظاهر الاحتمال، وإلا فلا يفسق.(١)



(١) انظر: المختصر المفيد (١٣٣).

مَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالإِيْمَانُ بِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ

مِمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالإِيْمَـانُ بِهِ مِنَ السَّمْعِيَّاتِ: أَنْ نَعْتَقِدَ وَنُؤْمِنَ بِأَنَّ لِقَـاءَ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ.

الشرح

مما يجب اعتقاده والإيمان به من السمعيات:

ثم بعد تعريف السمعيات.. شرع المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا به بذكر بعضٍ مما يجب على المكلف شرعاً الايمان به من هذه السمعيات، وهي:

لقاء الله تعالى بعد الموت:

والموت هو: مفارقة الروح الجسد، قال الإمام الغزالي عن الموت في كتابه (إحياء علوم الدين): ((**اعلم**: أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها، فظن بعضهم أن الموت هو العدم، وأنه لا حشر ولا نشر، ولا عاقبة للخير والشر، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات، وهذا رأى الملاحدة وكلِّ من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظن قوم أنه ينعدم بالموت، ولا يتألم بعقاب، ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: إن الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد، وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا.

وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق، بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه: تغيُّرُ حال فقط، وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما مُعَذَّبَةً وإِمَّا مُنَعَّمَةً.

....

الشرح

ومعنى مفارقتها للجسد: انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها؛ فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها، حتى أنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح، فالروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة، ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء، فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث، والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده.

وإنما تعطُّلُ الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه، وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء، وقد استعصى عليها بعضها، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها، وكل الأعضاء آلات، والروح هي المستعملة لها. وأعني بالروح: المعنى الذي يدركُ من الإنسان العلومَ والآلام والغموم، ولذات الأفراح، ومهما بطل تصرفها في الأعضاء.. لم تبطل منها العلوم والإدراكات، ولا بطل منها الأفراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات.

والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات، وذلك لا يموتُ، أي: لا ينعدم.

....

الشرح

ومعنى الموت: انقطاع تصرفه عن البدن، وخروج البدن عن أن يكون آلةً له، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة، فالموت زمانةٌ مطلقةٌ في الأعضاء كلها، وحقيقة الإنسان نفسُهُ ورُوحُهُ، وهي باقية.

نعم، تغيُّرُ حاله من جهتين:

إحداهما: أنه سَلَبَ مِنْهُ عَيْنَهُ وأذنَهُ ولِسَانَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ وَجَمِيْعَ أعضائه، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه.

ولا فرق بين أن تُسلبَ هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يُسلبَ الإنسانُ من هذه الأشياء؛ فإن المؤلم هو الفراق، والفراق يحصل تارة بأن يُنهبَ مالُ الرجلِ، وتارة بأن يُسبى الرجلُ عن الملكِ والمالِ، والألم واحد في الحالتين.

وإنما معنى الموت: سلبُ الإنسانِ عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم؛ فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتدُّ بوجوده.. فيعظُم تَحَسُّرُهُ عليه بعد الموت، ويصعب شقاؤه في مفارقته، بل يلتفت قلبه إلى واحدٍ واحدٍ من ماله وجاهه وعقاره، حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به.. عظُم نعيمُهُ وتمت سعادته؛ إذا خُلِّيَ بينه وبين محبوبه، وقُطِعَت عنه العوائق والشواغل؛ إذ جميع أسباب الدنيا شاغلةٌ عن ذكر الله تعالى، فهذا أحد وجهي المخالفة بين حالِ الموت وحال الحياة.

....

﴿الشرح﴾

والثاني: أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة؛ كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا له في النوم، والناس نيام، فإذا ماتوا.. انتبهوا، وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته، وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه، وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا؛ فإذا انقطعت الشواغل.. انكشف له جميع أعماله، فلا ينظر إلى سيئة إلا ويَتَحَسَّرُ عليها تَحَسُّرَاً يُؤْثِرُ أن يخوض غمرةَ النار للخلاص من تلك الحسرة، وعند ذلك يقال له ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ {الإسراء: ١٤}.

وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن، وتشتعل فيه نيران الفراق؛ أعنى: فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبُلغة؛ فإن من طلب الزادَ للبُلغة: فإذا بلغ المقصد.. فرح بمفارقته بقية الزاد؛ إذ لم يكن يريد الزاد لعينه، وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة، وكان يود أن تنقطع ضرورته، ليستغني عنه؛ فقد حصل ما كان يودُّهُ واستغنى عنه.

وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة، تهجم عليه قبل الدفن، ثم عند الدفن قد تُرَدُّ رُوْحُهُ إلى الجسد لنوع آخر من العذاب، وقد يعفى عنه، ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على أن المَلِكَ يتساهل في أمره، أو على أن المَلِكَ ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله، فأخذه الملكُ بغتة، وعرض عليه جريدة قد دُوِّنَتْ فيها

....

الشرح

جميع فواحشه وجناياته ذَرَّةً ذَرَّةً، وخطوة خطوة، والملك قاهر متسلط، وغيور على حَرَمِهِ، ومنتقم من الجناة على ملكه، وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه، فانظر إلى هذا المأخوذ، كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف، والخجلة والحياء، والتحسر والندم.

فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به، بل عند موته نعوذ بالله منه؛ فإن الخزيَ والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما.

فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنةٍ أقوى من مشاهدة العين، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة.

نعمْ ؛لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت؛ إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها، وإدراك ماهية ذاتها، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يتكلم فيها، ولا أن يزيد على أن يقول: ﴿ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡـرِ رَبِّي ﴾ {الإسراء: ٨٥}، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت)) انتهى كلام الإمام الغزالي.[١]

فيجب على كل مكلف شرعاً أن يؤمن بلقاء الله تعالى، فقد دلت النصوص والأخبار على ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا

---

(١) إحياء علوم الدين (طبعة دار المنهاج) (٩/ ٤٦٨-٤٧٢).

....

الشرح

وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ {الكهف: ١١٠}، وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ ﴾ {العنكبوت: ٥}، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ {البقرة: ٤٦}.

والناس في لقاء ربهم على حالين:

فمنهم من يلقى الله تعالى وهو عنه راض، وينالون التحية والسلام والإكرام والإنعام في كل لقاء وهم أهل الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴾ {الأحزاب: ٤٤}، ويقذف الله في قلوبهم من قبل الموت حب لقاءه سبحانه وتعالى، فقد قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ.. أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ.. كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ))، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكِ؛ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ.. بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ.. بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ)) أخرجه البخاري ومسلم، وفي قصة أصحاب بئر المعونة السبعين الذين قتلوا يقول أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ، فَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، فَكُنَّا نَقْرَأُ: (أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا) ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ. أخرجه البخاري.

وَسُؤَالُ الـمَـلَكَيْنِ فِي القَبْرِ حَقٌّ، ....

الشرح

ويقول الله تعالى في أهل هذه الحالة والمرتبة: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ {المائدة: ١١٩}.

وأهل الحالة الثانية هم من يلقون ربهم وهو عليهم غضبان، بسبب ما ارتكبوا من منهيات، وما تركوا من اوامر، يقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ.. لَقِيَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**))، أخرجه البخاري ومسلم، ويقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كذلك: ((**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ.. لَقِيَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**)) أخرجه الطبراني، ويقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ.. لَقِيَ اللهَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**)) أخرجه الإمام أحمد.

۞ سؤال الملكين في القبر:

يجب الإيمان بسؤال منكر ونكير للميت، ويكون سؤال الميت في قبره أو غيره، كمن لم يقبر أصلاً، وكمن ألقي به في البحر لصعوبة الوصول به إلى البر قبل تغيّره، وكمن تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في جوفها، إذ ليس يبعد على الله تعالى أن يعيد له الروح في أعضائه ويجمعها ولو كانت متفرقة؛ لأن قدرته تعالى صالحة لذلك.

والسؤال بعد الموت لا يختص بالمؤمن فقط، بل لكل إنسان مؤمناً أو كافراً، ومثل ذلك الجني، بشرط أن يكون الميت مكلف، أما غير المكلف.. فلا يُسأل، وقال ابن عبد البر في (التمهيد): أن الكافر لا يسأل، والجمهور على خلافه.

....

الشرح

والسؤال في القبر هو فتنة القبر التي علّمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن نتعوَّذ منها في الصلاة، وقيل: أن فتنته هي: أن الميت حين يسأل في قبره ويقال له: من ربك؟ يتمثل له إبليس في زاوية من القبر ويشير إلى نفسه، كي يقول الميت: هذا ربي ، والعياذ بالله.

ويُسأل كل مكلف إلا من استثناه الله كالأنبياء والشهداء، فعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ، قَالَ:((**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**)) أخرجه النسائي.

وقد استثنى الله أيضاً الصدِّيقين والمرابطين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا وُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَأُومِنَ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ**)) أخرجه الإمام أحمد، وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**)) أخرجه الإمام أحمد. والرباط هو: الإقامة على جِهَاد العَدوّ بالحرب، وارْتباط الخيل وإعْدَادها، وكذا السهر على حراسة الجيش.

وكذا استثنى ملازم قراءة سورة تبارك الملك كل ليلة، وكذا سورة السجدة، ومن مات وهو مريض بالبطن فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ**)) أخرجه الإمام أحمد، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ النَّبِيِّ صلى الله عليه

....

الشرح

وآله وصحبه وسلم قَال:((**وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**)) أخرجه مسلم، بل ورد أنه من مات من مرض فهو شهيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَنْ مَاتَ مَرِيضًا مَاتَ شَهِيدًا وَوُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَغُدِيَ وَرِيحَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ مِنْ الْجَنَّةِ**)) أخرجه ابن ماجه.

ومن مات ليلة الجمعة أو يومها، فعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو ﵄ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُّ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**)) أخرجه الإمام أحمد والترمذي، زاد عبد الرزاق في مصنفه: (وكتب شهيدا)، وكذا استثنى المطعون، أي: المصاب بمرض الطاعون، فعَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ قَالَتْ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

وكذا من قرأ الإخلاص في مرضه الذي مات فيه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَقَالَ:((**وَجَبَتْ**)) قَالُوا يَا رَسُولَ الله: مَا وَجَبَتْ، قَالَ:((**وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**)) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي، وعَنْ مُهَاجِرٍ الصَّائِغِ عَنْ رَجُلٍ لَمْ يُسَمِّهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَقْرَأُ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، قَالَ:((**أَمَّا هَذَا فَقَدْ**

....

الشرح

بَرِئَ مِنْ الشِّرْكِ))، وَسَمِعَ آخَرَ يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَقَالَ:((**أَمَّا هَذَا فَقَدْ غُفِرَ لَهُ))** أخرجه الإمام أحمد، ونحو ذلك مما ورد في السنة.

ويكون وقت السؤال بعد تمام الدفن، فعندما يُسوَّى عليه التراب، وينصرف عنه الناس.. يبدأ وقت السؤال كما ذهب إليه الجمهور.(١)

فيردَّ الله على الميت روحه بمقدار السؤال والجواب، واختلف أهل العلم في عدد الأيام التي يُسأل فيها الميت، فمنهم من قال: أن المؤمن يُسأل سبعة أيام، والكافر أربعين يوماً.

فائدة:

لو مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة.. كيف يكون سؤالهم في القبر؟

الجواب: أن أهل العلم اختلفوا في ذلك على قولين، وهما:

الأول: أن الملكين يَعْظُمَان، فيسألان الجميع بوقت واحد، وهو قول الإمام القرطبي.

الثاني: أن ملائكة السؤال عديدون كالحفظة، وهو قول الإمام السيوطي، ووافقه الإمام الحليمي.

قال الإمام البيجوري في شرحه على الجوهرة:((والذي يشبه.. أن يكون للسؤال ملائكة كثيرين، فيُبعث إلى كل ميت اثنان منهم، والله أعلم)) اهـ.(٢)

---

(١) انظر: شرح الصاوي (٣٦٥).

(٢) البيجوري (٣٦٤)، وانظر: شرح الصاوي (٣٦٤).

....

الشرح

ويسأل منكر ونكير الميت في قبره عن أمور كثيرة، وقد أختلف أهل العلم في كيفية السؤال وما هو: فمنهم من قال أنه يُسأل عن بعض معتقداته، ومنهم من قال عن كلها، وقال ابن عباس: يسألان الميت عن الشهادتين، وقال عكرمة: يسألان عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وعن التوحيد.(١)

ومما يسألانه أنهما يقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم، يعني الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ومن ربك، وما دينك، وما قبلتك ومن إخوانك، وقد أخذ بعض أهل العلم من قولهم (في هذا الرجل) أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قد يحضر مع بعض الخلق عند السؤال لأن (هذا) اسم إشارة للقريب الحاضر.

فيجيبهما المؤمن الموفق، فيقول لهما: الله ربي، ومحمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم نبيي، والإسلام ديني، والكعبة قبلتي، والمؤمنون إخواني، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، ثم يقال له نم نومة العروس التي لا يوقظها إلا أحب الناس إليها، ويوسع له في قبره مدَّ البصر من كل ناحية كما تقدم.

وأما الكافر والمنافق.. فيقول في جوابه لهما: ما دريت ولا تليت؛ سمعت الناس تقول شيئاً فقلته، فيعذبانهما بمقاطع من حديد أشد العذاب إلى يوم البعث والنشور، ويضغط عليهما القبر ضغطة شديدة حتى تختلف أضلاعه .

---

(١) انظر: البيجوري (٣٦٤).

....

الشرح

والجواب في القبر يكون جواب عمل وعقيدة، وليس جواب علم بلا عمل ولا عقيدة، فالمؤمن يجيب على أسئلة الملائكة جواباً صحيحاً وإن كان في الدنيا أمياًّ لا يقرأ ولا يكتب، والكافر والمنافق لا يستطيع الإجابة وإن كان في الدنيا عالماً.[(١)]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ**)) أخرجه الترمذي.

وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :((**يَا عُمَرُ، كَيْفَ بِكَ إِذَا أَنْتَ مُتَّ فَقَاسُوْا لَكَ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ وَشِبْرَاً، فِي ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ، ثُمَّ رَجَعُوْا إِلَيْكَ فَغَسَّلُوْكَ وَكَفَّنُوْكَ وَحَنَّطُوْكَ، ثُمَّ**

---

(١) انظر: المختصر المفيد (١٧٣).

....

الشرح

احْتَمَلُوْكَ حَتى يَضَعُوْكَ فِيْهِ، ثُمَّ هِيْلُوْا عَلَيْكَ التُّرَابَ، فَإِذَا انْصَرَفُوْا عَنْكَ أَتَاكَ فَتَّانَا القَبْرِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيْرٌ، أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ القَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمَا مِثْلُ البَرْقِ الخَاطِفِ، فَتَلْتَلَاكَ وَتَرْتَرَاكَ وَهَوَّلَاكَ، فَكَيْفَ بِكَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ ؟)) قال : يا رسول الله ، ومعي عقلي ؟ قال :((**نَعَمْ**)) . قال : إذا أكفيكهما)).أخرجه البيهقي في (إثبات عذاب القبر) و ابن أبي الدنيا في كتاب القبور ، وقال الحافظ ابن حجر في (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية): رجاله ثقات مع إرساله، ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس كما قاله الحافظ العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء).وفي رواية: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ذَكَرَ فَتَّانَ الْقُبُورِ فَقَالَ عُمَرُ: أَتُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمْ الْيَوْمَ**)) فَقَالَ عُمَرُ: بِفِيهِ الْحَجَرُ. أخرجه أحمد، وابن حبان.

قال الإمام الغزالي بعد ذكر حديث سيدنا عمر:((وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت، إنما يتغير البدن والأعضاء، فيكون الميت عاقلاً مدركاً، عالماً بالآلام واللذات كما كان، لا يتغير من عقله شيء، وليس العقلُ المدركُ هذه الأعضاء، بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض، بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدركُ للأشياء، ولو تناثرت أعضاءُ الإنسان كلها ولم يبقَ إلا الجزءُ المدركُ الذي لا يتجزأ ولا ينقسم.. لكان الإنسان العاقل بكماله قائماً باقياً، وهو كذلك

وَكَوْنُهُ لِلْرُوْحِ وَالجِسْمِ، ....

الشرح

بعد الموت؛ فإن ذلك الجزء لا يحلُّهُ الموتُ، ولا يطرأُ عليه العدمُ)) اهـ.(١)

هل السؤال في القبر للروح فقط أم للروح والجسد؟

المعتمد أن السؤال يكون للروح والجسد معاً، واورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**)) أخرجه البخاري، ومسلم، واللفظ للبخاري.

ومما يجب اعتقاده.. نعيم القبر وعذابه، وإنما أضيف النعيم والعذاب للقبر لأنه الغالب، أي: أن غالب الناس يقبرون، وإلا فكل ميت إما أن ينعّم وإما أن يعذب، قبر أو لم يقبر، ولو غرق أو صلب أو التهمته السباع الضواري أو حُرق ثم ذرته الريح، وتفتّت الأعضاء، كل ذلك لا يمنع من وجود النعيم أو العذاب.

والنعيم والعذاب واقع للروح والبدن على المعتمد، ولو انفصلت الروح عن الجسد؛ لأنه يبقى بينهما علاقة كعودة الروح إلى الجسد عند السؤال عوداً متوسطاً

(١) إحياء علوم الدين (٩/ ٤٩٧).

....

الشرح

بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما، كما يُرد إلى الميت من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب.

وذهب الإمام محمد الطبري، وعبدالله بن كرام، وطائفة إلى القول بأنَّ المنعَّم والمعذَّب هو البدن فقط، وذلك بأن يخلق الله فيه إدراكاً به يسمع ويبصر ويتألّم ويتلذذ، وهذا خلاف الحق.(١)

ويكون العذاب على الكفار والمنافقين والعصاة من هذه الأمة وغيرها، ويدوم على الكافر والمنافق ديمومة البرزخ، وينقطع عن المؤمن العاصي إذا انقطعت جرائمه وذنوبه، كما يُرفع عنه بالدعاء والصدقة وغيرها من قِبل الأحياء.

وقد بلغت النصوص في نعيم القبر مبلغ التواتر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ {آل عمران: ١٦٩}، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ:**

---

(١) انظر: البيجوري (٤٦٦)، وشرح الصاوي على الجوهرة (٣٦٥).

....

﴿الشرح﴾

سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ)) أخرجه الترمذي.

ونعيم القبر أن يصير للميت روضة من رياض الجنة، ويُوسَّعُ له سبعون ذراعاً طولاً وعرضاً ويُفتح له طاقة من الجنة، ويُملئ بالروائح الطيبة، ويكون له في قبره قنديل كالقمر، فعن أبي هريرة ﷺ ، عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال:((**إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيُرَحَّبُ لَهُ قَبْرَهُ سَبْعُوْنَ ذِرَاعَاً ، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالقَمَرِ لَيْلَةِ البَدْرِ**)) أخرجه ابن حبان، وأبو يعلى، ويأتيه عمله الصالح بصورة رجل حسن الصوت ويؤنِّسه إلى يوم القيامة.

وأما عذاب القبر، فهو أن يصير القبر للميت حفرة من حفر النار، وتشتد عليه الضغطة حتى تختلف أضلاعه، يأتيه عمله بصورة قبيحة، ويكون هذا العذاب للمنافقين والكفار.

وأصل الضمّة لا ينجو منها أحدٌ حتى الصالحين، غير أنها تختلف من حيث الشدة، فالبعض يضمُّه القبر كما تضم الأم الحنون ولدها – جعلنا الله من هؤلاء آمين – إلا أن هناك أقوام لا يضمهم القبر، وهم الأنبياء، ومن قرأ سورة الإخلاص في مرض موته،[١] ومنهم فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنها، فعن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت

---

(١) انظر: البيجوري (٤٦٦).

....

الشرح

أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم فجلس عند رأسها فقال : ((رَحِمَكِ اللهُ يَاْ أُمِّيْ كُنْتِ أُمِّيْ بَعْدَ أُمِّيْ تَجُوْعِيْنَ وَتُشْبِعِيْنِي، وَتَعْرَينَ وَتُكْسِيْنِي وَتَمْنَعَيْنَ نَفْسَكِ طَيِّبَاً، وَتُطْعِمِيْنِي تُرِيْدِيْنَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّاْرَ الآخِرْةَ)) ثم أمر أن تغسل ثلاثا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور.. سكبه رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه و سلم قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد.. حفره رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ.. دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم فاضطجع فيه، ثم قال:((اللهُ الَّذِيْ يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ وَهُوَ حَيٌّ لَاْ يَمُوْتُ اِغْفِرْ لِأُمِّيْ فَاْطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَلِقِّنْهَا حُجَّتَهَا وَوَسِّعَ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِيْ فَإِنَّكَ أَرْحَمَ الرَّاْحِمِيْنَ)) وكبر عليها أربعا وادخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم. أخرجه الطبراني وأبو نُعيم، وفي رواية: قال بعضهم: يا رسول الله ! رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه بأحد ؟ قال:((إِنِّيْ أَلْبَسْتُهَا قَمِيْصِيْ لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الجَنَّةِ، وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِيْ قَبْرِهَا لِأُخَفِّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَاْنَتْ أَحْسَنُ خَلْقِ اللهِ صَنِيْعَاً إِلَيَّ بَعْدَ أَبِيْ طَاْلِبٍ)) أخرجه أبو نعيم في المعرفة والديلمي.

قال صاحب الجوهرة:

وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُوْرِ، وَإِعَادَةُ الأَجْسَادِ بِأَجْزَائِهَا الأُوْلَى حَقٌّ لِقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ {الأنبياء: ١٠٤}.

الشرح

سؤالنا ثم عذابُ القبر نعيمه واجبْ كبعث الحشرِ

البعث من القبور:

ومما يجب الإيمان به واعتقاده.. البعث من القبور.

والبعث هو : عبارة عن إخراج أجساد الموتى بعد جمع الأجزاء الأصلية من القبور، والمراد بالأصلية: هي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره في الغالب، ولو قطِّعت قبل موته، بخلاف التي ليس من شأنها ذلك، كالظفر والشَعر مثلاً.

كيفية البعث:

بيّن لنا النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كيفية البعث فقال: ((**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) أخرجه البخاري ومسلم، فالإنسان إذا وضع في قبره.. أكلت الأرض جسده إلا عجب الذَنَبِ منه، ثم يعيد الله الأجساد عند بعثه، ويجب على المؤمن المكلف شرعاً اعتقاد ذلك، ويجب اعتقاد أن الجسم الذي يعاد هو الجسم الأول بعينه لا مثله، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ {الأنبياء: ١٠٤}، و قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ {الأعراف: ٢٩}، ولهذا قال أكثر أهل العلم أنَّ ذرات الجسم تنعدم بالكلية، ثم يعيدها الله تعالى من العدم كما بدأها من العدم،

....

الشرح

وقال بعضهم: أن الجسم لا تنعدم عينه؛ بل يفرِّق الله أجزاءه بحيث لا يبقى فيه جوهران فردان على الاتصال،[1] فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال:((**أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ الله مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ. أي: أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ قَالَ مَخَافَتُكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**)) أخرجه البخاري.

وهذا الخلاف المذكور لا يشمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن الأرض لا تأكل أجسادهم ولا تبليها اتفاقاً، فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**)) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي.

وكذلك لا يشمل الخلاف المذكور من نص الشارع على أن الأرض لا تأكل أجسادهم، كالشهداء والمؤذنين احتساباً، والعلماء العاملين، وحملة القرآن الملازمين لتلاوته العاملين بما فيه، المعظمين له بضبط لسانهم وطهارتهم.

قال صاحب الجوهرة:

وقُلْ يُعادُ الجسم بالتحقيقِ ... عن عَدَمٍ وقيلَ عن تفريقِ
محضين لكن ذا الخلافُ خصَّا ... بالأنبيا ومن عليهم نُصَّا

ولربما سأل البعضُ سؤالاً فقال: لماذا نجد بعض أجساد الشهداء قد تحللت؟

---

(١) انظر: البيجوري (٣٧١)، والمختصر المفيد (١٧٥).

وَالـحَشْرُ إِلَى مَوْقِفِ الـحِسَابِ حَقٌّ، ....

الشرح

فالجواب: أن الشهادة أمر لا يعلم حقيقته إلا الله، فنحن نحكم على كل من قتل في معركة ضد الكفار أنه شهيد، والله أعلم بنيته وعمله، ثم إن الشهادة درجات بعضها أفضل من بعض؛ لأن المؤمنين يتفاوتون في الإيمان.

والخلاصة: فإن الأمر توقيفي، فمن ورد نص من الشارع بأن الأرض لا تأكل جسده.. اعتقدنا ذلك، وفوضنا أمر الآحاد إلى الله تعالى.(١)

ويكون إحياؤهم بعد نفخة الصور الثانية حيث يقومون وهم ينظرون، قال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ {التغابن: ٧}.

والنشور هو: عبارة عن تكامل إخراج أجسادهم؛ لأنهم بعد ذلك ينتشرون، قال تعالى ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴾ {القمر: ٧} .

۞ الحشر:

ويجب الإيمان بالحشر، هو: عبارة عن سَوْقِ الخلائق جميعاً إلى الموقف، وهو المحل الذي يقفون فيه من أرض المقدس المبدَّلة التي لم يعصِ فيها أحدٌ ربه، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ {إبراهيم: ٤٨}.

ويقفون فيها لفصل القضاء، والعرض على الله، ووزن الأعمال، وأرض المحشر أرض بيضاء كالفضة، متسعة الجوانب، قال تعالى: ﴿ قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦

---

(١) انظر: المختصر المفيد (١٧٥).

....

الشرح

لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ {طه: ١٠٦ – ١٠٧}، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

والعفراء: هي البيضاء التي ليس بياضها بالناصع.

والنقي: هو الخبز الأبيض.

حشر الحيوانات:

ولا فرق في الحشر بين من يُجازى ومن لا يُجازى، كالبهائم الوحوش؛ إذ الكل يُحشر، وإلى ذلك ذهب المحققون، وصحح هذا القول الإمام النووي، حيث قال عند ذكر حديث: ((**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**))، قال: ((هَذَا تَصْرِيح بِحَشْرِ الْبَهَائِم يَوْم الْقِيَامَة، وَإِعَادَتهَا يَوْم الْقِيَامَة كَمَا يُعَاد أَهْل التَّكْلِيف مِنْ الْآدَمِيِّينَ، وَكَمَا يُعَاد الْأَطْفَال وَالْمَجَانِين وَمَنْ لَمْ تَبْلُغهُ دَعْوَة، وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِل الْقُرْآن وَالسُّنَّة. قَالَ اللهَّ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ {التكوير: ٥}، وَإِذَا وَرَدَ لَفْظ الشَّرْع، وَلَمْ يَمْنَع مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِره عَقْل وَلَا شَرْع وَجَبَ حَمْله عَلَى ظَاهِره. قَالَ الْعُلَمَاء: وَلَيْسَ مِنْ شَرْط الْحَشْر وَالْإِعَادَة فِي الْقِيَامَة الْمُجَازَاة وَالْعِقَاب وَالثَّوَاب، وَأَمَّا الْقِصَاص مِنْ

....

﴿الشرح﴾

الْقَرْنَاء لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاص التَّكْلِيف؛ إِذْ لَا تَكْلِيف عَلَيْهَا، بَلْ هُوَ قِصَاص مُقَابَلَة)) اهـ.(١)

وذهبت طائفة إلى أن الذي يُحشر هو من يُجازى فقط، أما من لا يُجازى فلا يحشر؛ فإذا قضي بينها ردّت تراباً.(٢)

وأما السقط وهو من خرج قبل تمام وقت الحمل.. ففيه **تفصيل**:

- إن لم تُنفخ فيه الروح.. فكسائر الأجسام التي لا روح فيها.
- وإن نُفخت فيه الروح.. فيحشر، ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول.

ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هو أوَّل من تنشق عنه الأرض، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ**)) أخرجه الترمذي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي**)) أخرجه الترمذي أيضاً.

---

(١) (شرح صحيح مسلم) (١٦/ ٢٤٢) .

(٢) انظر: البيجوري (٣٦٨).

....

الشرح

فهو صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أول مبعوث، وأول وارد للمحشر، وأول من يدخل الجنة، وبعده سيدنا نوح عليه السلام، أما ما ورد في الحديث المتقدم من أن بعده أبوبكر الصديق رضي الله عنه .. فقد حُمل على أنه بعد الأنبياء.

أما مراتب الناس في الحشر.. فمتفاوتة، فمنهم الراكب وهو المتقي، ومنهم الماشي على قدميه وهو قليل العمل، ومنهم الماشي على وجهه، وهو الكافر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفٌ مُشَاةٌ وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ قَالَ إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ**)) أخرجه أحمد والترمذي.

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ الله يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ:((**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ قَتَادَةُ بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا**)) أخرجه البخاري ومسلم.

فائدة:

الحشر أربعة أنواع: اثنان في الدنيا، واثنان في الآخرة، فأما اللذان في الدنيا:

فالأول: هو إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام، وهم يهود بني النضير، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ

....

الشرح

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ {الحشر: ٢}.

والثاني: عند خروج النار من قعر عدن، وذلك قرب قيام الساعة، فتسوق الناس إلى أرض المحشر، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل حيث قالوا، فتدور هذه النار الدنيا كلها، وتطير ولها دوي كدوي الرعد القاصف، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**)) أخرجه البخاري.

وحكمتها الامتحان والاختبار، فمن علم أنها مرسلة من الله تعالى وانساق معها سلم منها، ومن لم يكن كذلك.. أحرقته، وبعد سوقها لهم إلى المحشر يموتون بالنفخة الأولى بعد مدة، ويكون ابتداء خروجها من عدن.

والمراد بقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**)) إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهلَ المشرق.

وأما اللذان في الآخرة:

فالأول: جمع الناس إلى الموقف بعد إحيائهم.

والثاني: صرف الناس من الموقف إلى الجنة أو النار.

وحد الوقوف بأرض المحشر هو: ثلاثمائة ألف سنة.

وَقِيَامُ النَّاسِ لِرَبِّ العَالَـمِينَ لِاسْتِنْطَاقِهِم وَالإِشْهَادِ عَلَيْهِم، ....

الشرح

قيام الناس لرب العالمين:

ومما يجب الإيمان به القيام لرب العالمين، والمراد به: يوم القيامة، وسمي به لقيام الناس فيه من قبورهم، أو لقيامهم فيه للحساب، يقول الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {المطففين: ٦}، قال كعب وقتادة في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {المطففين: ٦} قال: يقومون ثلاث مائة عام.[١]

وقال ابن عمر رضي الله عنه: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هذه الآية: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {المطففين: ٦}، ثم قال:((**كَيْفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمُ اللهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبْلُ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ لَا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**)) أخرجه الطبراني، والحاكم.

قال الإمام الزمخشري مُحَدِّداً مُدَّةَ هذا اليوم كما في ((كاشفة السّجا)): (أوّله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى، أو إلى أنْ يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ومِقداره بالنسبة إلى الكفار خمسون ألف سنة لشدّة أهواله، وهو أخفُّ من صلاةٍ مكتوبة في الدنيا بالنسبة إلى المؤمن الصالح، ويتوسّط على عصاة المؤمنين، وقيل: يوم القيامة فيه خمسون مَوطِناً كل موطنٍ ألف سنة، نسأل الله تعالى أنْ يُخففَّهُ علينا بمنّه وفضلِهِ، حكاه السحيمي والفشني) اهـ.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٩/ ٥٣٩).

....

﴿الشرح﴾

وفي ذلك الموقف يعرق الناس على قدر أعمالهم، قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**)) قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ – أحد رواة الحديث – فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ: ((**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**))، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. أخرجه مسلم، وفي رواية: ((**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، يَغْلِي مِنْهَا الْهَوَامُّ كَمَا يَغْلِي الْقُدُورُ، يَعْرَقُونَ فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ**)) أخرجه أحمد، وفي لفظ عند أحمد أيضاً: ((**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. أُدْنِيَتْ الشَّمْسُ مِنْ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ، قَالَ: فَتَصْهَرُهُمْ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيْهِ ،وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا**)).



وَالفَصْلِ بَيْنَهُم فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ حَقٌّ قَالَ تَعَالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وَقَالَ تَعَالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

الشرح

القصاص:

ومما يجب الإيمان به القصاص، وهو أخذ الحق من الظالم للمظلوم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {المطففين: ٦} ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ {السجدة: ٢٥}.

ويكون القصاص بأن يُخذ من حسنات الظالم إلى المظلوم بقدر مظلمته، فإن لم تكن للظالم حسنات.. أُخذت من سيئات المظلوم، فطرحت على ظالمه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ.. فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ،فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ.. أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**)) أخرجه البخاري.

ولا يقتصر القصاص على المظالم الصغيرة فقط؛ بل حتى الكبيرة منها، ففي الحديث الطويل يقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن الله يقول يوم القيامة: ((**... وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ**))أخرجه الإمام أحمد.

وَأَخْذُ كِتَابِ الأَعْمَالِ بِاليَمِيْنِ أَوْ بِالشِّمَالِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ حَقٌّ ....

الشرح

ويكون القصاص يوم القيامة حتى بين البهائم، لقول النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**)) أخرجه مسلم، والشَّاةِ الجَلْحَاءِ بفتح الجيم وسكون اللام بعدها مهملة وبعدها ألف ممدودة: هي الجمّاء التي لا قرن لها، والشَّاةِ الْقَرْنَاءِ، أي: التي لها قرون، وقد نطحت الجلحاء في الدنيا.

ويقتص أيضاً للحيوان من الإنسان كما ورد في بعض الأخبار، ومنها قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا.. إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا**)) أخرجه النسائي، وفي لفظ عند أحمد: ((**مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا.. عَجَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ**)).

الصحف:

ومما يجب الإيمان والتصديق به الصحف، المسطور فيها الأعمال والأقوال، فمن الناس من يأخذ كتابه بيمينه وهم أهل الفوز، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ {الحاقة: ١٩ – ٢٤} ، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله، وهم أهل الخسران، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾

وَالحِسَابُ حَقٌّ ....

الشرح

{الحاقة: ٢٥ – ٢٩}.وعندما تتطاير الصحف يمد جميع الناس حتى الأشقياء أيمانهم، ويردُّون أيديهم الشمال خلف ظهورهم، فمن كتب الله عليه أخذ كتابه بشماله، فإن الكتاب يطير ويأتيه من وراء ظهره حتى يقع في يده الشمال، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ {الانشقاق: ١٠}.

قال صاحب الجوهرة:

وواجبٌ أخذُ العباد الصحفا كما من القرآن نصّاً عُرِفا

۞ الحساب:

ومما يجب الإيمان والتصديق به.. الحساب، هو: عبارة عن محاسبة الخلائق من قِبل الحق تعالى، فرداً فرداً، فيوقفهم سبحانه وتعالى قبل الانصراف من المحشر[1] على جميع ما فعلوه من خير وشر، قولاً وفعلاً، إجمالاً وتفصيلاً، حتى على وزن مثقال ذرة)، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ {الزلزلة: ٧ – ٨}.

قال صاحب الجوهرة:

................والحساب حقٌّ وما في الحقِ ارتيابُ

ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن، إلا من استثنى الله تعالى منهم، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ: **((وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ**

---

(١) انظر: كفاية الرغب بشرح هداية الطالب (طبعة دار المهاجر) (٨٤)، والمختصر المفيد (١٧٩).

....

الشرح

وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ)) أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وفي الحديث ذكر منهم فقال:((**هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

فمن كان من المؤمنين أدنى إلى الرحمة.. أُدخل الجنة بغير حساب، من كان من الكافرين أدنى إلى الغضب.. أدخل النار بغير حساب، ثم طائفة ثالثة توقف للمحاسبة، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**))، فَقُلْتُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾{ الانشقاق: ٨}

فَقَالَ:((**لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**)) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له.

والمراد بالمناقشة في الحديث: الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة.(١)

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٥١).

....

الشرح

قال الإمام النووي:(وَمَعْنَاهُ : أَنَّ التَّقْصِير غَالِب فِي الْعِبَاد ، فَمَنْ اُسْتُقْصِيَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُسَامَح هَلَكَ ، وَدَخَلَ النَّار ، وَلَكِنَّ اللهَّ تَعَالَى يَعْفُو وَيَغْفِر مَا دُون الشِّرْك لِمَنْ يَشَاء) اهـ.(١)

ويكون الحساب بعد الشفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في فصل القضاء.

وقد اختلف أهل العلم في المراد من إيقاف الناس على أعمالهم على **ثلاثة أقوال وهي**:

١) أن يخلق الله تعالى في قلوبهم علوماً ضرورية بمقادير أعمالهم في الثواب والعقاب، وهو قول الفخر.

٢) أن يوقفهم بين يديه سبحانه وتعالى، ويؤتيهم كتب أعمالهم، وفيها سيئاتهم وحسناتهم، وهو منقول عن ابن عباس، وقد قال أهل العلم أن هذا القول فيه قصور؛ لأن الحساب غير قاصر على هذا المقدار، أي: على مقدار إعطائهم كتبهم فقط؛ لأنه قد ورد أن الكافر ينكر ما يوجّه إليه من جرم، فتشهد عليه جوارحه، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ {فصلت: ١٩ – ٢٠}، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فَضَحِكَ، فَقَالَ:((**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ**

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٣٦).

....

الشرح

أَضْحَكُ)) قَالَ: قُلْنَا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)) أخرجه مسلم.

وورد أيضا أن الأرض تشهد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ {الزلزلة: ٤}، قَالَ:((أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا)) قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا)) أخرجه الترمذي.

٣) والقول الثالث هو: أن يكلمهم الله في شأن أعمالهم ، وكيفية ما لها من الثواب، وما عليها من العقاب، فَيُسْمِعَهُم كلامه القديم، وهذا ما تشهد له الأحاديث الصحيحة، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ)) قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ حَرَّ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ)) أخرجه البخاري.

وَالـمِيْزَانُ حَقٌّ ....

الشرح

ولا يشغله سبحانه وتعال محاسبة أحد عن أحد؛ بل يحاسب الناس جميعاً معاً، حتى أن كل واحد يرى أنه المحَاسب وحده، مع كثرتهم، قال تعـالى: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ {البقرة: ٢٠٢}، وقـال أيضـاً: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ {المعارج: ٤}، فاليوم طويل والله سريع الحساب.

وأما كيفية الحساب: فتختلف، فمنه اليسير ومنه العسير، والسر والجهر، والتوبيخ والفضل والعدل، وحكمة هذا الاختلاف.. إظهار تفاوت المراتب في الكمال، وفضائح أهل النقص، ففيه ترغيب في الحسنات، وزجر عن السيئات.

فقد قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:((**إِنَّ اللهَّ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أي: رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ**)) أخرجه البخاري، ومسلم، والفظ للبخاري.

۞ الميزان:

ومما يجب الإيمان به الميزان، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وهو عبارة عن قصبة وعمود وكفتان، كل منهما أوسع من أطباق السماوات والأرض، وجبريل آخذ بعموده، ناظرٌ إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، توزن فيه الحسنات والسيئات، ويكون ذلك بعد الحساب.

وهو ميزان واحد على الراجح، وقيل: لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف

....

﴿الشرح﴾

من عمله، قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ {الأعراف: ٨}، وقال أيضاً: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ {الأنبياء: ٤٧}، وقال أيضاً: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾ {الأعراف: ٨ – ٩}، والجمع هنا في قوله ﴿ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾ إنما هو للتعظيم على المشهور من أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال.(١)

وقد أُختلِف في المراد بالثقل والخفة على قولين:

الأول: أنه على صورته في الدنيا، أي: أن الثقيل ينزل، والخفيف يصعد.

الثاني: أنه على عكس صورته في الدنيا، فالثقيل يصعد والخفيف ينزل.(٢)

۞ كيفية الوزن:

وأما كيفية الوزن.. ففيه قولان:

الأول: أن صحف الأعمال الصالحة توضع في كفه، وصحف الأعمال السيئة توضع في كفة أخرى، فأيهما رجحت.. فهي الغالبة، بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب، والسيئات بآخر.

ويشهد لهذا حديث البطاقة، فعَنْ عَبْدِ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: **((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟**

---

(١) انظر: إتحاف المريد (٢٩٩).

(٢) انظر: البيجوري (٤٠٠).

....

الشرح

قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ، فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أ(أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) أخرجه الإمام أحمد.

الثاني: أن الموزون هو أعيان الأعمال، حيث تجسَّم أي: الأعمال وتصوَّر، فتصوّر الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى، فتثقل بفضل الله.

وتصوّر الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية، ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال، فتخف، وهذا في المؤمن، أما الكافر.. فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله تعالى.(١)

قال صاحب الجوهرة:

ومثل هذا الوزنُ والميزانُ فتوزن الكتبُ أو الأعيانُ

وقيل: يُوزن الشخص نفسه؛ لأنه ورد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه - أي: دقة ساقيه - فضحكوا منها فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:

---

(١) انظر: المختصر المفيد (١٨٩)، والبيجوري (٤٠٣-٤٠٤)، وإتحاف المريد (٣٠٠).

....

الشرح

((مَا يُضْحِكُكُمْ؟! لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ فِي المِيْزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ)) أخرجه ابن أبي شيبة. وفي لفظ: ((مَا تَضْحَكُوْنَ؟ لَرِجْلُ عَبْدُ اللهِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ)) أخرجه أبو يعلى.

وفي لفظ: ((وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَعُبْدُ اللهِ فِيْ المَوَازِيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ)) أخرجه الطبراني، والبزار، واللفظ للطبراني.

وفي رواية: عن ابن مسعود قال : لما قتلت أبا جهل أنا وابنا عفراء تغامز أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - لقوة أبى جهل وضعف قوة ابن مسعود ودقة ساقيه فلحظ إليهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - ولحق كلامهم ثم قال: ((وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَسَاقَا عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ))، وفى لفظ: ((أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ وَحِرَاءٍ)) أخرجه الدارقطنى في الأفراد ، وابن عساكر.

فدلَّ كل ذلك على أن الإنسان يُوزن.

فائدة الوزن:

قد يتساءل الشخص، ما فائدة الوزن والله يعلم بحال الشخص، ولا لأحد معه حكم؟

فالجواب هو: جعله علامة لأهل السعادة والشقاوة، وتعريف العباد بما لهم وعليهم من الخير والشر، وإقامة الحجة عليهم.[1]

---

(١) انظر: إتحاف المريد (٣٠٠).

....

الشرح

فائدة:

كل من حوسب.. وُزِنت أعماله، ومن لا.. فلا، ومن جملة من توزن أعماله.. الكفار، فتوزن سيئات الكافر غير الكفر، أما الكفر.. فلا فائدة من وزنه؛ لأن عذابه دائم، وقد ورد في كلام القرطبي ما يدل على أن الكفر يوزن، حيث قال:(فتُجمع له هذه الأمور وتوضع في ميزان الكافر، فيرجح الكفر بها)اهـ.[1]

شبهة:

قد يورد البعض شبهة، وهي: أن وزن أعمال المؤمن ظاهر؛ لوجود حسنات تقابل سيئات، أما وزن سيئات الكافر فغير ظاهر؛ لانعدام الحسنات المقابلة.

والجواب هو: أنه قد يكون منهم صلة الرحم والمواساة والعتق والوقف وغيرها مما لا يحتاج إلى نية منهم، فتُجعل هذه الأمور – إذا صدرت منهم – في مقابلة سيئاتهم، فيُخفف عنهم بذلك من عذاب الكفر، فتوزن أعمالهم لأجل ذلك، لا للنجاة من عذاب الكفر، بدليل أن أبا لهب جوزي بالتخفيف بسبب عتقه لجاريته التي بشرته بولادة الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كما تقدم ذلك في رواية الإمام البخاري.[2]

وأما سيئاتهم فتوزن ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر، وأما قول القائل:(ليس بعد الكفر ذنب).. فيراد به: ليس ذنباً بعد الكفر أعظم من الكفر، وإلا فالكافر المسيء ليس كالكافر المحسن.

---

(١) انظر: البيجوري (٤٠٢).

(٢) انظر: البيجوري (٤٠٢)، وشرح الصاوي (٣٨٠-٣٨١).

وَالصِّـرَاطُ حَقٌّ ....

الشرح

وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ {الكهف: ١٠٥}.. فمعناه: لا نقيم لهم وزناً نافعاً، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾)) أخرجه البخاري ومسلم.

۞ الصراط:

ويجب الإيمان بالصراط، وهولغة: الطريق الواضح؛ لأنه يبتلع المارة، وشرعاً: جسر منصوب على متن جهنم، يمر عليه الأولون والآخرون حتى الكفار، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾ {مريم: ٧١ – ٧٢}، وذهب الحليمي إلى أن الكفار لا يمرُّون، ويجوز أنه قصد بهم من تُلقي بهم الملائكة في النار في الموقف.

وقد ورد أن كل من يمر عليه يكون ساكتاً لا يتكلم إلا الأنبياء، فيقولون (اللهم سلِّم سلّم)، ففي الحديث الطويل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وفيه قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وقد ورد أنه أحدُّ من السيف وأدق من الشعرة، وهو المشهور في وصفه، فقد قَالَ أَبُو سَعِيدٍ:(بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ) أخرجه مسلم، ونازع في ذلك العز بن عبد السلام والشيخ القرافي والبدر الزركشي،

....

الشرح

وقالوا: على فرض صحة ذلك فهو محمول على غير ظاهره، بأن يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة، وحينئذ فلا ينافي ما ورد من الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه، وكون الكلاليب فيه، إذ كيف تقف الملائكة على جنبيه إن كان أحد من السيف وأدق من الشعرة.

وزاد القرافي: والصحيح أنه عريض، وفيه طريقان: يمنى ويسرى، فأهل السعادة يُسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يُسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات، كل طاقة منها تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم.

وقال بعضهم: إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره، فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره، فلا يمشي أحد في نور أحد، ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين.[1]

ويقف جبريل في أول الصراط، وميكائيل في وسطه، يسألان الناس عن عمرهم فيمّ أفنوه؟، وعن شبابهم فيمَ أبلوه؟ وعن علمهم ماذا عملوا به؟.[2]

وطول الصراط: ثلاثة آلاف سنة، ألف صعود، وألف استوى، وألف هبوط، تمر عليه الخلائق كلها، الأولون والآخرون، وهو المعتمد قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ {مريم: ٧١ – ٧٢}.

---

(١) انظر: البيجوري (٤٠٧).

(٢) انظر: البيجوري (٤٠٨).

....

﴿الشرح﴾

وأول من يجوزه نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

۞ كيفية مرور الناس على الصراط:

وكيفية مرور الناس فيه تكون على قدر أعمالهم، فتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمات الله، فكل من أعرض عن الشهوات، وصان قلبه عن الخطرات.. كان أسرع مروراً عليه، فهم في مرورهم ينقسمون إلى أقسام:

فمنهم من يمر عليه كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كالفرس، ومنهم كالجواد، ومنهم ماشياً، و منهم من يجري، ومنهم من يمر حبواً على الركب، و يكون مصيرهم إما الجنة التي هي دار الثواب، وإما النار التي هي دار العقاب ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**يُعْرَضُ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ قَالَ فَيَمُرُّ النَّاسُ مِثْلَ الْبَرْقِ وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ وَآخَرُونَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجِدِّ وَآخَرُونَ يَسْعَوْنَ سَعْياً وَآخَرُونَ يَمْشُونَ مَشْياً وَآخَرُونَ يَحْبُونَ حَبْواً وَآخَرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفاً فَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَلَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ وَأَمَّا نَاسٌ فَيُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ فَيُحْرَقُونَ فَيَكُونُونَ فَحْماً ثُمَّ يَأْذَنُ اللهُ فِي الشَّفَاعَةِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

قال صاحب الجوهرة:

وَالـجَنَّةُ حَقٌّ ....

الشرح

كذا الصـراطُ، فالعباد مختلفْ ... مـرورهم، فسـالم ومُنْتَلِـفْ

الجنة:

ومما يجب الإيمان به: الجنة، فهي حق ثابتة بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ {مريم: ٦٣}، والجنة هي دار الثواب، فقد اعدها الله للمؤمنين وجعل فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال: صاحب الجوهرة:

والنـار حـق أوجـدت كالجنّـةْ ... فـلا تمـل لجاحـدٍ ذي جِنَّـةْ

دار الخلـود للسَّـعيدِ والشـقي ... معــذّبٌ مــنعَّمٌ مهـما بقـي

وما ورد من بعض الألفاظ عن بعض نعيم الجنة كالعنب وغيره.. فهو من حيث تشابه الأسماء للتقريب إلى فهم عقول البشر.

واختُلِف في الجنة هل هي واحدة أو أكثر إلى **ثلاثة أقوال**:[١]

الأول: وهو قول ابن عباس، أنها سبع جنان متجاورات، أفضلها وأوسطها الفردوس، وهي أعلاها، والمجاورة لا تنافي العلو، إذ كم من مجاور هو أعلى من مجاوره، وسقف الجميع عرش الرحمن، ومنها تنفجر أنهار الجنة، وضعف نور الشمس بنسبة لنور العرش في الجنان كضعف نور النجوم بالنسبة لنور الشمس في الدنيا، ثم تليها جنة المأوى، فجنة الخلد، فجنة النعيم، فجنة عدن، فدرا السلام، فدار الجلال، وكلها متصلة بمقام الوسيلة لتنعيم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله

---

(١) انظر: إتحاف المريد (٣٠٤).

....

الشرح

عليه وآله وصحبه وسلم لظهوره لهم منها؛ لأنها تشرف على أهل الجنة كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا.[(١)]

الثاني: أنها أربع جنان، وقد رجحه جماعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ {الرحمن: ٤٦}، ثم قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ {الرحمن: ٦٢}، فالأوليان: جنة النعيم، وجنة المأوى.

والأخريات: جنة عدن، وجنة الفردوس.

الثالث: أنها جنة واحدة، وإلى هذا ذهب الجمهور،[(٢)] وإنما التعدد في الاسم لشرفها؛ لأن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، ولتحقق معاني تلك الأسماء فيها، إذ يصدق على الجميع جنة عدن، - فالعدن الإقامة - والمأوى لأنها مأوى المؤمنين، وجنة الخلد، ودار السلام؛ لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وجنة النعيم؛ لأنها كلها مشحونة بأصناف النعيم، فَعَنْ سَهْلِ بت سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:(**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ**

---

(١) انظر: البيجوري (٤١٤).

(٢) هكذا في البيجوري (٤١٤)، وفي إتحاف المريد (٣٠٥) أن الذي ذهب إليه الجمهور هو القول الثاني من أنها أربع جنان.

وَالنَّارُ حَقٌّ ....

الشرح

الْغَابِرَ مِنْ الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وتراب الجنة المسك ، ففي حديث الإسراء والمعرج أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال فيه:((**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وأبواب الجنة الكبار ثمانية، **وهي:**

باب الشهادة، وباب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحج، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصلة، وباب الجهاد في سبيل الله.

ومن داخلها عشرة أبواب صغار.

❁ النار:

ومما يجب الإيمان به كذلك النار وما فيها من عذاب ونكال، والتي هي دار العقاب، أعدّها الله للكافرين والعصاة.

والنار سبع طبقات، أرضها من رصاص، وسقفها من نحاس، وحيطانها من كبيرت، ووقودها الناس والحجارة.

أعلاها: **جهنم**، وهي لعصاة المؤمنين، وتصير خراباً بخروجهم منها.

وتحتها **لظى**: وهي لليهود، قال تعالى: ﴿ **كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ** ﴾.

....

الشرح

ثم الحطمة: وهي للنصارى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ {الهمزة: ٥ – ٦}.

ثم السعير: قال تعالى: ﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ {الملك: ١١}، وهي للصابئين، وهم فرقة من اليهود ازدادوا ضلالاً بعبادتهم للعجل، وقال مجاهد: هم بين اليهود والمجوس لا دين لهم.

وقيل: هم قوم عبدوا الملائكة، ويقرئون الزبور، ويصلون إلى القبلة، كما قاله أبو جعفر الرازي.

ثم سقر: وهي للمجوس عبّاد النار، قال تعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾ {المدثر: ٢٦}.

ثم الجحيم: وهي لعبدت الأصنام، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ {الحاقة: ٣٠ – ٣١}.

ثم الهاوية: وهي للمنافقين، وكل من اشتد كفره، كفرعون وهامان وقارون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ {النساء: ١٤٥}.

وقد نظمها الشيخ محمد بن محمد السنباوي الأزهري الشهير بالأمير، والمتوفى سنة (١٢٣٢هـ) فقال:(١)

جَهَنَّمُ لِلعَاصِي لَظَى لِيَهُوْدِهَا ... وَحُطَمَةُ دَارٌ لِلنَّصَارى أُوْلِي الصَّمَمْ
سَعِيْرٌ عَذَابُ الصَّابِئِيْنَ وَدَارُهُمْ ... مَجُوْسٌ لَهُمْ سَقْرٌ جَحَيْمٌ لِذِي صَنَمْ
وَهَاوِيَةٌ دَارُ النِّفَاقَ – وُقِيْتَهَا – ... وأسأَلُ رَبَّ العَرْشِ أَمْناً مِنَ النِّقَمْ

---

(١) انظر: حاشية الأمير (٣٠٤).

وَالـحَـوْضُ حَقٌّ ....

الشرح

قال الشيخ الصاوي في شرحه على الجوهرة: (هكذا ذكر الأشياخ – أي: هذا الترتيب – تبعاً لبعض الأحاديث في النار، ولكن آيات القرآن شاهدة بأن كلِّ اسم من تلك الأسماء يطلق على ما يَعمُّ الجميع؛ لأنه يذكر صفات الكفار بأي: وجه، ويعبِّر عن وعيدهم بأي: اسم من هذه الأسماء، فتدبّر) اهـ.[١]

والجنة والنار باقيتان لا يفنيان كما تقدم، فهما دار بقاء، وقد كفر الجهمية القائلين بفنائهما وفناء أهلهما؛ لمخالفتهم الكتاب والسنة.

الحوض:

ويجب الإيمان بالحوض، وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب، ترده هذه الأمة، وهو نهر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يكون على الأرض المبدّلة، وهي الأرض البيضاء كالفضة.

وهو كبير متسع، طوله مسافة شهر أي: مسيرة شهر، وعرضه كذلك، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، عليه أكواز يسقى بها الناس كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة.. لا يظمأ بعدها أبداً.

فَعن عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:((**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**)) أخرجه البخاري ومسلم.

(١) شرح الصاوي (٣٨٧-٣٨٨).

....

الشرح

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا آنِيَةُ الحَوْضِ؟ قَالَ:((**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجُنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ الْجُنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ**)) أخرجه مسلم وأحمد.

وقد ورد أن لكل نبي حوض ترده أمته، وإنما خُصِّصَ الحوض عند ذكره بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لورود الأحاديث البالغة مبلغ التواتر، بخلاف غيره لوروده بالآحاد، فعَنْ سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**)) أخرجه الترمذي، والطبراني.

وحوضه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يرد من ماء الكوثر حيث يصبُّ نهر الكوثر فيه، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ:((**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾** {الكوثر: ١ - ٣})، ثُمَّ قَالَ:((**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**)) فَقُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ**)) أخرجه مسلم.

....

الشرح

وعن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.. قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**هُوَ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ يَجْرِي عَلَى جَنَادِلِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ شَرَابُهُ أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وللحوض لون كل شراب الجنة، وطعم كل ثمارها.

ويرد عليه المؤمن فيشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، ويذاد أي يبعد أقواما عنه قد غيروا وبدلوا ونقضوا العهد.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ:((**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**))، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ:((**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**))، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهَّ، فَقَالَ:((**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ**))، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ:((**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**)) أخرجه البخاري، ومسلم، واللفظ له.

ونقل القرطبي: أن من خالف جماعة المسلمين كالخوارج، والرَّوافض، والمعتزلة والظلمة والفسقة المُعلِنة.. يُطردون عن الحوض.

وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ العُظْمَى مَخْصُوْصَةٌ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ وَجَاءَ فِي الأَحَادِيْثِ المَرْوِيَّةِ عَنْهُ ﷺ .

الشرح

قال صاحب الجوهرة:

إيماننا بحوضِ خير الرسلِ ... حتمٌ كما قد جاءنا في النقلِ

ينال شرباً منه أقوامٌ وفوا ... بعهدهم وقل يذاد من طغوا

وقد اختلف أهل العلم: هل يكون الحوض قبل الصراط أم بعده؟

فذهب قوم إلى أنه بعد الصراط، وذهب الجمهور وصححه بعضهم إلى أنه قبل الصراط؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطشى فيَرِدون الحوض للشرب منه، وقيل: له حوضان.(١)

وفي الحقيقة الواجب علينا اعتقاد ثبوته أي: الحوض، وجهل تقدمه على الصراط أو تأخره.. لا يضر في الاعتقاد.

تنبيه:

الإيمان بالحوض واجب، لكن لا يكفر من أنكره؛ بل يفسق، وقد نفته المعتزلة.(٢)

الشفاعة العظمى:

ويجب الإيمان بالشفاعة العظمى وانها مخصوصة لسيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

والشفاعة لغة: الوسيلة والطلب.

---

(١) انظر: البيجوري (٤٢٦)، وشرح الصاوي (٣٩٣).

(٢) انظر: البيجوري (٤٢٣).

....

الشرح

وعرفاً: سؤال الخير للغير.

وللحق سبحانه وتعالى شفاعة، وشفاعته سبحانه وتعالى عبارة عن عفوه، فإنه تعالى يشفع فيمن قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، أو مثبتاً رسالة الرسول الذي أرسل إليه بالنسبة لغير أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ولم يعمل خيراً قط، فإن الله يتفضل عليه بعد دخول النار من غير شفاعة أحد، أي: يخرجه من غير شفاعة أحد فيه تفضلاً منه تعالى، وفي الحديث الطويل :((فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)) أخرجه البخاري.

وفي رواية:((ثُمَّ يَقُولُ الله شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ الْأَنْبِيَاءُ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ قَالَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ أَوْ قَالَ قَبْضَتَيْنِ نَاسٌ لَمْ يَعْمَلُوا لله خَيْرًا قَطُّ قَدْ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَمًا قَالَ فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ فَيَخْرُجُونَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ فِي أَعْنَاقِهِمْ الْخَاتَمُ عُتَقَاءُ الله قَالَ فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا تَمَنَّيْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ

....

﴿الشرح﴾

فَهُوَ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُونَ رَبَّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَيَقُولُ رِضَائِي عَلَيْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا)) أخرجه الإمام أحمد.

والمراد بالشفاعة منه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يطلب من الله تعالى في يوم القيامة خيراً لبعض الخلق، فيعطيه الله تعالى ما طلب ويشفعه فيمن شفع له.(١)

قال صاحب الجوهرة:

وواجب شفاعة المشفَّعِ   محمد مقدَّما لا تَمْنَعِ

وأصل الشفاعة ثابت في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ {البقرة: ٢٥٥}، وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ {الأنبياء: ٢٨}.أما شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم التي يجب على المكلف شرعاً اعتقادها.. فقد دل عليها القرآن الكريم، وفصلتها الأحاديث النبوية الصحيحة الكثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ {الإسراء: ٧٩}.

قال ابن عباس عند ذكر هذه الآية كما في تفسيره الذي جمعه الشيخ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ)، قال:(أن يقيمك ربك مقاماً محموداً ، مقام الشفاعة يحمدك الأولون والآخرون)اهـ، وبنحو ذلك قال مجاهد والطبري وغيرهما من أهل التفسير.

---

(١) انظر: المختصر المفيد (١٩٨).

....

الشرح

والمراد بالشفاعة في الآيـة.. الشـفاعة العظمـى التـي هـي أول المقـام المحمـود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون ، وآخره أي: المقـام المحمـود.. عنـد اسـتقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.[١]

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ الله التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ الله وَرَسُولَهُ وَرُوحَ الله وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عَبْدًا غَفَرَ الله لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ الله أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ**

---

(١) انظر: البيجوري (٤٢٩).

....

الشرح

يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أي: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ)) قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ {الإسراء: ٧٩}

قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . أخرجه البخاري.

وفي رواية للبخاري أيضاً عن مَعْبَدِ بْنِ هِلَالٍ الْعَنَزِيِّ عن أنس وفيها:((فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ

....

الشرح

أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ))، قال مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا، لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ – أي: رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –:**((ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ إِلَي تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله))**.

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي نَبِيُّ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :**((إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ عَلَى الصِّرَاطِ إِذْ جَاءَنِي عِيسَى فَقَالَ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ**

....

الشرح

يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ أَوْ قَالَ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَيَدْعُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ الله لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ وَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزَّكْمَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ قَالَ: قَالَ لِعِيسَى انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ قَالَ فَذَهَبَ نَبِيُّ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حَتَّى قَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًى وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِيلَ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ قَالَ فَشُفِّعْتُ فِي أُمَّتِي أَنْ أُخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا قَالَ فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ حَتَّى أَعْطَانِي الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَوْمًا وَاحِدًا مُخْلِصًا وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ)) أخرجه الإمام أحمد.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤْلاً أَوْ قَالَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ. قَالَ: فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا، وَلَكِنْ اذْهَبُوا إِلَى

....

الشرح

إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ))، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَا مِنْهَا كَذِبَةٌ إِلَّا مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ الله ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ الله، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا، قَالَ: فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ**))، قَالَ ابْنُ جُدْعَانَ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، قَالَ:((**فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجُنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا، فَيُقَالُ مَنْ هَذَا، فَيُقَالُ مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي وَيُرَحِّبُونَ بِي فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا، فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي الله مِنْ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ الله ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾** {الإسراء: ٧٩})) أخرجه الترمذي.

ولرسولنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم شفاعات كثيرة عدَّها بعض أهل العلماء إلى ثمان شفاعات، دلّت عليها الأحاديث الشريف، وهي:

الأولى: الشفاعة العظمى (المقام المحمود المتقدم ذكره)، وهي شفاعته لكل الخلائق لإراحتهم من طول الموقف يوم القيامة، فيشفع في نقلهم من أرض المحشر ليبدأ حسابهم.

الثانية: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في إدخال قوم الجنة بغير حساب، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في الحديث الطويل إلى أن قال:((**فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا**

....

الشرح

مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجُنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجُنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى)) أخرجه البخاري ومسلم.

الثالثة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في بعض من استحق دخول النار بذنوبه أن لا يدخلها.

وقد أنكر المعتزلة هذه الشفاعة، وحجتهم حديث (لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي)، وهو حديث موضوع باتفاق،[1] وعلى تقدير صحته.. فإنه يحمل على من ارتد منهم، وقد ورد ما يدل على عكسه فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والطبراني، وغيرهم.

الرابعة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في إخراج الْمُوَحِدين من النار، فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**يَدْخُلُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقِبْلَةِ النَّارَ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَا اللهَ بِمَا عَصُوا اللهَ وَاجْتَرَءوا عَلى مَعْصِيَتِهِ وَخَالَفُوا طَاعَتَهُ، فَيُؤْذَنُ لِي فِي الشَّفَاعَةِ، فَأُثْنِي عَلَى اللهِ سَاجِداً كَمَا أُثْنِي عَلَيْهِ قَائِمَاً، فَيُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**)) أخرجه الطبراني.

---

(١) انظر: البيجوري (٤٣١).

....

الشرح

الخامسة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في زيادة الدرجات لبعض أهل الجنة.

السادسة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في جماعة من صلحاء أمته؛ ليتجاوز الله تعالى عنهم في تقصيرهم في الطاعات.

السابعة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في بعض من خلِّد في النار من الكفار أن يُخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة كأبي لهب، فقد جاء في البخاري: (فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ) والحيبة: الحال، أي بشر حال، قال في فتح الباري:(قوله بعض أهله بالرفع على أنه النائب عن الفاعل وذكر السهيلي أن العباس قال لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين، قال وذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فاعتقها)اهـ.[(١)]

الثامنة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وهذا عند من قال أنهم في النار، وإلا فالصحيح أنهم في الجنة.[(٢)]

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ١٦٤).

(٢) انظر: البيجوري (٤١٦)، وإتحاف المريد (٣٠٨).

....

الشرح

وهناك شفاعات أخرى لغير النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، كالأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء، فالواحد من هؤلاء يشفع في أرباب الكبائر على قدر مقامه عند الله تعالى، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَقُولُ:((**لَيَدْخُلَنَّ الْجُنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**)) أخرجه الإمام أحمد، وربيعة ومضر أكبر قبيلتين في العرب من حيث العدد.

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي الْجَدْعَاءِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَقُولُ:((**لَيَدْخُلَنَّ الْجُنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله سِوَاكَ قَالَ سِوَأي: سِوَايَ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنْ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجُنَّةَ**)) أخرجه الترمذي.

وفي رواية الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أيضاً عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((**قَدْ أَعْطَى اللهُ كُلَّ نَبِيٍّ عَطِيَّةً فَكُلٌّ قَدْ تَعَجَّلَهَا وَإِنِّي أَخَّرْتُ عَطِيَّتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي لَيَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنْ النَّاسِ فَيَدْخُلُونَ الْجُنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلثَّلَاثَةِ وَلِلرَّجُلَيْنِ وَلِلرَّجُلِ**)).

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم:((**أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يُشْرِفُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيُنَادِيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُوْلُ: يَا فُلَانُ هَلْ

....

الشرح

تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُوْلُ: لَا وَاللهِ مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُوْلُ: أَنَا الَّذِيْ مَرَرْتَ بِيْ فِي الدُّنْيا، فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ، قَاْلَ: قَدْ عَرَفْتُ، قَاْلَ: فَاشْفَعْ لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ، قَاْلَ: فَيَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ، فَيَقُوْلُ: إِنِّيْ أَشْرَفْتُ عَلَى النَّاْرِ، فَنَادَاْنِيْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَالَ لِيْ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ مَا أَعْرِفُكَ، مَنْ أَنْتَ؟ قَاْلَ أَنَا الَّذِيْ مَرَرْتَ بِيْ فِي الدُّنْيا، فَاسْتَسْقَيْتَنِي شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ فَسَقَيْتُكَ، فَاشْفَعْ لِي عِنْدَ رَبِّكَ ، فَشَفِّعْنِي فِيْهِ، فَيُشَفِّعُهُ اللهُ، فَيُأْمَرُ بِهِ فَيُخْرَجُ مِنَ النَّاْرِ)) أخرجه أبو يعلى، وأخرجه ابن ماجه بلفظ: ((يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ صُفُوْفَاً ثُمَّ يَمُرُّ أَهْلُ الجَنَّةِ فَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُوْلُ يا فُلَانُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً قَاَلَ فَيَشْفَعُ لَهُ وَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُوْلُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتُكَ طُهُوْرَاً فَيَشْفَعُ لَهُ وَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُوْلُ يَا فُلَانُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي لِحَاجَةِ كَذَا وَكَذَا فَذَهَبْتُ لَكَ، فَيَشْفَعُ لَهُ)).

وفي الحديث عند مسلم:((فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ..)) الحديث. وقد تقدم نحوه عند البخاري وأحمد.

قال صاحب الجوهرة:

....

﴿الشرح﴾

وغـيرهُ مـن مرتـضى الأخيـارِ يشفعْ كـما قـد جاءَ في الأخبارِ

وشفاعة الملائكة تكون على الترتيب: فأولهم جبريل، وآخرهم التسعة عشر التي على النار.

وهذه الشفاعات من غيره صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثابتة بالنص كما في الحديث المتقدم عند مسلم، ومجمع عليها من أهل السنة.(١)

ولا يشفع أحد مما ذكر إلا بعد انتهاء مدة المؤاخذة، فتكون الشفاعة على هذا إظهاراً لمزية الشافع على غيره، على أنه لولا الشفاعة لجوَّزنا البقاء في النار وعدمه بحسب الظاهر لنا، أي: على حسب ما يظهر لنا من حال الإنسان هل دخلها وهو كافر أو عاص، والأمر في كل ذلك لله.

۞ فائدة:

معتمد أهل السنة والجماعة أنه يجوز عقلاً وسمعاً غفران غير الكفر من الذنوب بلا شفاعة، فبالشفاعة من باب أولى، وأما غفران الكفر.. فهو وإن جاز عقلاً أي: قال العقل بجوازه، فهو ممتنع شرعاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ {النساء: ٤٨}.

والحكمة من غفران الذنوب دون الكفر: أنها أي: الذنوب لا تنفك عن خوف عقاب، ورجاء عفوٍ ورحمة، بخلاف الكفر، فمرتكب الذنوب مسلم يعتقد نقص نفسه بارتكاب الذنوب، فاعتقاد النقص عنده يؤدي به إلى الخوف من

---

(١) انظر: البيجوري (٤٣٢).

....

الشرح

العقاب ورجاء الرحمة، والكافر لا يعتقد نقص نفسه، فلا يخاف عقاباً ولا يرجو عفواً ولا رحمة.

قال صاحب الجوهرة:

إذ جائزٌ غفرانَ غير الكفرِ فلا تكفِّر مؤمناً بوزرِ

وهذا الكلام هو تعليل مقتصر على الشفاعة في الذنوب فقط، وإنما الشفاعة تشمل الشفاعة في فصل القضاء وفي غفران الذنوب.

بعد كل هذا.. لا التفات إلى قو ل الخوارج بكفر العاصي؛ لأنهم يعدُّون الأعمال ركناً من الإيمان، وأهل السنة يعنون بذلك الإيمان الكامل لا ذات الإيمان.

ولا التفات كذلك للمعتزلة الذين يقولون: أن العاصي ليس مؤمناً ولا كافراً، بل هو في منزلة بين المنزلتين؛ لأنهم وإن عدُّوا الأعمال جزاً من الماهية – وهي ما به يجاب عن السؤال بما هو أو ما هي – إلا أنهم يقولون: أن الماهية لا تتحقق بانعدام جزءٍ منها، كما أنها لا تنعدمُ البتّة، وهو أي: العاصي مخلّد في النار.

ولا التفات أيضاً إلى المُرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ومن مزاعم المرجئة أن أهل النار لا يذوقون ألم العذاب؛ بل يكون كالحوت في الماء، وأن المؤمن لا يتمتّع بنعيم الجنة، والكافر محروم منه فقط.[1]

(١) انظر: هداية المريد (١١٥).

....

﴿الشرح﴾

ومن مات وقد ارتكب كبيرة من الكبائر غير المكفِّرة بلا استحلال لها، والحال أنه لم يتب منها.. فمذهب أهل السنة والجماعة أن أمره مفوَّض وموكل إلى ربِّه تعالى، فلا نقطع بالعفو عنه؛ لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة، ولا نقطع كذلك بالعقوبة؛ لأنه تعالى يجوز عليه أن يغفر ما عدا الكفر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ {النساء: ٤٨}، وقال صاحب الجوهرة:

ومن يمتْ ولم يتبْ من ذنبهِ ... فأمره مفوَّضٌ لربِّهِ

وعلى تقدير العذاب الذي توعد الله به مرتكبي الذنوب.. فإنّا نقطع له بعدم الخلود فيه، وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذلك بالآية المارة وغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتّة، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ {الزلزلة: ٧}، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : ((**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله حَرَّمَ الله عَلَيْهِ النَّارَ**)) أخرجه مسلم والترمذي.

قال في الجوهرة:

وواجبٌ تعذيب بعضٍ ارتكب ... كبيرةً ثم الخلودُ مُجْتَنَبْ

ومن دخل الجنة.. لا يخرج منها أبدا، قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ {الحجر: ٤٨}.

....

الشرح

تتمة في السمعيات:

لم يتعرض المصنف رحمه الله ونفعنا به إلى بعض السمعيات التي يجب الإيمان بها، حيث اقتصر على بعض منها فقط، ولأهميتها أحببنا ذكرها هنا مع شيء من التفصيل:

العرش:

ويجب الإيمان بالعرش، وهو: جسم نوراني عُلوي، والأولى الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، ويجب الإيمان بوجوده؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ {الحاقة: ١٧}.

الكرسي:

ويجب الإيمان بالكرسي، وهو: جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة، وبينه وبين السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام، كما نُقل عن ابن عباس، والكرسي غير العرش خلافاً للحسن البصري والأولى الإمساك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها.

اللوح:

ويجب الإيمان باللوح، وهو: جسم نوراني، طوله خمسمائة عام، وعرضه كذلك، كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من أنه يقبل المحو والتغيير، مع الإمساك عن الجزم بحقيقته.

وليس اللوح معمولاً للملائكة الكاتبين كما يُتَوَهّم؛ بل القلم يكتب فيه بمجرد القدرة.

....

الشرح

۞ **القلم:**

ويجب الإيمان بالقلم، وهو: جسم نوراني خلقه الله وأمره بكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وطوله مسيرة خمسمائة عام، وعرضه كذلك، والأولى الإمساك عن الجزم بتعيين حقيقته.(١)

قال صاحب الجوهرة:

والعرش والكرسي ثمَّ القلمُ   والكاتبون اللوحُ كلٌّ حِكَمُ

۞ **الملائكة:**

ويجب الإيمان بالملائكة، هو: اعتقاد أنهم عباد مكرمون من عباد الرحمن اصطفاهم الله، شأنهم الطاعة لا يفترون عنها أي: عن الطاعة والعبادة لله، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؛ لأنهم مجبولون على ذلك، ومنزَّهون عن الآثام والخطايا، ومطهَّرون عن الشهوات الحيوانية، ومبرَّؤون من الميول النفسية، قال تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {النحل: ٥٠}، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {التحريم: ٦}، وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكُّل بأشكال مختلفة ليسوا بذكور ولا إناث ولا خناثى، فمن اعتقد أنهم ذكوراً فهو مبتدع فاسق، وفي كفره قولان:

١) فمنهم من قال بكفره.

٢) ومنهم من قال بفسقه فقط.

---

(١) انظر: كل ذلك في البيجوري (٤١٠)، وشرح الصاوي (٣٨٥).

....

الشرح

أما من اعتقد أنهم إناثاً فهو كافر؛ لأنه دخل في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ {الزخرف: ١٩}، فالحق سبحانه وتعالى ينفي كونهم إناثاً وهو يثبته.. فهو كافر قطعاً، وأولى بالكفر من اعتقد خنوثتهم لمزيد النقص.

ومن الإيمان بالملائكة الإيمان بأنهم خلقوا من غير واسطة، فلا أب لهم ولا أم، ولا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتغوَّطون ولا يتناكحون.

وهم أصحاب أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من يزيد على ذلك، قال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {فاطر: ١}، وعن ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ((أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

ومن بينهم أي: الملائكة.. الكتبة والحفظة، وحملة العرش، والمسبِّحون، والمستغفرون للمؤمنين، والساجدون، والصافون، والمتعاقبون فينا بالليل والنهار، وملائكة الرحمة، وملائكة سيَّارة يبتغون مجالس الذكر، وغيرهم.

ومنهم من هو ساجد لله منذ أن خلقه ، ومنهم من هو راكع كذلك، ويوم القيامة يقولون: يارب ما عبدناك حق عبادتك.

....

﴿الشرح﴾

قال الإمام الألوسي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {البقرة: ٣٠} :((وهي – أي: الملائكة – عندنا منقسمة إلى قسمين :قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ {الأنبياء: ٢٠}، وهم العليّون والملائكة المقربون، وقسم يدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {التحريم: ٦}، وهم: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ {النازعات: ٥}، فمنهم سماوية ومنهم أرضية ، ولا يعلم عددهم إلى الله)) اهـ.

۞ فائدة:

قال الفخر الرازي عند قوله تعالى أيضا ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {البقرة: ٣٠} :((وأما الإيمان بالملائكة ، فهو من أربعة أوجه:

أولها : الإيمان بوجودها، والبحث عن أنها روحانية محضة، أو جسمانية، أو مركبة من القسمين، وبتقدير كونها جسمانية فهي أجسام لطيفة أو كثيفة، فإن كانت لطيفة فهي أجسام نورانية، أو هوائية، وإن كانت كذلك فكيف يمكن أن تكون مع لطافة أجسامها بالغة في القوة إلى الغاية القصوى، فذاك مقام العلماء الراسخين في علوم الحكمة القرآنية والبرهانية.

....

الشرح

والمرتبة الثانية في الإيمان بالملائكة: العلم بأنهم معصومون مطهرون ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {النحل: ٥٠}، ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ {الأنبياء: ١٩}، فإن لذتهم بذكر الله، وأنسهم بعبادة الله، وكما أن حياة كل واحد منا بنفسه الذي هو عبارة عن استنشاق الهواء، فكذلك حياتهم بذكر الله تعالى ومعرفته وطاعته .

والمرتبة الثالثة : أنهم وسائط بين الله وبين البشر، فكل قسم منهم متوكل على قسم من أقسام هذا العالم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾ {الصافات: ١ – ٢}، وقال : ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾ {الذاريات: ١– ٢}، وقال : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ {المرسلات: ١ – ٢}، وقال : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾ {النازعات: ١ – ٢}، ولقد ذكرنا في تفسير هذه الآيات أسراراً مخفية ، إذا طالعها الراسخون في العلم وقفوا عليها .

والمرتبة الرابعة : أن كتب الله المنزلة إنما وصلت إلى الأنبياء بواسطة الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ {التكوير: ١٩ – ٢١}، فهذه المراتب لا بد منها في حصول الإيمان بالملائكة ، فكلما كان غوص العقل في هذه المراتب أشد كان إيمانه بالملائكة أتم)) اهـ.

....

الشرح

عدد الملائكة:

وعدد الملائكة كثيرٌ لا يحصي- عددهم إلا الله سبحانه وتعالى، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ**)) أخرجه أحمد والترمذي.

والواجب معرفتهم تفصيلاً على المكلف شرعاً.. عشرة، وهم: جبريل، ويقال له جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل بفتح العين على الصحيح، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، ومالك، ورضوان، وأما وظائفهم.. فهم موزعون على أربعة أقسام:

الأول: التصريفيُّون، وهم:

١) **جبريل**، وهو أمين الوحي، و السفير بين الله وأنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {البقرة: ٩٧}، ويسمى بالروح الأمين، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ {الشعراء: ١٩٢ – ١٩٤}، ويسمى كذلك بروح القدس، قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ {النحل: ١٠٢}، ويسمى أيضا بالناموس، كما قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ الله عَلَى مُوسَى)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

....

﴿الشرح﴾

٢) **ميكائيل**، وهو الموكل برزق العباد وبالأمطار والبحار والأنهار وتصوير الأجنة في بطون أمهاتهم.

٣) **إسرافيل**، وهو الموكل بنفخ الصور، أي: البوق العظيم، وينفخ فيه يوم القيامة ثلاث نفخات، الأولى نفخة الفزع، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ {النمل: ٨٧}، والنفخة الثانية تفنى فيها جميع المخلوقات إلا من شاء الله تعالى، والنفخة الثالثة تبعث فيها جميع المخلوقات، فترجع الأرواح إلى أجسادها، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ {الزمر: ٦٨}، ويوجد بالصور الذي هو البوق العظيم ثقاب بعدد بني آدم، فإذا مات الإنسان قدمت روحه إلى ثقبها، فإذا أراد الله إحيائهم خرجت كل روح من ثقبها وتوجهت إلى صاحبها.

وإسرافيل عليه السلام موكل كذلك باللوح المحفوظ.

٤) **عزرائيل** هكذا تواتر اسمه، قال الإمام ابن عجيبة في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ {السجدة: ١١}: ((وعن مقاتل والكلبي : بلغنا أن اسم ملك الموت عزرائيل)) اهـ.

وقال الإمام السيوطي في الإتقان: ((ملك الموت أشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل، ورواه أبو الشيخ بن حبان عن وهب)) اهـ.

....

﴿الشرح﴾

وقد ذكر أكثر أهل التفسير وأهل العلم أن اسمه (عزرائيل) لوجود هذا الأثر وإن كان فيه كلام عند أهل الحديث، إلا أن تسميته بهذا الاسم ليس فيه ضرر، وخصوصاً أن الألسن تناقلته بالتواتر.

وعزرائيل هو الموكل بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ﴾ {السجدة: ١١}.

وأما قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ {الأنعام: ٦١}.. فإن لملك الموت أعوان، وهم رسل يعينونه على قبض الأرواح، قال ابن عباس رضي الله عنهما :(خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب)اهـ، وقال مجاهد :(جعلت له الأرض مثل الطست يتناول منه حيث يشاء)اهـ.(١)

وأما قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا ﴾ {الزمر: ٤٢}.. ففيه احتمالان:

الأول: أن المتوفي الحقيقي هو الله، وإنما عزرائيل سبب.

الثاني: أن أرواح المحبوبين لديه تعالى يتولى هو بنفسه قبضها من غير واسطة.

قال صاحب الجوهرة:

وواجب إيماننا بالموتِ ويقبض الروحَ رسول الموتِ

و**الثاني** من أقسام الملائكة هم: الفاتنون وهم:

---

(١) انظر: السراج المنير للخطيب الشربيني عند قوله تعال ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ﴾ {السجدة: ١١}.

....

﴿الشرح﴾

منكر ونكير، وهما الموكلان بسؤال الميت من الإنس والجن في قبره، فيسألانه عن ربّه ونبيه وقبلته، فيكون السؤال عن التوحيد والدين والنبوة.

وقيل: هما للمؤمن الموفّق مبشِّر وبشير، وللكافر والمؤمن العاصي منكر ونكير، كما ذكر ذلك بعض الفقهاء.[١]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ**)) أخرجه الترمذي.

الثالث من الأقسام هم: الحافظون، وهم:

رقيب، وهو موكل بكتابة الحسنات، ويكون في جهة اليمين، **وعتيد**، وهو الموكل بكتابة السيئات، ويكون في جهة الشمال.

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٢٦٤).

....

﴿الشرح﴾

ومعنى رقيب وعتيد: أي: حافظ وحفيظ، وكل واحد منهما يسمى بهاذين اللفظين، أي: أن ملك اليمين يدعى رقيب عتيد، وملك الشمال يدعى رقيب عتيد، وقيل: أن أحدهما رقيب والآخر عتيد.

وإذا فعل العبد الحسنة.. بادر ملك اليمين بكتابتها، وإذا فعل سيئة وأراد ملك الشمال أن يكتبها.. أمره ملك اليمين بما له من إمارة عليه أن يمهله، فإن استغفر العبد وتاب.. كتبها حسنة، وإن لم يستغفر.. كتبها سيئة.

وقد أُختُلِفَ فيما يكتبان، فقال مجاهد: يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه، أي: غاية فيما يكتبان، فهما يكتبان كل شيء، وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر أو يوزر فيه.(١)

والرابع والأخير من الأقسام: الخازنون، وهم:

مالك، وهو خازن النار، وهي سبع طبقات: أعلاها وأخفها جهنم، ثم لظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

ومع مالك خازن النار الزبانية، وهم تسعة عشر نفراً، كما قال تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ {المدثر: ٣٠} ، ولكل نفر منهم جنود لا يعلم عددهم إلا الله، قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ {المدثر: ٣١}، وسيأتي بيان طبقاتها إن شاء الله تعالى عند ذكر الجزاء.

---

(١) انظر: تفسير السراج المنير للشربيني عند قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ {ق: ١٨}.

....

الشرح

ورضوان، وهو خازن الجنة أي: رئيس خزنتها، قال تعالى في حق الذين اتقوا: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ {الزمر: ٧٣}.

والجنان سبع: الفردوس وهي أعلاها، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة عدن، ودار السلام، ودار الجلال، وقد تقدم تفصيلها.

❁ **الكتب:**

ومما يجب الإيمان به الكتب السماوية المنزلة من الله تعالى على أنبيائه ورسله، ومعنى الإيمان بالكتب هو: اعتقاد أنها كلام الله الأزلي القديم المنزَّه عن الحروف والصوت كما تقدم.

والواجب معرفته إجمالاً منها.. مائة، وهي:

ستون منها على نبي الله شيث بن آدم، وثلاثون على نبي الله إبراهيم، وعشرة على نبي الله موسى قبل التوراة، وهي المراد بقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ {النجم: ٣٦ – ٣٧} وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ {الأعلى: ١٨ – ١٩} عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.(١)

---

(١) انظر: دليل الفالحين (١/ ١٦٨).

....

الشرح

وهذا على التقريب لا التحقيق، قال السحيمي: ((والحق عدم حصر الكتب في عدد معين، فلا يقال أنها مائة وأربعة فقط؛ لأنك إذا تتبعت ، أي: فتّشت الروايات تجدها تبلغ أربعة وثمانين ومائة، فيجب اعتقاد أن الله أنزل كتباً من السماء على الإجمال)) اهـ(١)

والواجب معرفته من الكتب تفصيلاً أربعة، وهي:

الأول: التوراة المنزلة على نبي الله موسى عليه السلام، قيل: مأخوذة من ورى الزند، أي: خرج ناره، فإنها نور وضياء، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ {المائدة:٤٤}، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ {الأنبياء: ٤٨}.

وقد حُرِّف التوراة، حيث حرفه أكثر من كاتب من رهبان اليهود؛ ليُخْفُوا ما فيه من الحق الذي لا يتوافق مع هواهم، فالذي عندهم من التوراة الصحيحة هو بعضها فقط، وقد أثبت الله هذا التحريف في قوله :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة: ٧٥}، قال الإمام الطبري عند تفسير هذه الآية:((حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله:﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ {البقرة: ٧٥}: التوراة التي أنزلها

---

(١) انظر: ذلك في (كاشفة السجا شرح سفينة النجا) (طبعة دار التيسير) (١١).

....

الشرح

عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا)) اهـ.

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ {النساء: ٤٦}، قال الحفظ بن حجر في الفتح:((قال أبو عبيدة في كتاب (المجاز) في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ {النساء: ٤٦}، قال: يقلِّبون ويغيِّرون)) اهـ.

وقال مجاهد: يعني تبديل اليهود التوراة، كما فعلوا في آية الرجم حين أخفوها، فيطبِّقون الرجم على الضعيف إذا زنى، أما إن زنى الشريف منهم.. حمسوه وطافوا به، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :((**مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ**)) فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُو: أصَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ الله: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ. أخرجه البخاري.

والثاني: من الكتب هو الإنجيل المنزل على نبي الله عيسى عليه السلام، قيل: مأخوذ من النجل، وهو استخراج خلاصة الشيء، وسمي الكتاب بذلك

....

﴿الشرح﴾

لاستخلاصه نور التوراة، ومنه قيل للولد: نجل أبيه لاستخلاصه منه، وقيل: هي كلمة يونانية معناها: بشرى.

وقد دخل الإنجيلَ التحريفُ بأيدي أكثر من كاتب من قساوسة النصارى، ونسبوا كثيراً من كتب الأناجيل إلى أنفسهم بحيث زادوا وبدَّلوا، حتى صار هناك أكثر من إنجيل، فعلى سبيل المثال:(إنجيل متى، وإنجيل لوقا، وإنجيل مرقس، وإنجيل يوحنّا، وإنجيل برنابا)، ويعتبر إنجيل برنابا هو الإنجيل القريب من الصحة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ {المائدة: ١٤}.

والثالث: من الكتب هو الزبور المنزل على نبي الله داود عليه السلام، قال تعالى ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ {النساء: ١٦٣}.

والرابع: من الكتب هو الفرقان المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، والفرقان اسم من أسماء القرآن، ومعناه: الفارق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾ {الإنسان: ٢٣}، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ {آل عمران: ٣ – ٤}.

وأسمائه أربعة: القرآن، وترك الهمز لغة قريش، والكتاب، والذكر، والفرقان.

....

الشرح

وعدد أجزائه: ثلاثون (٣٠) جزء، وعدد سوره: أربع عشرة ومائة (١١٤) سورة، وعدد آيته: ست عشرة وستمائة وستة آلاف (٦٦١٦) آية، وعدد كلماته: أربع وثلاثون وتسعمائة وسبعة وسبعون ألف (٧٧٩٣٤) كلمة، وعدد حروفه: واحد وسبعون وستمائة وثلاثة وثلاثون ألف وثلاثمائة ألف (٣٣٣٦٧١).

وقد حُفِظ القرآن الكريم من التبديل والتحريف، فقد تكفّل الله بحفظه إلى يوم رفعه، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ {الحجر: ٩}.



العقيدة المجملة

وَبعدُ: فَإِنَّا وَالـحَمْدُ لله قَدْ رَضِيْنَا بِالله رَبّاً، وَبِالإِسْلَام دِيْناً، وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً وَرَسُوْلاً، وَبِالقُرْآنِ إِمَاماً، وَبِالكَعْبَةِ قِبْلَةً، وَبِالـمُؤْمِنِينَ إِخْوَاناً.

وَتَبَرَّأْنَا مِنْ كُلِّ دِيْنٍ يُخَالِفُ دِيْنَ الإِسْلامِ، وَآمَنَّا بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، وَبِكُلِّ رَسُوْلٍ أَرْسَلَهُ اللهُ، وَبِمَلائِكَةِ الله، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ الله ﷺ عَنِ الله تَعَالَى.

عَلَى ذَلِكَ نَحْيَى، وَعَلَيْهِ نَمُوْتُ، وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الآمِنِينَ الَّذِيْنَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُوْنَ، بِفَضْلِكَ اللَّهُمَّ يَارَبَّ العَالَـمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَالـحَمْدُ لله رَبِّ العَالَـمِيْنَ.


الشرح

العقيدة المجملة

وهذه العقيدة هي لسيدنا الإمام عبدالله بن علوي بن محمد الحداد المولود بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ،والمتوفى بتريم ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة سنة ١١٣٢هـ، رحمه الله ونفعنا به.

وقد كان السلف الصالح نفعنا الله بهم يقومون بتعليم هذه العقيدة وتحفيظها لاولادهم من الذكور والإناث، لما احتواته من معاني التوحيد والإذعان لله تعالى في علاه، والمتابعة لسيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وهي مجملة لمعتقد أهل السنة والجماعة.

....

الشرح

❁ **الخاتمة:**

وكان الانتهاء من هذا الشرح المبارك بإذن الله تعالى عصر يوم السبت الثامن من شهر جمادى الأولى من سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (٨/ ٥/ ١٤٣٨هـ)، والموافق الرابع من شهر فبراير من سنة سبعة عشر وألفين من ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (٤/ ٢/ ٢٠١٧م).

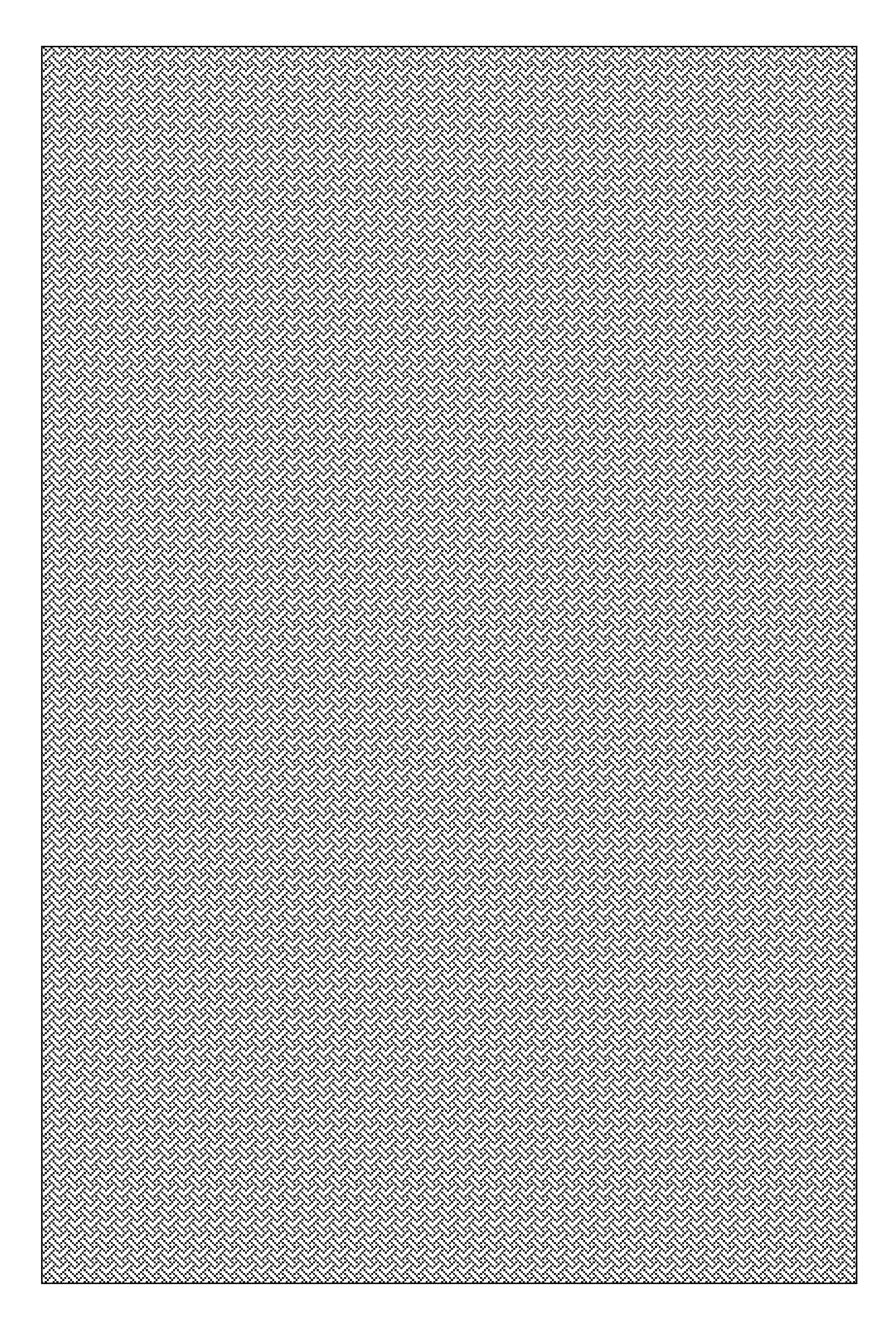
أسأل الله تعالى أن يتقبله خالصاً مخلصاً لوجهه الكريم، وأن يعم به النفع والانتفاع في جميع البقاع، وان يجعله سببا لعتق رقبتي ووالدي مشايخي وزوجتي وأولادي وإخواني ومن له حق علي من النار، وأن يجمعنا جميعاً مع جدنا سيد الأنس والجان، في أعلى فراديس الجنان.

ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك انت التواب الرحيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين


فهرس



فهرس

الموضوع ..	الصفحة

الموضوع ..	الصفحة

الموضوع .. **الصفحة**

الموضوع ..	الصفحة

الموضوع ..	الصفحة

الموضوع .. | الصفحة

للتواصل مع المؤلف: ٠٠٩٦٧٧٣٣٢٦٦٨٦١